

ومعالم السنن لأبي سليمان الخطابي

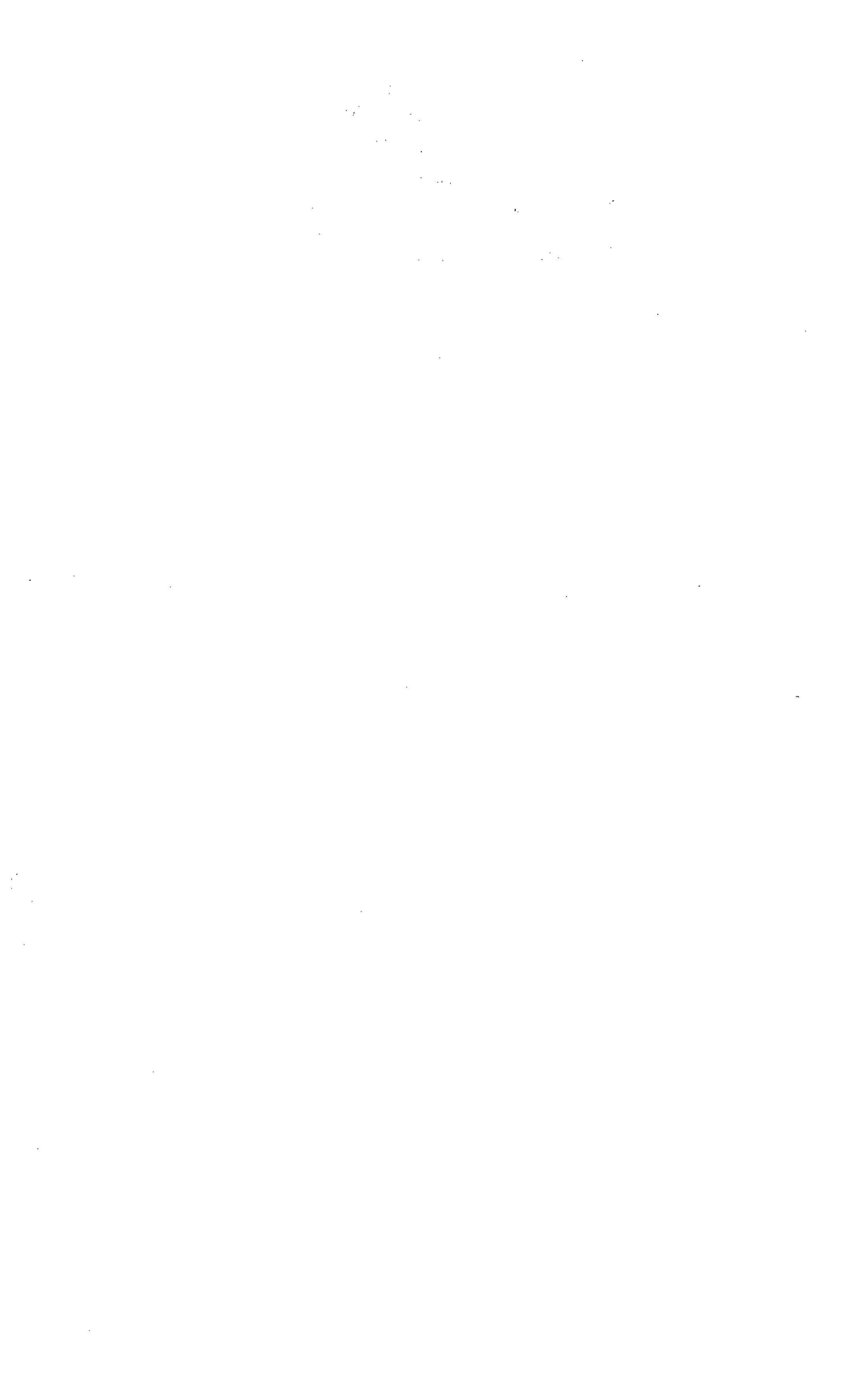
وتهذيب الإمام ابن قيم الجوزية

الجزء السابع

بتحقيق

محمد حامد الفقي

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

أول كتاب السنة [٤ : ٢٢٣]

٤٤٢٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « افْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَى إِحْدَى ـ أَوْ ثِنْتَيْنِ ـ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى ـ أَوْ ثِنْتَيْنِ ـ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » .

وأخرجه الترمذى وابن ماجة .

وحديث ابن ماجة مختصراً . وقال الترمذى : حسن صحيح .

٤٤٢٨ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله أحاديث الباب وزاد :

ورواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو يرفعه « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل ، حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك ؛ وإن بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا : من هى يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى » قال الترمذى : حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه ، وفيه الافريقى عبد الرحمن بن زياد ، وقال : وفى الباب عن سعد ، وعوف بن مالك ، وعبد الله بن عمرو .

وحديث عوف ــ الذى أشار الترمذى إليه ــ : هو حديث نعيم بن حماد عن عيسى بن يونس عن جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف ــ وهو الذى تكلم فيه نعيم لأجله .

وفى الباب أيضاً حديث أنس بن مالك يرفعه « أن بنى إسرائيل تفرقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة ، قال : وهى الجماعة » رواه أبو إسحاق الفزارى عن الأوزاعى عن يزيد الرقاشى عن أنس ، ورواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبد الله بن غزوان عن عمرو بن سعد عن يزيد .

٤٤٢٩ ـ وعن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما « أنه قام ، فقال : أَلَا إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُم مِنْ أَهْلِ الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين مِلّة ، وإن هذه المِلَّةَ ستفترق على ثلاثٍ وسبعين : ثنتان وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة ، وهى الجماعة » .

زاد ابن يحيى ـ وهو محمد ـ وعمرو ـ وهو ابن عثمان ـ فى حديثيهما : « وإنه سيخرج من أمتى أقوام تَجَارَى بهم تلك الأهواء كما يَتَجَارَى الكَلَبُ لصاحبه ـ وقال عمرو ـ الكلب بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مِفْصَل إلا دخله » .

باب مجانبة أهل الأهواء[1] [٤ : ٣٢٤]

٤٤٣٠ ـ عن عائشة رضى الله عنها ، قالت « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

٤٤٢٩ ـ قال الشيخ : قوله « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة » فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين ، إذ قد جعلهم النبى صلى الله عليه وسلم كلهم من أمته . وفيه : أن المتأوِّل لا يخرج من الملة ، وإن أخطأ فى تأوله .

وقوله « كما يتجارى الكلب لصاحبه » فإن الكلب داء يَعْرِضُ للانسان من عَضَّة الكلب الكَلِبِ ، وهو داء يصيب الكلب ، كالجنون . وعلامة ذلك فيه : أن تَحْمَرَّ عيناه ، وأن لا يزال يُدخل ذَنبه بين رجليه ، وإذا رأى إنساناً ساوره ، فإذا عقر هذا الكَلْبُ إنساناً عرض له من ذلك أعراضٌ رديئة .

منها : أن يمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشاً ، ولا يزال يستسقى ، حتى إذا سقى الماء لم يشربه .

ويقال : إن هذه العلة إذا استحكمت بصاحبها فقعد للبول خرج منه هَنات مثل صور الكلاب .

فالكَلَبُ داء عظيم ، إذا تجارى بالإنسان تمادى وهلك .

---

(١) فى عون المعبود « باب النهى عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن » .

هذه الآية (٣ : ٧ هو الذى أنزلَ عليك الـكتابَ منه آياتٌ مُحْكَمات ـ إلى ـ أولو الألباب) قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه . فأولئك الذين سَمَّى الله فاحْذَروهم » .

وأخرجه البخاري ومسلم والترمذى .

٤٤٣١ ـ وعن مجاهد ، عن رجل ، عن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ الأعمال : الُحبُّ فى الله ، والبُغْضُ في الله » .

فى إسناده : يزيد بن أبي زياد الـكوفى ، ولا يحتج بحديثه . وقد أخرج له مسلم متابعة ، وفيه أيضاً رجل مجهول .

٤٤٣٢ ـ وعن كعب بن مالك رضى الله عنه ـ وذكر ابنُ السَّرْح ، يعنى أحمد بن عمرو ـ قِصَّة تَخَلُّفه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى غَزْوة تَبُوك ـ قال : « ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا : أيُّها الثلاثةُ ، حتى

٤٤٣٢ ـ قال الشيخ : فيه من العلم : أن تحريم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث إنما هو فيما يكون بينهما من قِبلِ عَتْب وَمَوْجِدة ، أو لتقصير يقع فى حقوق العشرة ونحوها ، دون ما كان من ذلك فى حَقِّ الدين . فإن هجرةَ أهل الأهواء والبدعة دائمة على مَرِّ الأوقات والأزمان ، مالم تَظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تَخَلَّفوا عن الخروج معه فى غزوة تبوك ، فأمر بهجرانهم ، وأمرهم بالقعود فى بيوتهم نحو خمسين يوماً على ماجاء فى الحديث ، إلى أن أنزل الله سبحانه توبته وتوبة أصحابه . فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم براءتهم من النفاق .

وفيه دلالة : على أنه لا يُحرَج المرء بترك رد سلام أهل الأهواء والبدع .

وفيه دليل : على أن من حلف أن لا يكلم رجلاً ، فسلم عليه ، أو ردَّ عليه السلامَ كان حانثاً .

إذا طال عَلَيَّ تَسوَّرْتُ جِدار حائطِ أبي قَتادة ، وهو ابنُ عَمِّي ، فسلمتُ عليه ، فوالله ماردَّ عليَّ السلام ، ثم ساق خَبَر تنزيل توبته »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى مطولا ومختصرا .

باب ترك السلام على أهل الأهواء [٤ : ٣٢٧]

٤٤٣٣ ـ عن عَمَّار بن ياسِر رضى الله عنهما ، قال « قدمت على أهلى ، وقد تَشَقَّقَتْ يدَاىَ ، فَخَلَّقونى بزَعْفَران ، فَغَدَوْتُ على النبى صلى الله عليه وسلم ، فسَلَّمتُ عليه ، فلم يردَّ عليَّ ، وقال : اُذْهَبْ ، فاغسِلْ هَذَا عَنك »

وقد تقدم فى كتاب الترجُّل أتم من هذا .

٤٤٣٤ ـ وعن سُمَيَّة ، عن عائشة رضى الله عنها « أنه اُعتَلَّ بعيرٌ لصفية بنت حُيَيٍّ وعند زينبَ فَضْلُ ظَهر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب : أَعْطِيها بعيراً ، فقالت : أنا أعطى تلك اليهودية ؟ ! فغضبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فهجرها ذا الحِجَّة والمحرَّم وبَعْضَ صَفَر »

سُمية : لم تنسب .

باب النهى عن الجدال [فى القرآن] [٤ : ٣٢٨]

٤٤٣٥ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال « المراءُ فى القرآن كُفْرٌ »

٤٤٣٥ ـ قال الشيخ : اختلف الناس فى تأويله .

فقال بعضهم : معنى المراء هنا : الشك فيه كقوله تعالى : (١١ ـ ١٧ فلا تك فى مرية منه) أى فى شك . ويقال : بل المراء : هو الجدال المشكك فيه .

٤٤٣٥ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله حديث المراء فى القرآن ، ثم قال : حديث حسن .

وفى الصحيحين من حديث جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب فى لزوم السنة [٤ : ٣٢٨]

٤٤٣٦ ـ عن الِمقْـدام بن مَعْدِيكَرِب رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أَلاَ إِنِّى أُوتِيتُ الْـكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ . أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ

وتأوله بعضهم : على المراء فى قراءته ، دون تأويله ومعانيه ، مثل أن يقول قائل : هذا قرآن قد أنزله الله تبارك وتعالى .

ويقول الآخر : لم ينزله الله هكذا ، فيكفر به من أنـكره .

وقد أنزل الله سبحانه كتابه على سبعة أحرف ، كلها شَافٍ كافٍ ، فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن إنـكار القراءة التى يسمع بعضهم بعضاً يقرؤها ، وتَوَعَّدَهم بالـكفر عليها ، لينتهوا عن المراء فيه ، والتـكذيب به ، إذ كان القرآن منزلاً على سبعة أحرف ، وكلها قرآن منزل يجوز قراءته ، ويجب علينا الإيمان به .

وقال بعضهم : إنما جاء هذا فى الجدال بالقرآن فى الآى التى فيها ذكر القدر والوعيد ، وما كان فى معناها على مذهب أهل الـكلام والجدل ، وعلى معنى مايجرى من الخوض بينهم فيها ، دون ما كان منها فى الأحكام وأبواب التحليل والتحريم ، والحظر والإباحة ، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تنازعوها فيما بينهم ، وتحاجُّوا بها عند اختلافهم فى الأحكام ، ولم يَتَحَرَّجوا عن التناظر بها وفيها ، وقد قال سبحانه (٤ : ٥٩ فإن تنازعتم فى شىء فرُدُّوه إلى الله والرسول) .

فعلم أن النهي منصرف إلى غير هذا الوجه . والله أعلم .

٤٤٣٦ ـ قال الشيخ : قوله « أُوتيت الـكتاب ومثله معه » يحتمل وجهين من التأويل .

« اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم عنه فقوموا » .

وفى الصحيحين عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم »

وفى سنن ابن ماجة من حديث أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا تلك الآية (٤٣ : ٨٥ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) » .

شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وَجَدْتُم فيه من حلال فأَحِلُّوه ، وما وجدتم فيه من حرام فَحَرِّمُوهُ ، ألا لا يَحِلُّ لكم لحمُ الحمار الأهْليّ ، ولا كُلُّ ذى نابٍ من السبع ، ولا لُقَطَةُ معاهد ، إلا أَن يَسْتَغْنِيَ عنها صاحبها ، ومن نَزَل بقوم فعليهم أن يَقْروهُ ، فان لم يَقْروه فله أن يُعَقِّبهم بمثل قراه »

أحدهما : أن يكون معناه : أنه أُوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أُعطى من الظاهر المتلو .

ويحتمل أن يكون معناه : أنه أوتى الكتاب وحياً يُتْلَى ، وأُوتي من البيان : أى أُذن له أن يبين مافي الكتاب ، وَيَعُمَّ ويَخُصَّ ، وأن يزيد عليه فيشرع ماليس له فى الكتاب ذكر ، فيكون ذلك فى وجوب الحكم ، ولزوم العمل به : كالظاهر المتلو من القرآن .

وقوله « يوشك شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن » فإنه يحذر بذلك مخالفة السنن التى سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له فى القرآن ذكر ، على ماذهبت إليه الخوارج والروافض ، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن ، وتركوا السنن التى قد ضُمِّنت بيان الكتاب ، فتحيروا وضلوا .

و « الأريكة » السرير ، ويقال : إنه لا يسمى أريكةً حتى يكون فى حَجَلةٍ .

وإنما أراد بهذه الصفة : أصحاب الترفه والدَّعة الذين لزموا البيوت ، ولم يطلبوا العلم ، ولم يغدوا ولم يروحوا فى طلبه فى مظانه واقتباسه من أهله .

وأما قوله « لا تحل لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها » فمعناه : إلا أن يتركها صاحبها لمن أخذها استغناء عنها ، وهذا كقوله سبحانه (٦٤ :٦ فكفروا وتولوا واستغنى الله) معناه ـ والله أعلم ـ تركهم الله استغناء عنهم . وهو الغنى الحميد .

وقوله « فله أن يعقبهم بمثل قراه » معناه : له أن يأخذ من مالهم قدر قراه عوضاً وعقبى مما حرموه من القرى .

وأخرجه الترمذى وابن ماجة . وقال الترمذى : حسن غريب من هذا الوجه .

وحديث أبى داود أتم من حديثهما .

٤٤٣٧ - وعن يزيد بن عَميرة - وكان من أصحاب معاذ بن جبل رضى الله عنه - قال « كان لا يجلسُ مجلساً للذكر ، حين يجلس إلا قال : الله حَكَمٌ قِسْطٌ ، هَلَكَ المرتابون ، فقال معاذ بن جبل يوماً : إن من ورائكم فِتَنًا يكثر فيها المالُ ، وَيُفْتَحُ فيها القرآنُ ، حتى يأخذه المؤمن والمنافق ، والرجل والمرأة ، والصغير والكبير ، والعبد والحر ، فيُوشِكُ قائل أن يقول : ماللناس لايَتَّبعونى ، وقد قرأتُ القرآن؟ ما هُمْ بمتَّبِعِىَّ حتى أَبْتَدِعَ لهم غيره ، فإيَّاكم وما ابْتُدِعَ ، فإن ما ابتدع ضلالة ،

وهذا فى المضطر الذى لا يجد طعاماً ويخاف على نفسه التلف .

وقد ثبت ذلك فى كتاب الزكاة أو فى غيره من هذا الكتاب .

وفى الحديث دليل : على أنه لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب ، وأنه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حجة بنفسه .

وأما مارواه بعضهم أنه قال « إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافقه فخذوه ، وإن خالفه فدعوه » فإنه حديث باطل لا أصل له .

وقد حكى زكريا بن يحيى السَّاجِي عن يحيى بن مَعين أنه قال : هذا حديث وضعته الزنادقة .

قلت : وقد روى هذا من حديث الشاميين عن يزيد بن ربيعة عن أبى الأشعث عن ثوبان .

ويزيد بن ربيعة - هذا - مجهول ولا يعرف له سماع من أبى الأشعث .

وأبو الأشعث : لا يروى عن ثوبان . وإنما يروى عن أبى أسماء الرَّحَبى عن ثوبان .

وأُحَذِّركم زَيْغة الحكيم ، فان الشيطان قد يقول كلمة الضَّلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق ، قال : قلت لمعاذ : ما يدريني أنَّ الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال : بلى ، اجْتَنِب من كلام الحكيم المشتهرات ، التي يقال : ماهذه ؟ ولا يثْنِيَنَّك ذلك عنه ، فإنه لَعَلَّه أن يُراجِعَ ، وَتَلَقَّ الحَقَّ إذا سمعتَه . فان على الحق نوراً »

٤٤٣٨ ـ وفي رواية « ولا يُنْئِيَنَّكَ ذلك عنه » مكان « يثنينَّك »

٤٤٣٩ ـ وفي رواية « المشَبَّهات » مكان « المشتهرات » وقال « لا يُثْنِينَّك » .

٤٤٤٠ ـ وفي رواية : قال « بل ، ما تشابه عليك من قول الحكيم ، حتى تقول : ما أراد بهذه الكلمة ؟ »

وهذا موقوف

٤٤٤١ ـ وعن عبد الله بن أبي رافع ، عن أبيه رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكُمْ مُتَّكِئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري مما أمَرْتُ به أو نَهَيْتُ عنه ، فيقول : لا نَدْرِي : ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»

وأخرجه الترمذي وابن ماجة . وقال الترمذي : حسن . وذكر أن بعضهم رواه مرسلا .

٤٤٤٢ ـ وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ فيهِ ، فَهُوَ رَدٌّ »

٤٤٤٢ ـ قال الشيخ : في هذا بيان أن كل شيء نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم : من عقد نكاح و بيع وغيرهما من العقود : فإنه منقوض مردود ، لأن قوله « فهو رد » يوجب ظاهره إفساده و إبطاله ، إلا أن يقوم الدليل على أن المراد به غير الظاهر ، فيترك الكلام عليه لقيام الدليل فيه . والله أعلم .

قال ابن عيسي ـ وهو محمد ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ صَنَعَ أمراً على غير أمرنا فهو رد »

وأخرجه البخارى ومسلم وابن ماجة بنحوه .

٤٤٤٣ ـ وعن عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحُجْر بن حُجر ، قالا « أتينا العِرْباضَ بن سارية ـ وهو ممن نزل فيه (٩ : ٩٢ ولا على الذين إذا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهم قلتَ : لا أجدُ ما أحملكم عليه ـ فسَلَّمنا ، وقلنا : أتيناك زائرين ، وعائدين ، ومُقْتَبسين ، فقال العرباض : صَلّى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يومٍ [(١)] ، ثم أقبلَ علينا ، فوعَظنا مَوْعِظَةً بَليغَةً ، ذَرَفَتْ منها العيون ووَجِلَتْ منها القلوب ، فقال قائل : يارسول الله ، كأن هذه مَوْعظةُ مُوَدّع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال « أُوصيكُمْ بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، فانه مَنْ يَعِشْ مِنكم بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثيراً ، فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء المهديِّين

٤٤٤٣ ـ قال الشيخ : قوله « إن عبداً حبشياً » يريد به طاعة من ولاه الإمام عليكم وإن كان عبداً حبشياً .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الأئمة من قريش » .

وقد يضرب المثل فى الشيء بما لا يكاد يصح منه الوجود ، كقوله صلى الله عليه وسلم « من بنى لله مسجداً ولو مثل مِفْحَص قَطاة بنى الله له بيتاً فى الجنة » وقدر مفحص قطاة لا يكون مسجداً لشخص آدمى .

وكقوله « لو سرقت فاطمة لقطعتها » وهى رضوان الله عليها وسلامه لا يتوهم عليها السرقة .

وقال « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده » .

ونظائر هذا فى الكلام كثير .

---

(١) عند الترمذى « صلاة الغداة »

الراشدين ، تمسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجِذِ ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور . فان كل مُحْدَثَة بِدْعَة ، وكلّ بدعة ضلالة »

وأخرجه الترمذى وابن ماجة . وليس فى حديثهما ذكر حُجْر بن حجر ، غير أن الترمذى أشار إليه تعليقا . وقال الترمذى : حسن صحيح.هذا آخر كلامه

والخلفاء : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى . وقال صلى الله عليه وسلم « اقتدوا باللذين من بعدى : أبى بكر وعمر » نَخَص اثنين . وقال « إن لم تجدينى فائْتِ أبا بكر » نخصه . فاذا قال أحدهما قولا ، وخالفه فيه أحد من الصحابة : كان المصير إلى قوله أولى .

٤٤٤٤ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم :

و « النواجذ » آخر الأضراس . واحدها : ناجذ .

و إنما أراد بذلك الجِدَّ فى لزوم السنة ، فِعلَ من أمسك الشيء بين أضراسه ، وعَضَّ عليه ، منعاً له أن ينتزع ، وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشىء ، إذ كان مايمسكه بمقاديم فِيهِ أقربَ تناولاً وأسهل انتزاعاً .

وقد يكون معناه أيضاً : الأمر بالصبر على مايصيبه من المضض فى ذات الله ، كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه .

وقوله « كل محدثة بدعة » فإن هذا خاص فى بعض الأمور دون بعض ، وكل شىء أحدث على غير أصل من أصول الدين ، وعلى غير عياره وقياسه .

وأما ما كان منها مبنياً على قواعد الأصول ومردوداً إليها فليس ببدعة ولا ضلالة والله أعلم .

وفى قوله « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين » دليل على أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولاً ، وخالفه فيه غيره من الصحابة : كان المصير إلى قول الخليفة أولى .

٤٤٤٤ ـ قال الشيخ : « المتنطع » المتعمق فى الشىء المتكلف للبحث عنه ، على مذاهب

قال « أَلاَ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ثلاث مرات »

وأخرجه مسلم .

باب لزوم السنة [٤ : ٣٣٠]

٤٤٤٥ ـ عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً . وَمَنْ دَعَا إِلى ضَلاَلَةٍ فان عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِن آثَامِهِمْ شَيْئاً »

وأخرجه مسلم والترمذى وابن ماجة .

٤٤٤٦ ـ وعن عامر بن سعد ـ وهو ابن أبى وقاص ـ عن أبيه رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِى الْمُسْلِمِينَ جُرْماً مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحَرَّمْ ، فَحُرِّمَ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ »

وأخرجه البخارى ومسلم .

أهل الكلام ، الداخلين فيما لا يعنيهم ، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم .

وفيه دليل : على أن الحكم بظاهر الكلام ، وأنه لا يترك الظاهر إلى غيره ما كان له مساغ وأمكن فيه استعمال .

٤٤٤٦ ـ قال الشيخ : هذا فى مسألة من يسأل عبثاً وتكلفاً فيما لا حاجة به إليه ، دون من سأل سؤال حاجة وضرورة ، كمسألة بنى إسرائيل فى شأن البقرة .

وذلك أن الله سبحانه أمرهم أن يذبحوا بقرة ، فلو استعرضوا البقر ، فذبحوا منها بقرة لأجزأتهم ، كذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما ، فى تفسير الآية ، فما زالوا يسألون ويتعنتون ، حتى غُلِّظت عليهم ، وأمروا بذبح البقرة على النعت الذى ذكره الله فى كتابه .

٤٤٤٧ - [حدثنا محمد بن كثير ، قال : حدثنا سفيان ، قال : كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر .

وحدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا حماد بن دُلَيْل ، قال : سمعت سفيان الثورى يحدثنا عن النضر .

وحدثنا هَنَّاد بن السَّرِى ، عن قَبيصة ، قال : حدثنا أبو رجاء ، عن أبى الصَّلْت - وهذا لفظ حديث ابن كثير ومعناهم - قال :

« كتب رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز ، يسأله عن القدر ؟ فكتب :

أما بعد ، أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد فى أمره ، واتباع سُنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وتَرْكِ ما أحدث المحدِثون بعد ماجرَت به سنته ، وكُفُوا مُؤْنته : فعليك بلزوم السنة . فانها لك - بإذن الله - عِصْمَة .

ثم اعلم أنه لم يبتدع الناسُ بِدْعَةً إلا قد مَضَى قبلها ماهو دليلٌ عليها أو عِبْرَةٌ فيها ، فان السنة إنّمَا سَنّهَا مَنْ قد علم مافى خلافها - ولم يقل ابن كثير « من قد علم » - من الخطأ والزلل ، والُحْمق والتَّعَمُّق ، فارْضَ لنفسك مارَضِى به القومُ لأنفسهم ، فانهم على عِلْمٍ وقفُوا ، وببصر نافذٍ كُفوا ، وَلَهُمْ على كَشْفِ الأمور

فَعظُمت عليهم المؤنة ، ولحقتهم المشقة فى طلبها ، حتى وجدوها ، فاشتروها بالمال الفادح . فذبحوها وما كادوا يفعلون .

وأما ما كان سؤاله استبانة لحكم واجب ، واستفادة لعلم قد خفى عليه ، فإنه لايدخل فى هذا الوعيد . وقد قال الله سبحانه (٢١ : ٧ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) .

وقد يحتج بهذا الحديث : من يذهب من أهل الظاهر إلى أن أصل الأشياء قبل ورود الشرع بها : على الإباحة ، حتى يقوم دليل على الحظر .

وإنما وجه الحديث وتأويله : ماذكرناه ، والله أعلم .

كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولَى ، فان كان الهدَى ما أنتم عليه لقد سَبَقْتُموهم إليه .

ولئن قلتم : « إنما حَدَث بعدهم »

ما أحدثه إلا من اتَّبع غيرَ سبيلهم ورَغِبَ بنفسه عنهم ، فإنهم هم السابقون ، فقد تَكَلَّموا فيه بما يكفى ، ووصفوا منه ما يشفى ، فما دونهم من مَقْصَرٍ ، وما فوقهم من مَحْسَرٍ ، وقد قصَّر قوم دونهم فَجَفَوْا ، وطمح عنهم أقوام فَغَلَوْا ، وإنهم بين ذلك لَعلى هُدًى مستقيم .

كتبت تسألُ عن الإقرار بالقدر ، فعلى الخبير ـ بإذن الله ـ وقعت ، ما أعلم ما أحدث الناس من مُحْدَثة ، ولا ابتدعوا من بدعة ، هى أَبْيَنُ أثراً ، ولا أثبت أمراً من الإقرار بالقدر ، لقد كان ذكره فى الجاهلية الجُهْلاء ، يتكلمون به فى كلامهم وفى شعرهم ، ويُعَزُّون به أنفسهم على مافاتهم ، ثم لم يَزِدْهُ الإسلام بعدُ إلا شِدَّة ، ولقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير حديث ولا حديثين ، وقد سمعه منه المسلمون ، فتكلموا به فى حياته وبعدَ وفاته ، يقينا وتسليماً لربهم ، وتضعيفاً لأنفسهم . أن يكون شىء لم يحِطْ به علمه ، ولم يُحْصِه كتابُه ، ولم يَمْضِ فيه قَدَره ، وإنه مع ذلك لفى مُحْكَمِ كتابه . منه اقتبسوه ، ومنه تَعلَّموه .

ولئن قلتم « لِمَ أنزلَ اللهُ آية كذا ؟ ولِمَ قال كذا ؟ »

لقد قرأوا منه ما قرأتم ، وعلموا من تأويله ما جَهِلتم ، وقالوا بعد ذلك : كُلُّه بكتاب وقدر ، وكتبت الشقاوة ، وما يُقْدَرْ يكن ، وما شاء الله كان ، وما لم يَشَأْ لم يكن ، ولا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعا ، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا »

٤٤٤٨ ـ وعن نافع ، قال « كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه ، فكتب إليه عبدُ الله بن عمر : إنه بلغنى أنك تكلمت فى شىء من القدَر ، فإياك أن

تَـكتُبَ إليَّ ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه سيكون فى أمتى أقوام يُـكذِّبون بالقَدر »

٤٤٤٩ ـ وعن خالد الحذَّاء ، قال : قلت للحسن « يا أبا سعيد ، أخبرنى عن آدم : للسماء خلق ، أم للأرضِ ؟ قال : لا ، بل للأرض ، قلت : أرأيتَ لو اعتصم فلم يأ كلْ من الشجَرةِ ؟ قال : لم يكن له منه بُدٌّ ، قلت : أخبرنى عن قوله تعالى (٣٧ : ١٦٢ ، ١٦٣ ما أنتم عليه بفاتنين ، إلا من هو صالِ الجحيم) قال : إن الشياطين لا يفتنون بضلالتهم إلا من أوجب الله عليه الجحيم »

٤٤٥٠ ـ وعن خالد الحذاء ، عن الحسن فى قوله تعالى (١١ : ١١٩ ولذلك خلقهم) قال « خلق هؤلاء لهذه ، وهؤلاء لهذه »

٤٤٥١ ـ وعن خالد الحذاء ، قال : قلت للحسن : (ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) قال « إلا من أوجب الله تعالى عليه أنه يَصْلَى الجحيم »

٤٤٥٢ ـ وعن حُميد ـ وهو الطويل ـ قال : كان الحسن يقول « لَأَنْ يُسْقَطَ به من السماء إلى الأرض أحبُّ إليه من أن يقول : الأمرُ بيَدِى »

٤٤٥٣ ـ وعن حُميد ، قال : « قدم علينا الحسن مكة ، فكلمنى فقهاء أهل مكة : أن أ كلمه فى أن يجلس لهم يوماً يعظهم فيه ، فقال : نعم ، فاجتمعوا ، فخطَبهم ، فما رأيتُ أخطبَ منه ، فقال رجل : يا أبا سعيد ، من خلقَ الشيطان ؟ فقال : سبحان الله !! هل مِنْ خالق غيرُ الله ؟ خلقَ الله الشيطانَ ، وخلق الخير ، وخلق الشر ، قال الرجل : قاتلهم الله ، كيف يكذبون على هذا الشيخ ؟ »

٤٤٥٤ ـ وعن حُميد الطويل ، عن الحسن (١٥ : ١٢ كذلك نسلـكه فى قلوب المجرمين) قال « الشرك » (١)

---

(١) الضمائر فى الآيات قبلها وبعدها : تدل على أن المسلوك هو القرآن ، والسلك : إدخال السلك فى الثقب الضيق بشدة . يعنى سبحانه : أنه أدخل القرآن فى قلوب المجرمين رغم أنفهم وهم كارهون ليـكون حجة عليهم .

٤٤٥٥ ـ وعن الحسن فى قول الله عز وجل (٣٤ : ٥٤ وحِيلَ بينهم وبين مايشتهون) قال « بينهم وبين الايمان »[١]

٤٤٥٦ ـ وعن ابن عون ، قال « كنت أسير بالشام ، فنادانى رجلٌ من خَلْفِى ، فالتفتُّ ، فاذا رجاء بن حَيْوَة ، فقال : يا أبا عون ، ما هذا الذى يذكرون عن الحسن ؟ قال : قلت : إنهم يكذبون على الحسن كثيراً » .

٤٤٥٧ ـ وعن حماد ـ وهو ابن زيد ـ قال : سمعت أيوب ـ وهو السختيانى ـ يقول « كَذبَ على الحسن ضربان من الناس : قَوْمٌ ، الْقَدَرُ رأْيُهم ، وهم يريدون أن يُنَفِّقُوا بذلك رأيَهم ، وقومٌ له فى قلوبهم شَنَآن وبُغْضٌ ، يقولون : أليس من قوله كذا ؟ أليس من قوله كذا ؟ »

٤٤٥٨ ـ وعن يحيي بن كثير العنبرى قال: « كان قُرَّةُ بن خالد يقول لنا : يافِتْيَانُ لا تُغْلَبُوا على الحسن ، فإنه كان رأيه السُّنة والصواب »

٤٤٥٩ ـ وعن ابن عون ، قال « لو علمنا أن كلمةَ الحسن تبلغُ ما بلغتْ لكتبنا برجوعه كتاباً ، وأشْهَدْنا عليه شهوداً ، ولكنا قلنا : كلمةٌ خرجت لاتُحْمَل»

٤٤٦٠ ـ وعن أيوب ، قال : قال لى الحسن « ما أنا بعائِدٍ إلى شيء منه أبداً »

٤٤٦١ ـ وعن عثمان الْبَتِّىِّ ، قال « مافسَّر الحسن آيةَ قطُّ إلاّ عن الأثبات »[٢]]

---

(١) ظاهر السياق القرآنى : يدل على أنهم إنما كانوا يشتهون غلبة باطلهم وكفرهم على الحق الذى جاءهم به رسول صلى الله عليه وسلم لما كانوا يتوهمونه : أن عزهم به فى الدنيا والآخرة .

(٢) من الحديث رقم (٤٤٥١) إلى رقم (٤٤٦١) ليس من رواية اللؤلؤى . ولذا لم يذكرها المنذرى . وقال الحافظ المزى فيها كلها : إنها من رواية ابن العبد وابن داسة .

باب فى التفضيل [٤ : ٣٣٧]

٤٤٦٢ ـ عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : « كُنَّا نَقُولُ فى زمن

٤٤٦٢ ـ قال الشيخ : وجه ذلك ـ والله أعلم ـ أنه أراد به الشيوخ ، وذوى الأسنان منهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حَزبه أمرٌ شاورهم فيه .

وكان على رضوان الله عليه فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث السن ، ولم يرد ابن عمر الإزراء بعلى رضى الله عنه . ولا تأخيره ودفعه على الفضيلة بعد عثمان ، وفضله مشهور لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة .

و إنما اختلفوا فى تقديم عثمان عليه .

فذهب الجمهور من السلف إلى تقديم عثمان عليه .

وذهب أكثر أهل الكوفة إلى تقديمه على عثمان رضى الله عنهما .

وحدثنى محمد بن هاشم حدثنا أبو يحيي بن أبى ميسرة عن عبد الصمد قال : قلت لسفيان الثورى « ماقولك فى التفضيل ؟ فقال : أهل السنة من أهل الكوفة يقولون : أبو بكر وعمر وعلى وعثمان ، وأهل السنة من أهل البصرة يقولون : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . قلت : فما تقول أنت ؟ قال : أنا رجل كوفى » .

قلت : وقد ثبت عن سفيان أنه قال فى آخر قوليه « أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم » .

قلت : وللمتأخرين فى هذا مذاهب .

منهم من قال بتقديم أبى بكر من جهة الصحابة ، و بتقديم علىّ من جهة القرابة .

وقال قوم : لا يقدم بعضهم على بعض .

وكان بعض مشايخنا يقول : أبو بكر خير ، وعلى أفضل ، قال : و باب الخيرية غير باب الفضيلة [1] .

---

(١) لقد تواتر : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه جمع كل أبواب الخير والفضيلة بقرابة روحه وقلبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أقوى الخلفاء علما وأمانة وحكمة وكان من رحمة الله بالناس ولايته الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأطد به أركان الدين ، وأطفأ به الفتنة .

النبي صلى الله عليه وسلم : لا نَعْدِلُ بأبي بكر أحداً، ثم عمرَ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لا نُفاضِلُ بينهم »

وأخرجه البخاري والترمذي .

٤٤٦٣ ـ وعن سالم بن عبد الله : أن ابن عمر قال « كنا نقول ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَيٌّ : أفضل أمَّةِ النبي صلى الله عليه وسلم بعده : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمانُ رضى الله عنهم أجمعين »

٤٤٦٤ ـ وعن محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبي « أيُّ الناس خيرٌ بعدَرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر ،قال : قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر ، قال : ثم خَشِيتُ أن أقول : ثم مَنْ ؟ فيقول : عثمان ، فقلتُ : ثم أنت يا أبَةِ ؟ فقال : ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين »

وأخرجه البخاري .

٤٤٦٥ ـ وعن سفيان ـ وهو الثوري ـ قال « من زعم أن عَلِيًّا رضى الله عنه كان أحقَّ بالولاية منهما : فقد خَطَّأَ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار ، وما أُراه يرتفع له مع هذا عملٌ إلى السماء » .

٤٤٦٦ ـ وعنه قال « الخلفاء خمسةٌ : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم »

قال : وهذا كما تقول : إن الحر الهاشمي أفضل من العبد الرومي والحبشي : وقد يكون العبد الحبشي خيراً من هاشمي في معنى الطاعة لله والمنفعة للناس ، فباب الخيرية متعدٍ ، وباب الفضيلة لازم .

وقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم رجل آخر ، فقال له ابنه محمد بن الحنفية : ثم أنت ياأبت ؟ فكان يقول : ماأبوك إلا رجل من المسلمين » رضوان الله عليهم .

باب فى الخلفاء [٤ : ٣٣٨]

٤٤٦٧ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان أبو هريرة يُحَدِّثُ : أن رجلا أتى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنِّى أرى الليلةَ ظُلَّةً يَنْطِفُ منها السَّمْنُ والعَسَل ، فأرى الناسَ يتكفّفون بأيديهم ، فالمسْتَكْثِرُ والمسْتَقِلُّ ، وأرى سَبَباً واصلا من السماء إلى الأرض ، فأراكَ يارسول الله أخذتَ به ، فعلوتَ ، ثم أخذَ

٤٤٦٧ ـ قال الشيخ : قوله « إنى أرى الليلة » أخبرنى أبو عمر عن العباس قال : يقول : مابينك من لَدُن الصباح و بين الظهر : رأيت الليلة ، و بعد الظهر إلى الليل : رأيت البارحة.

و « الظلة » كل ماأظلك من فوقك وعلاك .

وأراد بالظلة ههنا ـ والله أعلم ـ سحابة يَنْطِفُ منها السمن والعسل : أى يقطر : والنَّطْف : القطر .

وقوله « يتكففون بأيديهم » يريد : أنهم يتلقونه بأكفهم ، يقال : تكفف الرجلُ الشىء واسْتَكفَّه ، إذا مَدَّ كَفَّه وتناوله بها .

٤٤٦٧ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله حديث رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم السمن والعسل وتعبير الصديق رضى الله عنه وكلام المنذرى ، ثم قال :

وهذا يشكل عليه شيئان .

أحدهما : أن فى نفس الرؤيا « ثم وصل له ، فعلا به » فتفسير الصديق لذلك مطابق لنفس الرؤيا

والثانى : أن قتل عثمان رضى الله عنه لايمنع أن يوصل له ، بدليل أن عمر قد قتل ، ومع هذا فأخذ به وعلا به ، ولم يكن قتله مانعاً من علوه به .

وقد يجاب عنهما .

أما الأول فلفظة « ثم وصل له » لم يذكر هذا البخارى ، ولفظ حديثه « ثم أخذ به رجل آخر ، فانقطع به ، ثم وصل » فقط ، وهذا لا يقتضى أن يوصل له بعد انقطاعه به ، وقال الصديق فى تفسيره فى نفس حديث البخارى « فينقطع به ثم يوصل له » فهذا موضع الغلط ، وهذا مما يبين فضل صدق معرفة البخارى ، وغور علمه فى إعراضه عن لفظة « له » فى الأول ، وإنما انفرد بها مسلم .

به رجلٌ آخرُ فَعَلاَ ، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعلا ، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فانقطع ثم وُصِلَ ، فَعَلاَ به ، قال أبو بكر: بأبى وأمى ، لَتَدَعَنّى فَلأُعَبِّرَنَّهَا ، فقال ، اعْبُرها قال : أما الظُّلَةُ : فظُلَّة الإسلام ، وأما ما يَنْطِف من السمن والعسل : فهو القرآن لِينُه وحَلاوته ، وأما المستكثر والمستقلُّ : فهو المستكثر من القرآن ، والمستَقلُّ منه ، وأما السببُ الواصل من السماء إلى الأرض : فهو الحقُّ الذى أنت عليه :

و « السبب » الحبل ، و « الواصل » معناه : الموصول ، فاعل بمعنى مفعول .

وفى قوله لأبى بكر رضى الله عنه « لا تقسم » ولم يخبره عن مسألته : دليل على أن قول القائل «أقسمت» ليس بيمين ، حتى يقول : أقسمت بالله ، أو أُقسم بالله ، فيصل القسم باسم الله ، ولو كان ذلك بمجرده يميناً لكان يَبَرُّه فيها ، لأنه صلى الله عليه وسلم قد أمر بإبرار القسم ، فدل ذلك على أنه مع التجريد ليس بيمين .

وقد اختلف الناس فى معنى قوله « أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً » .

فقال بعضهم : أراد به الإصابة فى عبارة بعض الرؤيا ، وأخطأت فى بعض .

وأما الثانى : فيجاب عنه : بأن عمر رضى الله عنه لم ينقطع به السبب من حيث علا به . وإنما انقطع به بالأجل المحتوم ، كما ينقطع الأجل بالسم وغيره ، وأما عثمان فانقطع به من حيث وصل له من الجهة التى علا بها ، وهى الخلافة ، فإنه إنما أريد منه أن يخلع نفسه ، وإنما قتلوه لعدم إجابتهم إلى خلع نفسه ، فخلعوه هم بالقتل ظلما وعدواناً ، فانقطع به من الجهة التى أخذ به منها ، ثم وصل لغيره رضى الله عنه ، وهذا سر سكوت النبى صلى الله عليه وسلم عن تعيين موضع خطأ الصديق .

فان قيل : فلم تكلفتم أنتم بيانه ، وقد منع النبى صلي الله عليه وسلم الصديق من تعرفه ، والسؤال عنه ؟ .

قيل : منعه من هذا : ما ذكرناه من تعلق ذلك بأمر الخلافة ، وما يحصل للرابع من المحنة ، وانقطاع السبب به ، فأما وقد حدث ذلك ووقع ، فالكلام فيه كالكلام فى غيره : من الوقائع التى يحذر الكلام فيها قبل وقوعها ، سداً للذريعة ؛ ودرءاً للمفسدة ، فإذا وقعت زال المعنى الذى سكت عنها لأجله .

نأخذ به ، فيُعْليك الله ، ثم يأخذ به بعدك رجلٌ فيعلو به ، ثم يأخذ به رجلٌ آخر فيعلو به ، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع ، ثم يُوصل له فيعلو به ، أىْ رَسُولَ اللهِ لَتُحَدِّثَنِّى : أصبتُ أم أخطأتُ ؟ فقال : أصبتَ بعضاً وأخطأت بعضاً ، فقال : أقسمتُ يارسول الله ، لَتُحَدِّثَنِّى : ما الذى أخطأتُ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لاتُقْسِمْ »

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة .

٤٤٦٨ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ بهذه القصة ـ قال « فأَبَى أنْ يُخبره »

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة .

٤٤٦٩ ـ وعن الحسن ، عن أبى بَكْرة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ـ ذاتَ يوم ـ « مَنْ رَأَى منكم رؤيا ؟ فقال رجل : أنا ، رأيتُ كأنَّ ميزانا نزل من السماء فوُزنت أنتَ وأبو بكر . فرجحتَ أنتَ بأبى بكر ، ووُزِن عمر وأبو بكر فرجحَ أبو بكر ، ووُزن عمر وعثمان فرجح عمر ، ثم رُفع الميزان ، فرأينا

وقال آخرون : بل أراد بالخطأ ههنا : تقديمه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسألته، والإذن له فى تعبير الرؤيا . ولم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون هو الذى يعبرها ، فهذا موضع الخطأ .

وأما الإصابة : فهى ماتأوله فى عبارة الرؤيا ؛ وخروج الأمر فى ذلك على وفاق ماقاله وعبره .

وقد بلغنى عن أبى جعفر الطحاوى رواية عن بعض السلف أنه قال : موضع الخطأ فى عبارة أبى بكر رضى الله عنه: أنه مخطىء في أحد المذكورين : من السمن والعسل ، فقال « وأما ماينطِفُ من السمن والعسل : فهو القرآن . لينه وحلاوته » وإنما أحدهما : القرآن ، والآخر السنة . والله أعلم .

الكراهية فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن .

٤٤٧٠ ـ وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبيه رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ فذكر معناه ، ولم يذكر الكراهية ـ قال « فاستاء لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعنى : فساءه ذلك ـ فقال : خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ ، ثم يُؤْتِى الله الملكَ من يشاء »

فى إسناده : على بن زيد ، وهو ابن جُدْعان القرشى التَّيْمى : ولا يحتج بحديثه .

٤٤٧١ ـ وعن ابن شهاب الزُّهرى ، عن عمرو بن أبان بن عثمان ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : أنه كان يحدث : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أُرِىَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صالح : أن أبا بكر نِيطَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونِيطَ عمرُ بأبى بكر ، ونيط عثمان بعمر . قال جابر : فلما قُمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلنا : أمَّا الرجلُ الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما تَنَوُّطُ بعضهم ببعض : فهم وُلاة هذا الأمر الذى بعث الله به نَبِيَّه صلى الله عليه وسلم »

قال أبو داود : ورواه يونس وشعيب ـ يعنى عن الزهرى ـ لم يذكرا عمرو ابن أبان .

٤٤٧٠ ـ قال الشيخ : قوله « فاستاء لها » أى كرهها ، حتى تبينت المساءة فى وجهه . ووزنه افتَعَل من السوء .

٤٤٧١ ـ قال الشيخ : قوله « نيط » معناه عُلِّقَ ، والنَّوط : التعليق ، والتنوط : التعلق ، ومنه المثل : عاطٍ لغير أنواط .

فعلى ما ذكره أبو داود عنهما يكون الحديث منقطعا . لأن الزهرى لم يسمع من جابر بن عبد الله .

٤٤٧٢ - وعن سَمُرة بن جُنْدَب رضي الله عنه « أن رجلا قال : يارسول الله ، رأيتُ كأنَّ دَلْواً دُلِّيَ من السماء ، فجاء أبو بكر ، فأخذَ بعَراقَيها ، فشَرِبَ شُرباً ضعيفاً ، ثم جاء عمر ، فأخذ بعَراقَيها . فشرب ، حتى تَضَلَّع ، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها ، فشَرِبَ حتى تَضَلَّع ، ثم جاء عليٌّ ، فأخذ بعراقيها ، وانْتَشِطَتْ وانْتُضِحَ عليه منها شيء »

٤٤٧٣ - | وعن سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول ، قال « لَتَمْخُرَنَّ الرومُ الشامَ أربعينَ صباحاً . لايمتنع منها إلا دِمَشق وعُمان [1] »

٤٤٧٢ - قال الشيخ : قوله « دلى من السماء » يريد أرسل ، يقال : أدليت الدلو إذا أرسلتها فى البئر ، وَدَلَوْتُها : إذا نزعتها .

و « العراق » أعواد يخالف بينها . ثم تُشَدُّ فى عُرَى الدلو ، ويعلق بهـا الحبل . واحدتها : عُرْقوة .

وقوله « تضلع » يريد الاستيفاء فى الشرب ، حتى رَوِىَ فتمدد جنبه وضلوعه .

وانتشاط الدلو : اضطرابها ، حتى ينتضح ماؤها .

وأما قوله فى أبى بكر « شرب شرباً ضعيفاً » فإنمـا هو إشارة إلى قصر مدة أيام ولايته . وذلك لأنه لم يعش أيام الخلافة أكثر من سنتين وشىء . وبقى عمر عشر سنين وشيئاً . فذلك معنى تضلعه . والله أعلم .

---

(١) « عمان » كغراب : بلد باليمن . وكشداد : بلد بالشام . والحديث ليس فى نسخة اللنفرى . وأورده المزى : فى المراسيل ، وقال : أخرجه أبو داود . ولم ينسبه إلى أحد من الرواة

٤٤٧٤ ـ وعن أبى الأغيَسِ عبد الرحمن بن سلمان قال « سيأتى ملك من ملوك العجم يظهر على المدائن كلها إلا دمشق [١] »

٤٤٧٥ ـ وعن مكحول ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «موضع فسطاط المسلمين فى الملاحم : أرضٌ يقال لها الغُوْطَة [٢] »

٤٤٧٦ ـ وعن عوف ـ وهو ابن أبى جَميلة الأعرابى ـ قال : سمعت الحجَّاج يخطب ، وهو يقول « إنَّ مثلَ عثمان عند الله كمثلِ عيسى ابنِ مريم ، ثم قرأ هذه الآية، يقرؤها ويُفَسِّرها (٣ :٥٥إذ قال الله ياعيسى إنى مُتَوفِّيك ورافعك إلىَّ ومُطَهِّرُك من الذين كفروا) يشير إلينا بيده ، وإلى أهل الشام [٣] »

٤٤٧٧ ـ وعن الربيع بن خالد الضَّبِّي ، قال : سمعت الحجاج يخطبُ ، فقال فى خطبته « رسولُ أحدِكم فى حاجته أكرمُ عليه أمْ خَلِيفتُه فى أهله ؟ فقلت فى نفسى : لله علىَّ أنْ لا أصلىَ خَلْفَك صلاةً أبداً ، وإن وجدت قوماً يُجاهدونك لأُجاهِدَنَّك معهم ـ زاد إسحاق فى حديثه قال : فقاتل فى الجماجم حتى قُتل [٤] »

٤٤٧٨ ـ وعن عاصم ، قال : سمعت الحجاج ـ وهو على المنبر ـ يقول « اتقوا الله

---

(١) أبو الأعيس ـ بفتح الهمزة وسكون العين وفتح الياء المثناة ، ثم سين مهملة . كما فى القاموس وتقريب التهذيب . والحديث ليس عند المنذرى . وأورده المزى فى المراسيل . وقيل: إنه فى رواية اللؤلؤى وحده .

(٢) « الغوطة» بفتح الغين المعجمة : اسم البساتين التى حول دمشق ، والحديث ليس عند المنذرى . وأورده المزى فى المراسيل . وقيل : هو فى رواية اللؤلؤى وحده . وقد تقدم متصلا مرفوعا من حديث أبى الدرداء فى باب المعقل من الملاحم .

(٣) ليس هذا الأثر عند المنذرى . وقال المزي فى المراسيل : هو في رواية ابن داسة .

(٤) « الجماجم » جمع جمجمة ـ بضم الجيم ـ وهى قدح من خشب . كانت تعمل بهذا المكان . وكان فيه وقعة عبد الرحمن بن الأشعث مع الحجاج بالعراق ، قتل فيها خلق كثير من قراء المسلمين . وليس هذا الأثر عند المنذرى . وقال المزى : هو من رواية اللؤلؤى وحده .

ما استطعتم ، ليس فيها مَثْنَوِيَّة ، واسمعوا وأطيعوا ، ليس فيها مَثْنَوِيَّة ، لأميرِ المؤمنين عبدِ الملك ، والله لو أمرتُ الناسَ أَن يخرجوا من بابٍ من أبواب المسجد ، فخرجوا من باب آخر لَحَلَّتْ لى دماؤهم وأموالهم ، والله لو أخَذْتُ ربيعةَ بمُضَرَ لـكان ذلك لى من الله حلالا ، وياعَذيرى من عبدِ هُذيل ـ يعنى عبدَ الله بن مسعود رضى الله عنه ـ يزعم أن قراءته من عند الله ، والله ما هى إلا رَجَز من رَجَز الأعراب ، ماأنزلها الله على نبيه عليه الصلاة والسلام ، وعذيرى من هذه الحمراء [1] يزعم أحدُهم أنه يرمى بالحجر ، فيقول : إلي أن يقعَ الحجرُ قد حَدَثَ أمرٌ ، فوالله لَأَدَعَنَّهُمْ كالأمس الدابِر »

قال : فذكرتُه للأعمش ، فقال : أنا والله سمعتُه منه [2] .

٤٤٧٩ ـ وعن الأعمش ، قال : سمعت الحجاج يقول على المنبر « هذه الحمراء هَبْرٌ هَبْرٌ [3] ، أما والله لقد قَرَعْتُ عصاً بعصا ، لأذَرَنَّهم كالأمسِ الذاهب ، يعني الموالى »

٤٤٨٠ ـ وعن سليمان الأعمش ، قال « جَمَّعْتُ مع الحجاج ، فخطب ـ فذكر حديث أبي بكر بن عياش ـ قال فيها : فاسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصَفِيِّه

---

(١) المثنوية : الاستثناء . والحمراء : هم العجم : لأن العرب تسمى الموالى الحمراء . وسيأتى تفسيره فى الحديث التالى .

(٢) كذب الحجاج . فلقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ـ أن يقرؤا القرآن على قراءة ابن أم عبد ـ عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه . وإنما سياسة الدنيا والرياسات ، حملت الحجاج أن يقول هذا . وإنما قال ذلك الحجاج : لأن ابن مسعود أبى أن يعطى مصحفه لعثمان رضى الله عنهما ـ ليحرقه ، حين جمع الناس على مصفحه الامام ـ كما أعطى غيره ، وثبت على قراءته . ولقد كان ابن مسعود بهذا الثبات حريا . وهذا الأثر ليس عند المنذرى . وقال المزى : قيل : إنه من رواية اللؤلؤى وحده .

(٣) الهبر : القطع والضرب ، أى : هم يستحقون ذلك .

عبد الملك بن مروان ـ وساق الحديث ـ قال : ولو أخذتُ ربيعة بمضَر ، ولم يذكر قصة الحمراء[١] »

٤٤٨١ ـ وعن سعيد بن جُمهان ، عن سَفينة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلافة النبوة : ثلاثون سنة ، ثم يؤتى اللهُ الملك من يشاء »

قال سعيد : قال لى سفينة : أمْسِكْ عليكَ : أبا بكر سنتين ، وعمر : عشرا ، وعثمان : اثنتى عشرة ، وعلى : كذا . قال سعيد : قلت لسفينة : إن هؤلاء يزعمون أن علياً رضى الله عنه ، لم يكن بخليفة ، قال : كَذَبَتْ أسْتَاهُ بنى الزّرقاء[٢] ، يعنى بنى مروان » .

وأخرجه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حسن لا نعرفه إلا من حديث سعيد . هذا آخر كلامه .

وسعيد بن جمهان : وثقه يحيى بن معين وأبوداود السجستانى. وقال أبوحاتم الرازى : شيخ يُكتب حديثه ، ولا يحتج به . هذا آخر كلامه .

وجمهان : بضم الجيم ، وسكون الميم ، وهاء مفتوحة ، وبعد الألف نون .

وسفينة : لقب ، واسمه مهران ، وقيل : رومان ، وقيل : نجران ، وقيل : قيس ، وقيل : عمير ، وقيل : غير ذلك ؛ وكنيته : أبو عبد الرحمن ، وقيل : أبو البخترى . والأول أشهر وهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : مولى أم سلمة رضى الله عنها .

---

(١) وهذا الأثر ليس عند المنذرى . وقال المزى : هو من رواية اللؤلؤى وحده ، وما كان للحجاج أن يخالف صريح أمر الله فى قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولكن قاتل الله السياسة ورياسة الدنيا فهى التى جعلته وغيره يتأولون التأويلات التى توقع فى هذه المخالفات الصريحة لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونسأل الله العافية للأمة من ذلك .

(٢) « أستاه » جمع « است » وهو العجز . ويطلق على حلقة الدبر . وأصله : « سته » ويقصد أنها كلمة خرجت من أدبارهم ، كالضرطة : فلا قيمة لها . و « الزرقاء » امرأة من أمهات بنى أمية . اهـ عون المعبود .

٤٤٨٢ ـ وعن سعيد بن جمهان ، عن سفينة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتى اللهُ الملكَ من يشاء ، أو ملكه من يشاء[1] »

٤٤٨٣ ـ وعن عبد الله بن ظالم المازنى ، قال : سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل رضى الله عنهما قال : « لما قدم فلان الكوفة أقام فلانٌ خطيباً[2] فأخذ بيدى سعيد بن زيد ،فقال : ألا تَرَى إلى هذا الظالم ، فأُشْهَدُ على التسعة:أنهم فى الجنة ولو شهدتُ على العاشر لم إيْثَمْ ـ قال ابن إدريس ـ وهو عبد الله ـ والعرب تقول أثَمَ ، قلتُ : ومن التسعة ؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو على حِراءٍ : أُثْبُتْ حِرَاء ، إنه ليس عليك إلا نبى ،أو صِدِّيق أو شَهيد . قلت : ومن التسعة ؟ قال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف . قلت : ومن العاشر ؟ فتلَكَّأ هُنَيَّة ثم ، قال : أنا »

٤٤٨٣ ـ قال الشيخ : قوله « لم إيثم » هو لغة لبعض العرب . يقولون « إيثم » مكان «أثم » وله نظائر فى كلامهم . قالوا « تِيجع ، وتِيجل » مكان يوجع ويوجل .

« وحراء » جبل بمكة وأصحاب الحديث يقصرونه وأكثرهم يفتحون الحاء ، ويكسرون الراء .

سمعت أبا عمر يقول « حراء » اسم على ثلاثة أحرف . وأصحاب الحديث يغلطون منه فى ثلاثة مواضع : يفتحون الحاء ، وهي مكسورة . ويكسرون الراء ، وهى مفتوحة ويقصرون الألف ، وهى ممدودة وأنشد :

وراق فى حِراء ونازل

---

(١) هذا الحديث ليس عند المنذرى ، لأنه من رواية ابن داسة وأبى الحسن بن العبد ، كما قال المزى فى الأطراف . (٢) قال فى فتح الودود : لقد أحسن أبو داود فى الكناية عن إسم معاوية والمغيرة بفلان ، ستراً عليهما لأنهما صحابيان . اهـ عون المعبود .

وأخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجة ، وقال الترمذى : حسن صحيح

وقد أخرجه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة بنحوه

٤٤٨٤ ـ وعن عبد الرحمن بن الأخْنَس «أنه كان فى المسجد ، فذكر رجلٌ عليًّا رضى الله عنه ، فقام سعيدُ بن زيد ، فقال : أشهدُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنِّى سمعته ، وهو يقول : عشرة فى الجنة : النبىُّ فى الجنة ، وأبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير بن العوام فى الجنة ، وسعد بن مالك فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة . ولو شئتُ لسميتُ العاشر ، قال : فقالوا : من هو ؟ فسكت ، قال : فقالوا : من هو ؟ قال : سعيد بن زيد » .

وأخرجه الترمذى والنسائى .

٤٤٨٥ ـ وعن رِياح بن الحارث، قال :« كنت قاعداً عند فلان فى مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة ، فجاء سعيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، فرحَّب به وحَياه وأقعده عند رِجْله على السرير ، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له : قيس ابن علقمة ، فاستقبله ، فسَبَّ وسب ، فقال سعيد : من يسبُّ هذا الرجلُ ؟ قال : يسبُّ عليًّا ، قال : ألا أرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسَبُّون عندك ثم لاتُنكِرُ ، ولا تُغَيِّرُ ؟! أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ـ وإِنى لَغَنِىٌّ أن أقول عليه مالم يقل ، فيسألُنى عنه غداً إذا لقيتُه ـ : أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ـ وساق معناه ، ثم قال : لَمَشْهَدُ رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تَغَبَّرَ فيه وجهه خير من عمل أحدكم عُمُرَهُ ، ولو عُمِّرَ عمرَ نوح » .

وأخرجه النسائى وابن ماجة

٤٤٨٦ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن نبي الله صلى الله عليه وسلم صَعَد أُحُداً . فتبعه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فرجَفَ بهم ، فضربه نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم برِجْله ، وقال : اثْبُتْ أُحُدُ ، نَبِيٌّ وصِدِّيق وَشَهِيدان »

وأخرجه البخارى والترمذى والنسائى .

٤٤٨٧ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتانى جبريل ، فأخذ بيدى ، فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى . فقال أبو بكر : يارسول الله ، وَدِدْتُ أنى كنت معك حتى أنظرَ إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَا إنك ياأبا بكر أوَّلُ من يدخل الجنة من أمتى»

فى إسناده: أبو خالد الدَّالانِيُّ، يزيد بن عبد الرحمن ، وثقه أبو حاتم الرازى، وقال ابن معين : ليس به بأس .

وعن الإمام أحمد نحوه . وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به إذا وافق الثقات ، فكيف إذا انفرد عنهم بالمعضِلات ؟ !

٤٤٧٨ ـ وعن جابر ـ وهو ابن عبد الله رضى الله عنهما ـ عن رسول الله صلى الله

٤٤٨٧ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله حديث « أما إنك يا أبا بكر لأول من يدخل الجنة من أمتى » وكلام المنذرى عن ابن حبان فى أبى خالد الدالانى — إلى قوله — فكيف إذا انفرد بالمعضلات ؛ ثم زاد ابن القيم :

وقد روى ابن ماجة فى سننه من حديث دواد بن عطاء المدينى عن صالح بن كيسان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول من يصافحه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه ، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة » .

وداود بن عطاء هذا ضعيف عندهم .

وإن صح فلا تعارض بينهما ، لأن الأولية فى حق الصديق : مطلقة، والأولية فى حق عمر : مقيدة بهذه الأمور فى الحديث .

عليه وسلم أنه قال « لَا يَدْخُلُ النَّارَ أحد ممن بايع تحت الشجرة » .

وأخرجه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حسن صحيح . هـذا آخر كلامه .

وقد أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله عن أم مبشر : أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ـ الذين بايعوا تحتها » .

وذكر قصة حفصة بنت عمر رضى الله عنهما .

٤٤٨٩ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالَ مُوسَى ـ وهو ابن إسماعيل : « فلعل الله . وقال ابن سنـان ، وهو أحمد ـ اطَّلع اللهُ على أهل بَدْرٍ ، فقال : اعملوا ماشئتم . فقد غفرت لـكم »

وهذا الفصل قد أخرجه البخارى ومسلم وأبو داوذ والترمذى والنسائى فى الحديث الطويل من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه [١] .

٤٤٩٠ ـ وعن المِسْوَر بن مَخْرمة رضى الله عنهما قال : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم زَمَنَ الْحُدَيبية ـ فذكر الحديث ـ قال : فأتاه ـ يعني عُروة بن مسعود ـ فجعل يكلِّم النبي صلى الله عليه وسلم ، فـكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرةُ بن شعبة قائم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعه السيف ، وعليه المِغْفَر ، فضرب يده بنَعْل السيف ، وقال : أخِّرْ يَدكَ عن لحيته ، فرفع عُروةُ رأسه ، فقال : مَن هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة » .

وأخرجه البخارى مطولا ، وقد تقدم فى كتاب الجهاد .

٤٤٩١ ـ وعن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب ، قال : « بعثنى عمر إلى الأسْقُفِّ

---

(١) فى قصة حاطب بن أبى بلتعة والـكتاب الذى كتبه لقريش ، وبعث به مع الظعينة

فدعوته ، فقال له عمر : وهل تجدُنى في الكتاب ؟ قال : نعم ، قال : كيف تجدنى ؟ قال : أجِـدُك قَرْناً ، فرفع عليه الدِّرَّة ، فقال : قَرْنُ مَهْ ؟ فقال : قرن حديدٌ ، أمينٌ شديدٌ ، قال : كيف تجد الذى يجىء مِنْ بعدى ؟ فقال : أجده خليفة صالحا،غير أنه يُؤْثِر قَرابته ، قال عمر : يرحم الله عثمان ـ ثلاثا ـ فقال : كيف تجد الذى بعده ؟ قال : أجده صَدَأً حديدٍ ، فوضع عمر يده على رأسه . فقال : يادَفْراه يادَفْراه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه خليفة صالح ، ولكنه يُسْتَخلف حين يُسْتخلف والسيفُ مسلولٌ ، والدم مُهْرَاقٌ » (١)

قال أبو داود : الدفر النتن .

باب فى فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤ : ٣٤٦]

٤٤٩٢ ـ عن زُرارة بن أوْفَى ، عن عمران بن حصين رضى الله عنهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرُ أمَّتِي : القَرْن الذى بُعِثْتُ فيهم ، ثم الذين يَلُونَهم ، ثم الذين يلونهم ـ والله أعلم:أذكر الثالث أم لا؟ ـ ثم يظهر قومٌ يَشْهَدُون

٤٤٩١ ـ قال الشيخ : « الصدأ » مايعلوا الحديد من الدرن ، ويركبه من الوسخ .

وقوله « يادفراه يادفراه » فان الدفر بفتح الدال غير المعجمة وسكون الفاء النتن ، ومنه قيل للدنيا : أم دَفْر .

فأما « الذفر » بالذال المعجمة وفتح الفاء فانه يقال لكل ريح ذكية شديدة من طيب أونتن.

٤٤٩٢ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله الحديث الذى فى الباب ، ثم ذيل عليه ، قال الشيخ : هذا الحديث قد روى من حديث عمران بن حصين ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى هريرة وعائشة ، والنعمان بن بشير .

---

(١) « الأسقف » رئيس النصارى الدينى . و « القرن » بفتح القاف . الحصن . ولذا قيل لها : صياصى . وقول عمر رضى الله عنه « قرن مه » أى ماذا تعنى بالقرن ؟

وهذا الحديث ليس عند المنذرى لأنه ليس من رواية اللؤلؤى ، وإنما هو من رواية أبى بكر بن داسة . ولذا ذكره الخطابى . وعزاه المزى فى الأطراف لأبى داود ، وقال : ولم يذكره أبو القاسم الدمشقى .

ولا يُسْتَشْهَدُون ، ويَنْذِرُون ولا يُوفون ، ويَخونون ولا يُؤتَمَنون ، ويفشو فيهم السِّمَنُ » .

وأخرجه مسلم والترمذى . وقد أخرجه البخارى ومسلم والنسائى من حديث زَهْدَم بن مُضَرِّب عن عمران بن حصين .

فأما حديث عمران : فمتفق عليه ، واختلف فى لفظه ، فأكثر الروايات : أنه ذكر بعد قرنه قرنين ، ووقع فى بعض طرقه فى الصحيح « ثم الذين يلونهم ـ ثلاث مرات » ولعل هذا غير محفوظ ، فإن عمران قد سئل فيه ، فقال « لاأدرى : أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه : مرتين أو ثلاثاً ؟ »

وأما حديث عبد الله بن مسعود : فأخرجاه فى الصحيحين ولفظه « خير أمتى : القرن الذين يلونى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » .

وفى لفظ لهما « سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الناس خير ؟ قال : قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » فلم يختلف عليه فى ذكر « الذين يلونهم » مرتين .

وأما حديث أبى هريرة : فرواه مسلم فى صحيحه ، ولفظه « خير أمتى الذين بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، والله أعلم : أذكر الثالث أم لا ؟ قال : ثم يخلف قوم يحبون الشماتة ، يشهدون قبل أن يستشهدوا »

فهذا فيه قرن واحد بعد قرنه ، وشك فى الثالث ، وقد حفظه عبد الله بن مسعود وعمران وعائشة .

وأما حديث عائشة : فرواه مسلم أيضاً عنها قالت « سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الناس خير ؟ قال : القرن الذى أنا فيه . ثم الثانى . ثم الثالث »

وأما حديث النعمان بن بشير : فرواه ابن حبان فى صحيحه . ولفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يأتى قوم تسبق أيمانهم شهادتهم ، وشهادتهم أيمانهم » .

فقد اتفقت الأحاديث على قرنين بعد قرنه صلى الله عليه وسلم ، إلا حديث أبى هريرة . فإنه شك فيه .

وأما ذكر القرن الرابع : فلم يذكر إلا فى رواية فى حديث عمران . لكن فى الصحيحين له شاهد من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال « يأتى على الناس زمان ـ فيغزو فئام من الناس . فيقال لهم : هل فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

باب النهى عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤ : ٣٤٦]

٤٤٩٣ ـ عن أبى سعيد ـ وهو الخدرى ـ رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تَسُبُّوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده ، لو أنفَقَ أحَدُكم مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفه » .

٤٤٩٣ ـ قال الشيخ : « النصيف » بمعنى النصف ، كما قالوا : التَّمين بمعنى الثمن . قال الشاعر :

فمـا طار لى فى القسم إلا ثمينها .

وقال آخر :

لم يعدها مُدٌّ ولا نصيف

والمعنى : أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة الذى أنفقوه فى سبيل الله مع شدة العيش والضيق الذى كانوا فيه : أوفَى عند الله وأزكى من الـكثير الذى ينفقه مَنْ بعدهم [١] .

فيقولون : نعم ، فيفتح لهم . ثم يغزو فئام من الناس ، فيقال لهم : هل فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم . ثم يغزو فئام من الناس ، فيقال لهم : هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم » .

فهذا فيه ذكر قرنين بعده . كما فى الأحاديث المتقدمة .

ورواه مسـلم . فذكر ثلاثة بعده . ولفظه « يأتي على الناس زمان يبعث منهم البعث ، فيقولون : انظروا : هل تجدون فيكم أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيوجد الرجل ، فيفتح لهم به ، ثم يبعث البعث الثانى ، فيقولون : هل فيكم من رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيفتح لهم . ثم يبعث البعث الثالث . فيقال : انظروا ، هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم ؟ فيفتح لهم . ثم يكون البعث الرابع . فيقال : انظروا ، هل ترون فيهم أحداً رأى من رأى أحدا رأى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فيوجد الرجل فيفتح له » .

---

(١) لم يكن ذلك لذواتهم ولا لزمانهم . وإنما كان لمـا فى قلوبهم من صدق الإيمان والاخلاص وصفاء السريرة ، وطهارة القلوب ، وزكاء النفوس ، والله الموفق .

وأخرجه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة .

٤٤٩٤ ـ وعن عمرو بن أبى قُرَّة ، قال « كان حذيفة بالمداين ، فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأناس من أصحابه فى الغضب ، فينطلق ناسٌ ممن سمع ذلك من حذيفة ، فيأتون سَلْمان ، فيذكرون له قولَ حذيفة ، فيقول سَلْمانُ : حذيفة أعلم بما يقول، فيرجعون إلى حذيفة ، فيقولون له : قد ذكرنا قولك لسلمان . فما صدَّقك ولا كَذَّبك ، فأتى حذيفةُ سلمانَ ، وهو فى مَبْقَلَةٍ[1] ، فقال: ياسلمان ، ما يمنعك أن تُصَدِّقنى بما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال سلمان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغضبُ ، فيقول فى الغضب لناس من أصحابه ، ويرضى ، فيقول فى الرضَي لناس من أصحابه ، أما تنتهى حتى تُوَرِّثَ رجالاً حُبَّ رجال ، ورجالا بُغْضَ رجال ، وحتى تُوقِع اختلافًا وفُرقة ؟ ولقد علمتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال : «أيُّما رجل من أمتى سَبَبْتُهُ سَبَّةً ، أو لعنته لعنة فى غضبى ، فإنما أنا من بنى آدم ، أغضب كما يغضبون ، وإنما بعثنى رحمةً للعالمين ، فاجْعَلْها عليهم صلاة يوم القيامة » والله لَتَنْتَهِيَنَّ أوَلأَكْتُبَنَّ إلى عمر » .

وهذا الفصل الأخير قوله صلي الله عليه وسلم : « فأيما مؤمن سببته » قد أخرجه البخاري ومسلم فى صحيحيهما من حديث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة .

باب فى استخلاف أبى بكر رضى الله عنه [٤ : ٣٤٨]

٤٤٩٥ ـ عن عبد الله بن زَمَعَة ، قال : « لما اسْتُعِزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم

٤٤٩٥ ـ قال الشيخ : يقال : « استعزّ بالمريض » إذا غُلب على نفسه من شدة المرض .

---

(١) المبقلة : مزرعة البقل .

وأنا عنده فى نفر من المسلمين ـ دعاه بلالٌ إلى الصلاة ، فقال : مُروا مَنْ يصلى للناس ، فخرج عبدُ الله بن زَمَعة ، فإذا عمرُ فى الناس ، وكان أبوبكر غائباً . فقلت: ياعمر ، قُمْ فَصَلِّ بالناس ، فتقدم فكبر ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صَوْتَهُ ،وكان عمر رجلا مِجْهَراً ؛ قال : فأين أبو بكر ؟ يأْبَى اللهُ ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون ، فبعث إلى أبى بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس » .

فى إسناده محمد بن إسحاق بن يسار ، وقد تقدم الاختلاف فيه .

٤٤٩٦ ـ وعنه ـ بهذا الخبر ، قال :« لما سمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم صوتَ عمر ، قال ابن زَمعة : خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى أطلع رأسَه من حُجرته ، ثم قال : لا ، لا ، لا . لِيُصَلِّ للناس ابنُ أبى قُحافة » يقول ذلك مُغْضَباً .

فى إسناده : موسى بن يعقوب الزَّمْعي ، قال النسائى : ليس بالقوى .

وأصله من العَزِّ . وهو الغلبة والاستيلاء على الشىء ، ومن هذا قولهم « مَنْ عَزَّ بَزَّ » أى من غلب سَلَب[1] .

وقوله « وكان رجلاً مجهراً » أى صاحب جَهْر ورَفْعٍ لصوته ، يقال : جهر الرجل صوته ، ورجلٌ جهير الصوت ، وجَهير المنظر ، وأجهر : إذا عُرِف بشدة جهر الصوت ، فهو مجهر .

وفى الخبر دليل : على خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

وذلك أن قوله صلى الله عليه وسلم « يأبى الله ذلك والمسلمون » معقول منه : أنه لم يرد به نفى جواز الصلاة خلف عمر ، فان الصلاة خلف عمر رضى الله عنه ومَنْ دونه من المسلمين جائزة ، وإنما أراد به الإمامة التى هي دليلُ الخلافة ، والنيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القيام بأمر الأمة بعده .

---

(١) ومن هذا قوله تعالى فى سورة ص (٣٨ : ٢٣ وعزنى فى الخطاب) .

وفى إسناده أيضاً : عبد الرحمن بن إسحٰق ، ويقال له : عباد بن إسحٰق ، وقد تـكلم فيه غير واحد . وأخرج له مسلم . واستشهد به البخارى .

باب مايدل على ترك الـكلام فى الفتنة [٤ : ٣٤٩]

٤٤٩٧ ـ عن أبى بكرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحسن بن على « إِنَّ ابْنِي هٰذَا سَيِّدٌ ، وإني لأرجو أن يُصلح الله به بين فئتين من أمتي ـ وقال فى حديث حماد ـ : ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » .

وفى إسناده : على بن زيد بن جُدعان ، رواه عن الحسن البصرى ، ولا يحتج به.

وأخرجه أبو داود والترمذى من حديث أشعث بن عبد الملك الحُمرانى عن الحسن ، وقد استشهد به البخارى ، ووثقه غير واحد .

وأخرجه البخارى والنسـائى من حديث أبى موسى إسرائيل بن موسى عن الحسن .

٤٤٩٧ـقال الشيخ « السيد » يقال : اشتقاقه من السواد ، أى هو الذى يلى السواد العظيم . ويقوم بشأنهم .

وقد خرج مصداق هذا القول فيه بما كان من إصلاحه بين أهل العراق وأهل الشام وتَخَلِّيه عن الأمر ، خوفاً من الفتنة ، وكراهية لإراقة الدم ، ويسمى ذلك العامُ سنةَ الجماعة

وفى الخبر دليل : على أن واحداً من الفريقين لم يخرج بما كان منه فى تلك الفتنة من قول أو فعل : عن مِلة الإسلام ، إذ قد جعلهم النبى صلى الله عليه وسلم مسلمين .

وهكذا سبيل كل متأول فيما تعاطاه من رأي ومذهب دعا إليه ، إذا كان قد تأوَّله بشبهة وإن كان مخطئاً فى ذلك .

ومعلوم أن إحدى الفئتين كانت مصيبة والأخرى مخطئة .

٤٤٩٨ ـ وعن محمد ـ وهو ابن سيرين ـ قال : قال حذيفة : « ما أحدٌ من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مَسْلَمة . فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تَضُرُّكَ الْفِتْنَة » .

٤٤٩٩ ـ وعن ثعلبة بن ضُبَيعة ، قال : « دخلنا على حذيفة ، فقال : إنى لأعرف رجلا لا تضره الفِتَن شيئا ، قال : فخرجنا، فإذا فُسطاط مضروب ، فدخلنا، فاذا فيه محمد بن مسلمة ، فسألناه عن ذلك ، فقال : ما أريد أن يشتمل عليَّ شيء من أمصاركم حتى تَنْجَلِيَ عما انجلت » .

٤٥٠٠ ـ وعن ضبيعة بن حصن الثعلبي ، بمعناه .

وفى كلام البخارى : مايدل على أن ثعلبة وضُبيعة واحد اختلف فيه .

وضبيعة : بضم الضاد المعجمة ، وفتح البـاء الموحدة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وعين مهملة مفتوحة . وتاء تأنيث .

٤٥٠١ ـ وعن قيس بن عُبَاد ، قال: قلت لعلى رضى الله عنه« أخْبِرْنا عن مَسِيرِك هذا ، أعهدٌ عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ،أم رأى رأيته ؟ قال : ما عهد إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ، ولـكنه رأىٌ رأيته» .

٤٥٠٢ ـ وعن أبى سعيد ـ وهو الخدرى ـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم « تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهاَ أَوْلَى الطائفتين بالحقِّ » .

باب فى التخيير بين الأنبياء [٤ : ٣٥٠]

٤٥٠٣ ـ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تُخَيِّرُوا بين الأنبياء »

٤٥٠٣ ـ قال الشيخ : معنى هذا : ترك التخيير بينهم على وجه الإزراء ببعضهم ، فإنه ربما

وأخرجه البخارى ومسلم أتمَّ منه .

٤٥٠٤ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « مَا يَنْبَغِي لعبدٍ أن يقول : إنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى »

وأخرجه البخارى ومسلم .

أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم ، والإخلال بالواجب من حقوقهم ، و بفرض الإيمان بهم

وليس معناه : أن يعتقد التسوية بينهم فى درجاتهم ، فإن الله سبحانه قد أخبر أنه قد فاضل بينهم ، فقال عز وجل (٢:٢٥٣ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كَلَّمَ ورفع بعضهم درجات) .

٤٥٠٤ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله حديث ابن عباس « ما ينبغى لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » ثم قال :

وفى حديث ابن عباس ـ فى بعض طرق البخارى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه عز وجل « لا ينبغى لعبد ـ الحديث » ورواه مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ـ يعنى الله عز وجل ـ « لا ينبغى لعبد لى أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » .

وفى رواية « لعبدى » .

وفى حديث ابن عباس نسبه إلى أبيه .

وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس بن متى » .

وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما ينبغى لعبد أن يكون خيراً من يونس بن متى » .

وفى لفظ آخر « أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » ذكره البخارى أيضاً .

وفى صحيح البخارى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الكريم ابن الكريم ابن الكريم : يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم » ونحوه في الصحيحين من حديث أبى هريرة .

٤٥٠٥ ـ وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما ، قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ماينبغى لنبيٍّ أن يقول : إنى خيرٌ من يونسَ بن مَتَّى »

فى إسناده : محمد بن إسحاق بن يسار

٤٥٠٦ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رجل من اليهود « والذى اصطفى موسى ، فرفعَ المسلمُ يدَه ، فَلَطَمَ وَجْهَ اليهودىِّ ، فذهبَ اليهودىُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لاَ تُخَيِّرُونِى عَلَى مُوسَى ، فإنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفيقُ ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ فِى جَانِبِ الْعَرْشِ ، فَلاَ أَدْرِى : أكان ممن صَعِقَ فأفاق قبلى ، أو كانَ ممن استثنى اللهُ عز وجل (١) »

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

٤٥٠٥،٤٥٠٨ ـ قال الشيخ : قد يتوهم كثير من النـاس أن بين الحديثين خلافاً .

وذلك : أنه قد أخبر فى حديث أبى هريرة « أنه سيد ولد آدم » والسيد أفضل من المسود

وقال فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما « ما ينبغى لعبـد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » .

وأخرج البخارى أيضاً عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خفف على داود القرآن . فكان يأمر بدوابه فتسرج ، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه . ولا يأكل إلا من عمل يده » .

والمراد بالقرآن ههنا : الزبور . كما أريد بالزبور القرآن في قوله تعالى (٢١ : ١٥٠ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر : أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) .

---

(١) الرجل الذى لطم اليهودى : هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وجاء فى بعض طرقه « أنه رجل من الأنصار » وهو خلاف ماتقدم ، إلا أن تكونا قضيتين . واسم اليهودى فنحاص . من هامش المنذرى .

٤٥٠٧ ـ وعن أنس رضى الله عنه، قال : قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم « يا خَيْرَ البَرِيَّةِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاكَ إبراهيم »

وأخرجه مسلم والترمذى .

٤٥٠٨ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنَا سَيِّدُ وَلَد آدم ، وأوَّلُ من تَنْشَقُّ عنه الأرضُ ، وأولُ شافع ، وأول مُشَفَّعٍ »

وأخرجه مسلم .

ويجمع بين حديث أنس و بين حديث أبى هريرة : بأن يكون قوله « فلا أدرى » قبل أن يعلم أنه أول من تنشق الأرض عنه ، إن حمل اللفظ على ظاهره

والأمر فى ذلك بيِّن، ووجه التوفيق بين الحديثين واضح .

وذلك : أن قوله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم » إنما هو إخبار عما أكرمه الله به من الفضل والسؤدد ، وتَحَدُّث بنعمة الله عليه ، وإعلام لأمته وأهل دعوته مكانَه عند ربه ، ومحله من خصوصيته ، ليكون إيمانهم بنبوته واعتقادهم لطاعته على حسب ذلك، وكان بيان هذا لأمته ، وإظهاره لهم : من اللازم له ، والمفروض عليه .

فأما قوله فى يونس صلوات الله عليه وسلامه : فقد يتأول على وجهين .

أحدهما : أن يكون قوله « ماينبغى لعبد » إنما أراد به مَنْ سواه من الناس، دون نفسه

والوجه الآخر : أن يكون ذلك عاماً مطلقاً فيه ، وفى غيره من الناس ، ويكون هذا القول منه على الهضْم من نفسه ، وإظهار التواضع لربه .

يقول : لاينبغى لى أن أقول : أنا خير منه ، لأن الفضيلة التى نلتها كرامة من الله سبحانه ، وخصوصية منه : لم أنلها من قِبَل نفسى ، ولا بلغْتُها بحَوْلى وقوتى ، فليس لى أن أفتخر بها ، وإنما يجب على أن أشكر عليها ربى .

وإنما خَصَّ يونسَ بالذكر ـ فيما نرى والله أعلم ـ لما قصه الله تعالى علينا من شأنه ، وما كان من قلة صبره على أذى قومه، فخرج مغاضباً لهم ، ولم يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل

وانفراده بذلك ، أو يحمل على أنه : من الزمرة الذين هم أول من تنشق عنهم الأرض ، لاسيما على رواية من روى « أو فى أول من يبعث » فيكون موسى أيضا من تلك الزمرة . وهى ـ والله أعلم ـ زمرة الأنبياء .

٤٥٠٩ ـ وعنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أدْرِى : تُبَّعٌ : ألَعِينٌ هو ، أم لا ؟ وما أدرى : أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هو ، أم لا ؟ »

٤٥١٠ ـ وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أَنَا أَوْلَى النَّاس بابْنِ مَرْيَمَ ، الأنبياء أولاد عَلاّتٍ [1] ، وليس بينى وبينه نبيٌّ »

وأخرجه البخارى ومسلم .

قلت : وهذا أولى الوجهين ، وأشبههما بمعنى الحديث ، فقد جاء من غير هذا الطريق أنه صلى الله عليه وسلم قال « ماينبغى لنبي أن يقول : إنى خير من يونس بن متى » فعم به الأنبياء كلهم ، فدخل هو فى جملتهم ، وقد ذكره أبو داود فى هذا الباب .

قال : حدثنا عبد العزيز بن يحيي حدثنى محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل ابن حكيم عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن جعفر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) «العلة» الضرة . وأولاد العلات : أولاد الضرائر . وسميت بذلك : لأن الذى تزوجها على الأولى كانت قبلها . ثم عل من هذه . والعلل : الشرب الثانى . معناه : أن الأنبياء بعثوا متفقين فى أصول التوحيد متباينين فى فروع الشرع .

وقيل : أراد أن الأنبيـاء يختلفون فى أزمانهم وإن شملتهم النبوة . فكأنهم أولاد علات . لم يجمعهم زمن واحد . كما لم يجمع أولاد العلات بطن واحد .

وقوله «أولى» بمعنى أقرب . ولما لم يكن بينهما نبى كانا كأنهما فى زمن واحد . اهـ من هامش المنذرى .

أقول : ولعل الأظهر فى معنى الحديث : أن مرجع نبوة الأنبيـاء فى الأصول والفروع إلى منبع واحـد ، وهو الوحى من عند رب العالمين ، كما أن الإخوة مرجعهم لأصل واحد هو الأب ، وإن اختلفت صفاتهم وأشكالهم وألوانهم باختلاف البطون .

باب فى رد الإرْجاء [٤ : ٣٥٣]

٤٥١١ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الإِيمَانُ بِضْعٌ وسبعون . أفضلُها : قولُ لا إله إلا الله ، وأدناها إماطَةُ الأذى عن الطريقِ ، والَحياء شُعبةٌ من الإيمان »

وقد قيل : إن قوله « نا سيد ولد آدم » إنما أراد به يوم القيامة حين قدِّم عليهم بالشفاعة ، وسادهم بها .

٤٥١١ ـ قال الشيخ : قوله « بضع » ذكر أبو عمر عن أبى العباس أحمد بن يحيى ـ أحسبه عن ابن الأعرابى ـ قال : يقال « بِضْع » فيما بين الثلاثة إلى تمام العشرة « ونيف » لما زاد على العقد من الواحد إلى الثلاثة .

قلت : وفى هذا الحديث : بيان أن الإيمان الشرعى اسم لمعنى ذى شُعَبٍ وأجزاء ، له أعلى وأدنى ، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضى جميع

٤٥١١ ـ ذكر ـ الشيخ ابن القيم رحمه الله : حديث « الإيمان بضع وسبعون » ثم قال :

ولفظ مسلم « الإيمان بضع وسبعون شعبة » وفى كتاب البخارى « بضع وستون » وفى بعض رواياته « بضع وسبعون » .

والمعروف « ستون » وقد رواه مسلم بالوجهين على الشك عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الإيمان بضع وسبعون ؛ أو بضع وستون شعبة »

وحديث « الحياء شعبة من الإيمان » رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة ، وابن عمر وأبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري ، وعمران بن حصين

وفى حديث ابن عمر المتفق عليه فى سؤال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ؟ فقال « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الذكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » .

وفى الصحيحين من حديث طلحة بن عبيد الله « جاء رجل من أهل نجد ثائر الرأس ، نسمع دوى صوته ، ولا نفقه ما يقول . حتى دنا من رسول الله صلي الله عليه وسلم . فاذا هو يسأل عن الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس صلوات فى اليوم والليله ـ الحديث » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة .

٤٥١٢ ـ وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَكْمَلُ المؤمنين إيمانا : أَحْسَنُهم خُلُقاً »

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن صحيح . وزاد فى آخره « وخِيارُكم : خياركم لنسائه [1] »

شُعَبِها ، وتستوفى جملة أجزائها ، كالصلاة الشرعية : لها شعب وأجزاء ، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضى جميع أجزائها وتستوفيها .

ويدل على ذلك قوله « الحياء شعبة من الإيمان » فأخبر أن الحياء إحدى تلك الشعب

وفى هذا الباب : إثبات التفاضل فى الإيمان ، وتباين المؤمنين فى درجاته .

ومعنى قوله « الحياء شعبة من الإيمان » أن الحياء يقطع صاحبه عن المعاصي ويحجزه عنها ، فصار بذلك من الإيمان ، إذ الإيمان بمجموعه ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به وانتهاء عما نهى الله عنه .

وفى مسند الامام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت » .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو « أن رجلا سأل النبي صلي الله عليه وسلم : أى الاسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام . وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

وفى الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ـ وقال مسلم ـ : حتى يحب لجاره ، أو قال لأخيه »

وفى الصحيحين عن أنس أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وقال مسلم « من أهله وماله والناس أجمعين »

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

---

(١) هذا الحديث غير موجود ، ولا فى نسخة من نسخ أبي داود التى بأيدينا .

٤٥١٣ ـ وعن جابر ـ وهو ابن عبد الله رضى الله عنهما ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة »

٤٥١٣ ـ قال الشيخ : « التروك » على ضروب .

منها : ترك جَحْدٍ للصلاة . وهو كفر بإجماع الأمة .

ومنها : ترك نسيان . وصاحبه لا يكفر بإجماع الأمة .

ومنها : ترك عَمْدٍ من غير جحد ، فهذا قد اختلف الناس فيه .

فذهب إبراهيم النخعى وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية : إلى أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يخرج وقتها : كافر .

وقال أحمد : لا نكفر أحداً من المسلمين بذنب إلا تارك الصلاة .

وقال مكحول والشافعى : تارك الصلاة مقتول ، كما يقتل الكافر ، ولا يخرج بذلك من الملة . ويدفن فى مقابر المسلمين ، ويرثه أهله .

إلا أن بعض أصحاب الشافعى قال : لا يصلى عليه إذا مات .

واختلف أصحاب الشافعى فى كيفية قتله .

فذهب أكثرهم إلى أنه يقتل صبراً بالسيف .

وقال ابن سُريج : لا يقتل صبراً بالسيف ، لكن لا يزال يضرب حتى يصلى ، أو يأتى الضرب عليه فيموت .

وسلم يقول « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الايمان »

وفى صحيح مسلم أيضاً عن عبد الله بن مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره . ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن . ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن . ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن . ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وفى الترمذى عن أبى مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أعطى لله ، ومنع لله ، وأحب لله ، وأبغض لله وأنكح لله : فقد استكمل إيمانه » وأبو مرحوم وسهل : قد ضعفا .

وأخرجه مسلم والترمذى والنسأئى وابن ماجة .

وقالوا : إذا ترك صلاة واحدة حتى يخرج وقتها قتل ، غير أبى سعيد الاصطخرى ، فإنه قال : لا يقتل حتى يترك ثلاث صلوات .

وأحسبه ذهب فى هذا إلى أنه ربما يكون له عذر في تأخير الصلاة إلى وقت الأخرى للجمع بينهما .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : تارك الصلاة لا يكفر ولا يقتل(1). ولكن يحبس و يضرب حتى يصلى .

وتأولوا الخبر على معنى الإغلاظ له والتوعد عليه .

---

(1) الصلاة : هى صلة المحبة بين الرب و بين العبد ، ولذلك كانت قرة عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرب يدعو بها عبده إلى فلاح الدنيا والآخرة ، والعبد بأشد الحاجة والفقر إليها ليناجى ربه فيها بما هو فقير إليه من أمور دينه ودنياه وآخرته ، فمن لم يجب داعى ربه الغنى الحميد إلى ذلك ، فلأنه لايحب ربه فهو لذلك يهرب من لقائه ويكره الاتصال به ومناجاته ، ولأنه يرى نفسه غنياً بماله وأهله وأصدقائه ولهوه ولعبه عن الفلاح الذى يدعوه إليه ربه ، ولأنه لا يؤمن بأن هناك فلاحاً يحصل عليه فى صلاته ومناجاته لربه ، بل على العكس : يرى فيها التعب والعناء والمشقة التى يرغب عنها إلى مازعمه أنه راحة فى الكسل عنها ، وإنما نشأ هذا كله عنده من غفلته عن آيات ربه ونعمه ، وإعراضه عن تفقه آى الذكر الحكيم وتدبرها والاهتداء بها . فدس نفسه فى حمأة التقليد الأعمى ، ومات قلبه وتعفن لبه فلم يؤمن بلقاء ربه وحسابه وجزائه العادل ، ولم يخطر له على بال ، وإن خطر فإنما على غباوة وجهل وكفر بعدل ربه وحكمته ، فيزعم له غروره أنه سينجو من عذاب الله وغضبه بمجرد تسميته ونسبته إلى الإسلام ، وترديده ألفاظاً لم يفقه معناها ولم يحاول أن يعمل بمقتضاها ، وأن سيكون له من شيوخه وأوليائه وآبائه شفعاء يحسب الله حسابهم ، ويخشى غضبهم — سبحان ربنا وتعالى عن ذلك علواً كبيراً — فعمى بكل ذلك عن عدل الله وحكمته . وأنه الحق المبين وأنه لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا . وأن وعده الحق وقوله الحق ، وأنه يجزى كل عامل بعمله الجزاء الأوفى . فى يوم الدين الذى لا تملك فيه نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله . فلذلك قال الله تعالى (٦ : ٩٢ والذين يؤمنون

ولفظ مسلم « بين الرجل وبين الشرك والكفر : ترك الصلاة » .

[باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه[1]] [٤ : ٣٥٤]

٤٥١٤ ـ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مارأيتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِى لُبٍّ مِنْكُنَّ . قالت : وما نقصان العَقْلِ والدين ؟ قال : أما نقصان العقل : فشهادةُ امرأتين شهادةُ رجلٍ وأما نقصان الدين : فانَّ إحداكن تُفْطِر رمضان ، وتُقِيم أيَّاماً لاتصلى[2] »

وأخرجه مسلم وابن ماجة .

بالآخرة يؤمنون به ، وهم على صلاتهم يحافظون) وقال (٣٠ : ٣١ منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) وقال غير ذلك كثيراً لمن عقل وتدبر ، فضلاً عما جاء فى السنة من مثل قوله صلى الله عليه وسلم فيما روى مسلم « بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة » وروى الترمذى عن عبد الله بن شقيق « كان أصحاب محمد لايرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » .

وبهذا يتبين أن تارك الصلاة كسلاً وتهاوناً بها عدو لربه كافر مشرك به ، مع فرعون وهامان وقارون وأبى بن خلف فى النار والله أعلم . وهو الموفق والهادى إلى سبيل الرشاد .

(١) العنوان : زيادة من نسخة عون المعبود .

(٢) بهامش المنذرى : الحائض يسقط عنها فرض الصلاة . ولا يجوز لها الصوم فى أيام حيضتها . وقيل : إن الأمة أجمعت على ذلك : أنها تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ، إلا أن طائفة من الخوارج الحرورية يرون عليها قضاء الصلاة ، وعلماء الأمة من الخلف والسلف على خلافهم .

وفى الحديث : أن العالم يكلم من دونه من المتعلمين بكلام يكون عليهم فيه بعض الشدة والنقص فى العقل .

وقيل : مقابلة الجماعة بالوعظ والشدة . لأن سبيله شموله لجماعتهم . وكذلك فعل النبى صلى الله عليه وسلم بالنساء . لم يخص فيهن واحدة منهن . وإنما قال لجماعتهن .

وفيه : ترك العتب للرجل أن تغلب محبة أهله عليه . لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد عذره بقوله « أغلب للب الرجل الحازم منكن » وإذا كن يغلبن الحازم ، فما الظن بغيره .

قيل : وصفهن بنقص العقل : لأجل النسيان وقلة الضبط .

وأخرجه البخارى ومسلم من حديث عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح عن أبى سعيد الخدرى .

٤٥١٥ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : « لما توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكَعْبَة ، قالوا : يارسول الله ، فكيفَ الذين ماتوا وهم يصلُّون إلى بيتِ المقْدِس ؟ فأنزل الله تعالى (٢ :١٤٣ وما كان الله ليُضِيع إيمانكم) »

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن صحيح .

٤٥١٦ ـ وعن عامر بن سعد بن أبى وَقَّاص ، عن أبيه رضى الله عنه ، قال « أعْطَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجالاً : ولم يُعْطِ رجلاً منهم شيئاً ، فقال سعد : يارسول الله ، أعطيتَ فلاناً وفلاناً ، ولم تُعْطِ فلاناً شيئاً ، وهو مُؤمنٌ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أوْ مُسْلم ، حتى أعادها سعدٌ ثلاثا . والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : أو مسلم . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنى أُعْطِى رجالاً وأدَعُ مَنْ هُوَ أحَبُّ إلى منهم لا أُعطيه شيئاً، مَخافة أن يُكَبُّوا فى النار على وجوههم »

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

« أو » ههنا بسكون الواو ، على معنى الإضراب عن قوله ، كأنه قال : بل قل : مسلما ، ولا تقطع بإيمانه . فان حقيقة الإيمان وباطنَ الخلق : لايعلمه إلا الله وإنما نعلم الظاهر ، وهو الإسلام .

وقد تكون « أو » بمعنى التى للشك . أى لاتقطع بأحدهما دون الآخر .

المعنى : هذه اللفظة التى تطلق على الظاهر أولى فى الاستعمال . إذ السرائرُ مَخْفيّة لايعلمها إلا الله .

وقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم فى أمته على الظواهر .

٤٥١٦، ٤٥١٧ ـ قال الشيخ : ما أكثر ما يغلط الناس فى هذه المسألة .

٤٥١٧ ــ وعن الزُّهْرى (٤٩ : ١٤ قل لم تؤمنوا ، ولـكن قولوا : أسلمنا) قال « نُرَى أنَّ الإسلامَ: الـكلمةُ ، والإيمانَ : العملُ »

٤٥١٨ ــ وعن عامر بن سعد ، عن أبيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم قَسَّمَ بين الناس قَسْماً ، فقلت : أعْطِ فلاناً . فانه مؤمن ، قال : أَوْ مُسْلم ، إِنى لأُعطى

فأما الزهرى : فقد ذهب إلى ما حكاه معمر عنه . واحتج بالآية .

وذهب غيره : إلى أن الايمان والإسلام شيء واحد .

واحتج بالآية الأخرى . وهى قوله (٥١ : ٣٤ ، ٣٥ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غيرَ بيتٍ من المسلمين) .

قال : فدلَّ ذلك على أن المسلمين هم المؤمنون . إذ كان الله سبحانه قد وَعَدَ أن يُخَلِّص المؤمنين من قوم لوط . وأن يخرجهم من بين ظَهْرانى مَنْ وجب عليه العـذاب منهم ، ثم أخبر أنه قد فعل ذلك بمن وجده فيهم من المسلمين ، إنجـازا للموعد ، فدل الإسلام على الايمان . فثبت أن معناهما واحد ، وأن المسلمين هم المؤمنون .

وقد تكلم فى هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم . وصار كل واحد منهما إلى مقالة من هاتين المقالتين.ورد الآخر منهما على المتقدم وصَنَّف عليه كتاباً يبلغ عدد أوراقه المائتين.

قلت : والصحيح من ذلك : أن يُقَيَّد الكلام فى هذا ، ولا يطلق على أحد الوجهين

وذلك : أن المسلم قد يكون مؤمناً فى بعض الأحوال ، ولا يكون مؤمناً فى بعضها . والمؤمن مسلم فى جميع الأحوال . فكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمناً .

فإذا حملت الأمر على هذا : استقام لك تأويل الآيات . واعتدل القول فيهـا . ولم يختلف عليك شيء منها .

وأصل الإيمان : التصديق . وأصل الاسلام : الاستسلام والانقياد[1] . فقد يكون المرء مستسلماً فى الظاهر غير منقاد فى الباطن ، ولا يكون صادق الباطن غيرَ منقاد فى الظاهر .

---

(١) الإيمان : هو حال تصطبغ النفس بها ثمرة علم يجيئهـا من طرق مأمونة الـكذب والضلال والخطأ . فإذا حصل للنفس هذه الحال من أثر هذا العلم ، آمنت وملك عليها =

الرجل العطاءَ وغَيْرُه أحَبُّ إليَّ منه ، مَخافة أنْ يُكَبَّ على وجهه »

وهو طرف من الذى قبله .

= جميع إرادتها وحركاتها . فتوجهت فيها على مقتضى هذا الذى آمنت به . فكانت مسلمة ، أى منقادة مذعنة ، لا تمرد فيها ولا عداوة ، لما آمنت به لسلامتها من ضده الذى يقتضى بغضه والنفور منه والتباعد عنه .

وعلى ذلك : فالإيمان بالله : هو عقيدة تصطبغ بها النفس ثمرة العلم الصحيح من التفكر فى آياته الكونية ، وسننه الحكيمة ونعمه وآلائه . ومن التدبر لآياته القرآنية وفهمها فهما يخرج له مقاصدها من أسماء الله وصفاته وسننه وجزائه وإتقانه وحكمته فى خلق السموات والأرض ومابينهما وأن كل ذلك بالحق ، وأنه خلق الإنسان فى هذه الحياة يبتليه بكل ما آتاه من النعم فى نفسه وفيما سخر له ، وأنزل له من الأرزاق والعلوم والهدايات مع رسله المكرمين من الملائكة ومن يصطفيهم من الإنسان يهديهم بها صراطه المستقيم ، وأنه أعد لهم داراً هى أحق بالعناية والاهتمام والعمل لها من هذه الدار ، تلك هى الدار الأخرى التى سيجزيهم فيها بكل ماسجل عليهم حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وعقائدهم فى هذه الدار الدنيا . وأن هذا الجزاء هوفوق مايتصوره عقل الإنسان من حكمة وعدل وحق .

فمن تفكر هذا التفكر وتدبر القرآن هذا التدبر : لا بد أن تصطبغ نفسه بحال من اليقين والإيمان بالله وأسمائه وصفاته ما يبعثه على البحث الدقيق عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهتدى به و يقفو أثره ، حرصا على السداد والاستقامة وخوفا من الزيغ والهلكة . ولا بد أن يكون مستسلماً أتم استسلام ، ومذعنا أذل وأخضع إذعان لذلك الرب العليم الحكيم القوى العزيز البر الرحيم ، شديد التحرى لإعطائه حقوقه كاملة من العبودية الصادقة بمنتهى الذل والحب خالصاً لربه وحده ، شديد التحرى فى إقامة هذه الحقوق لصراط الله المستقيم الذى قام عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم داعيا وهادياً إليه ، حافظا لحقوق نفسه وإخوانه من بنى الإنسان ، ولكل ما خلق الله من شىء . حريصاً أشد الحرص على أن تبقى حقائق الكون كما هى على ما خلقها الله بالحق ، ليتيسر له شكر ربه عليها حق شكره بحسن الانتفاع بها . فيكون من الصابرين الشاكرين ، جعلنا الله كذلك بمنه وكرمه .

٤٥١٩ ـ وعن ابن عباس قال « إن وَفْدَ عبدِ القَيْس لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالإيمان بالله ، قال : أتدرون ما الايمانُ بالله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلمُ ، قال : شهادةُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس من المغنم »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

٤٥٢٠ ـ وعن أبى أمامة ـ وهو الباهلى : صُدَىُّ بن عَجْلان رضى الله عنه ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مَنْ أحَبَّ لله ، وأبغض لله ، وأعْطَى لله ، ومنع لله : فقد استَكْمَلَ الإيمانَ »

فى إسناده : القاسم بن عبد الرحمن ، أبو عبد الرحمن الشامى . وقد تكلم فيه غير واحد .

٤٥١٩ ـ قال الشيخ : قد أعلم صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : أن الصلاة والزكاة من الايمان ، وكذلك صوم رمضان ، وإعطاء خُمس الغنيمة .

وكان هذا جواباً عن مسألة صدرت عن جهالة بالايمان وشرائطه ، فأخبرهم عما سألوه . وعلَّمهم ماجهلوه ، وجعل هذه الأمور من الايمان ، كما جعل الكلمة منه .

وليس بين هذا وبين قوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » خلاف ، لأنه كلمة شعار وقعت الدعوة بها إلى الإيمان ، لتكون أمارة للداخلين في الايمان والقابلين لأحكامه ، وهذا كلام قصد فيه البيان والتفصيل له ، والتفصيل لا يناقض الجملة . لكن يلائمها ويطابقها .

وقوله « فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » يتضمن جملة ما جاء فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، ويأتي على جميع ما ذكر فيه من الخلال المعدودة ، إلى سائر ماجاء فى سائر الأحاديث المروية فى هذا الباب ، وكلها تجرى على الوفاق ، ليس فى شىء منها اختلاف .

وإنما هو حمله على الوجه الذى ذكرته لك ، وتفصيل لها على المعنى الذى يقتضيه حكمها .

٤٥٢١ ــ وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكم رقابَ بعضٍ »

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة مختصراً ومطولا .

٤٥٢٢ ــ وعنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيُّما رَجُلٍ مُسْلِمٍ أكْفَرَ رَجُلاً مسلماً : فإنْ كان كافراً ، وإلاَّ كان هو الكافرُ »

٤٥٢٣ ــ وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله وسلم « أرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيه فَهُوَ مُنَافِقٌ خالصٌ ، ومن كانتْ فيه خَلّة منهنَّ كان فيه خَلّة من نِفاق ، حتى يَدَعَها : إذَا حَدَّث كذب ، وإذا وَعدَ أخْلَف ، وإذا عاهَد غَدَرَ ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ[1] »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة .

٤٥٢١ ــ قال الشيخ : هذا يتأوّل على وجهين .

أحدهما : أن يكون معنى « الكفار » المتكفِّرين بالسلاح . يقال : تكفَّر الرجل بسلاحه : إذا لبسه . فكفَرَ به نفسه . أى سترها .

وأصل الكفر : الستر، ويقال : سمى الكافر كافراً : لستره نعمة الله عليه ، أو لستره على نفسه شواهد ربوبية الله ، ودلائل توحيده .

وقال بعضهم : معناه : لا ترجعوا بعدى فِرَقاً مختلفين ، يضرب بعضكم رِقابَ بعض فتكونوا بذلك مضاهئين للكفار . فإن الكفار متعادون يضرب بعضهم رقابَ بعض . والمسلمون متآخون : يحقن بعضهم دماء بعض .

وأخبرنى إبراهيم بن فراس قال : سألت موسى بن هرون عن هذا ؟ فقال : هؤلاء أهل

---

(١) بهامش المنذرى : وسمى المنافق منافقا : لأنه يستر كفره ويغيبه ، فتشبه بالذى يدخل النفق . وهو السرب يستتر فيه .

وقيل : يشبه اليربوع . فإن له جحراً يقال له : النافقاء ، وآخر يقال له : القاصعاء . فإذا =

٤٥٢٤ ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يَزْنِي الزَّانِي حينَ يَزْنِي وهو مؤمن ، ولا يَسْرِق حين يسرق وهو مؤمن

الردة . فقتلهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه (١) .

٤٥٢٤ ـ قال الشيخ : الخوارج ومن يذهب مذهبهم ، ممن يُكَفِّر المسلمين بالذنوب : يحتجون به ، و يتأولونه على غير وجهه .

وتأويله عند العلماء على وجهين :

أحدهما : أن معناه النهى ، وإن كانت صورته صورة الخبر . يريد : لا يزنى الزانى

٤٥٢٤ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله حديث « لا يزنى الزانى » ثم قال :

وفى لفظ فى الصحيحين « ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع إليه الناس فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن ـ وزاد مسلم ـ ولا يغل حين يغل وهو مؤمن ، فاياكم إياكم » .

وزاد أبو بكر البزار فيه فى المسند « ينزع الإيمان من قلبه . فإن تاب تاب الله عليه » .

طلب من النافقاء : خرج من القاصعاء ، كذلك المنافق . لأنه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذى يدخل منه فيه .

وقيل : لإظهاره غير مايضمر ، تشبيها باليربوع أيضاً . وذلك : أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض أرق التراب . فاذا رابه ريب دفع ذلك برأسه . فخرج .فظاهر جحره: تراب كالأرض ، وباطنه : حفر . فكذلك المنافق : ظاهره إيمان . وباطنه كفر .

ومعنى قوله «فهو منافق خالص» أى فى هذه الخلال المذكورة فى الحديث فقط ،لافى نفاق الإسلام العام . ويكون نفاقه فى ذلك على من حدثه ووعده واتئمنه وخاصمه وعاهده من الناس لأنه منافق على المسلمين بإظهار الإسلام . وهو يبطن خلافه .

وقيل : إن الحديث إنما ورد فى منافقى زمان النبى صلى الله عليه وسلم الذين حدثوا : بأنهم آمنوا ، وكذبوا ، واتئمنوا على دينهم ، فخانوا . ووعدوا فى أمر الدين ونصره فأخلفوا .

وقد روى فى معناه حديث ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم .

وقوله «فجر» قيل : أصل الفجور الميل عن القصد . وقيل : أصله الشق . وبه سمى الفجر كما سمى فلقاً وفرقا . والعاصى : شاق لعصى الطاعة .

وقيل : أصله الانبعاث ، كانفجار الماء . ومنه سمى الفجر ، لانبعاث النور فى سواد الظلمة .

(١) وكذلك من كان على شاكلتهم ممن يفارق الهدى الذى جاء به رسول الله .

ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبةُ معروضة بَعْدُ »
وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

ـ بحذف الياء ـ ولا يسرق السارق ـ بكسر القاف ـ على معنى النهى .
يقول : إذ هو مؤمن لا يزنى . ولا يسرق ، ولا يشرب الخمر . فإن هذه الأفعال لا تليق بالمؤمنين . ولا تشبه أوصافهم .

وأخرج البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزنى العبد حين يزنى وهو مؤمن . ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن . ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن . ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن » قال عكرمة : قلت لابن عباس « كيف ينزع الإيمان منه ؟ قال هكذا ـ وشبك بين أصابعه . ثم أخرجها ـ فإن تاب عاد إليه هكذا ـ وشبك بين أصابعه » .

وروي ابن صخر فى الفوائد من حديث محمد بن خالد المخزومى عن سفيان الثورى عن زبيد اليامى عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اليقين الإيمان كله » وذكره البخارى فى صحيحه موقوفاً على ابن مسعود .

وفى صحيح مسلم عن أبي قتادة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم . فذكر الجهاد فى سبيل الله ، والايمان بالله أفضل الأعمال ـ الحديث » .

وفى الصحيحين عن أبي هريرة قال « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : الايمان بالله . قال : ثم ماذا ؟ قال الجهاد فى سبيل الله . قال : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » .

وفى لفظ « إيمان بالله ورسوله » وترجم عليه البخارى : ـ (باب) من قال : إن الايمان هو العمل . لقوله تعالى (٤٣ : ٧٢ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) وقال عدة من أهل العلم فى قوله تعالى (١٥ : ٩٢ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) : عن قول « لا إله إلا الله » .

وفى الصحيحين عن أبي ذر الغفارى قال « قلت: يا رسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : الايمان بالله والجهاد فى سبيله ـ الحديث »

وروى البزار في مسنده من حديث عمار بن ياسر عن النبيصلى الله عليه وسلم « ثلاث من جمعهن . فقد جمع الايمان: الانصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم . والانفاق من الاقتار ».

٤٥٢٥ ـ وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زنى الرجل خَرَجَ منه الإيمان ، كان عليه كالظُّلَّة ، فإذا أقلع رجع إليه الإيمانُ »

والوجه الآخر : أن هذا كلام وعيد ، لا يراد به الإيقاع . وإنما يقصد به الردع والزجر . كقوله صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده » وقوله : « لا إيمان لمن لا أمانة له » وقوله « ليس بالمسلم من لم يأمن جاره بوائقه » .

وذكره البخارى فى صحيحه عن عائشة من قولها .

وقال البخارى قال معاذ « اجلس بنا نؤمن ساعة » وقال البخارى فى الصحيح «باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان ، وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له ؟ ثم قال « جاء جبريل يعلمكم دينكم » فجعل ذلك كله ديناً .

وما بين النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس من الايمان وقوله تعالى (٣ : ٨٥ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وفى حديث الشفاعة المتفق على صحته «أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفى لفظ « مثقال دينار من إيمان » وفى لفظ « مثقال شعيرة من إيمان » وفى لفظ « مثقال خردلة من إيمان » وفى لفظ « انطلق فأخرج من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان » وفى لفظ « إذا كان يوم القيامة شفعت ، فقلت : يا رب ، أدخل الجنة من كان فى قلبه خردلة من إيمان ، فيدخلون . ثم أقول : أدخل الجنة من كان فى قلبه أدنى شىء . قال أنس : كأنى أنظر إلى أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وفى لفظ عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله ، وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة . ثم قال : يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وكان فى قلبه من الخير مايزن برة . ثم يخرج من قال لا إله إلا الله ، وكان فى قلبه من الخير مايزن ذرة » .

وترجم البخارى على هذا الحديث « باب زيادة الإيمان ونقصانه» وقوله تعالى (١٨ : ١٣ وزدناهم هدى) وقال (٧٤ : ٣١ ويزداد الذين آمنوا إيماناً) وقال (٥ : ٣ اليوم أكملت لكم دينكم) فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص .

وكل هذه الألفاظ التى ذكرناها فى الصحيحين ، أو أحدهما .

والمراد بالخير فى حديث أنس : الايمان فانه هو الذى يخرج به من النار . وكل هذه النصوص

باب فى القدر [٤ : ٣٥٧]

٤٥٢٦ – عن عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبيه ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ،

هذا كله على معنى الزجر والوعيد أو نفى الفضيلة ، وسلب الكمال ، دون الحقيقة فى رفع الإيمان وإبطاله . والله أعلم .

وقد روى فى تأويل هذا الحديث معنى آخر ، وهو مذكور في حديث رواه أبو داود فى هذا الباب رقم (٤٥٢٥) .

٤٥٢٦ – قال الشيخ : إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس فى قولهم

صحيحة صريحة لا تحتمل التأويل فى أن نفس الايمان القائم بالقلب يقبل الزيادة والنقصان ، وبعضهم أرجح من بعض .

وقال البخارى فى صحيحه : قال ابن أبى مليكة «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ، مامنهم من أحد يقول : إنه على إيمان جبريل وميكائيل » .

وقال البخارى أيضاً « باب الصلاة من الايمان وقوله عز وجل (٢ : ١٤٣ وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعنى صلاتكم عند البيت » ثم ذكر حديث تحويل القبلة .

وأقدم من روى عنه زيادة الايمان ونقصانه من الصحابة : عمير بن حبيب الخطمى (١).

---

(١) هو عمير بن حبيب بن حباشة – وقيل خماشة – بن جويد الخطمى الأنصارى ، جد أبى جعفر – عمير بن زيد بن عمير زيد الخطمى. المحدث يقال : إنه ممن بايع تحت الشجرة . روى أبوجعفر : أن جده عمير – وكان من بايع تحت الشجرة قال « أى بنى إياكم ومجالسة السفهاء . فان مجالستهم داء . وانه من يحلم عن السفيه يسر بحلمه . ومن يجبه يندم . ومن لا يقر بقليل ما يأتى به السفيه يقر بالكثير . وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه قبل ذلك على الأذى . وليوقن بالثواب . فانه من يوقن بالثواب من الله عز وجل لا يجد مس الأذى » اه من أسد الغابة .

وقال ابن حجر فى الاصابة : البخارى : قال بايع تحت الشجرة . وقال ابن السكن : مدنى له صحبة . ولم نجد له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه يثبت . وساق عن البغوى بسنده عن أبى جعفر الخطمى عن أبيه عن جده عمير بن حبيب قال « الايمان يزيد وينقص – الحديث» موقوف . قال ابن السكن : تفرد به حماد بن سلمة . وأخرجه ابن شاهين من وجه آخر عن حماد بن سلمة .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الْقَدَرِيَةُ مَجُوسُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ : إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ ، وإِنْ مَاتوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ »

بالأصلين ، وهما : النور والظلمة ، يزعمون : أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة ، فصاروا ثانوية .

قال الامام أحمد : حدثنا الحسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمى عن أبيه عن جده عمير بن حبيب قال « الايمان يزيد وينقص . قيل : ومازيادته ونقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وسبحناه ، فذلك زيادته . وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا . فذلك نقصانه » .

وقال أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن طلحة عن زبيد عن ذر قال « كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه : هلموا نزدد إيماناً ، فيذكرون الله تعالى » .

وقال أحمد : حدثنا وكيع عن شريك عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول فى دعائه « اللهم زدنى إيماناً ويقيناً وفقهاً ـ أو قال فهماً » وقال أحمد فى رواية المروزى أخبرنا يزيد بن هرون أخبرنا العوام حدثنا على بن مدرك عن أبي زرعة عن أبى هريرة قال « الايمان بر فمن زنا فارقه الايمان . فإن لام نفسه ورجع راجعه الايمان »

وفى تفسير على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (٤٨ : ٤ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) قال « إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله . فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلاة . فلما صدقوا بها زادهم الصيام . فلما صدقوا به زادهم الزكاة . فلما صدقوا بها زادهم الحج . فلما صدقوا به زادهم الجهاد . ثم أكمل لهم دينهم . فقال (٥ : ٣ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) »

وقال إسماعيل بن عياش : حدثنى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن ربيعة الحضرمى عن أبى هريرة قال « الإيمان يزداد وينقص » .

وقال إسماعيل أيضاً : عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن أبى هريرة وابن عباس قالا « الايمان يزداد وينقص » .

وقال الامام أحمد فى رواية المروزى : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم عن فضيل بن يسار قال : قال محمد بن على « هذا الاسلام ـ ودور دائرة ـ ودور فى وسطها أخرى . وقال : هذا الايمان الذى فى وسطها مقصور فى الاسلام . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه

هذا منقطع : أبو حازم سلمة بن دينار : لم يسمع من ابن عمر . وقد روى هذا الحديث عن طرق عن ابن عمر ليس فيها شيء يثبت .

وكذلك القدرية : يضيفون الخير إلى الله عز وجل والشر إلى غيره . والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر ، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته .

وسلم : لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، قال : يخرج من الاسلام ، فإذا تاب تاب الله عليه فرجع إلى الايمان » .

وقال أحمد فى رواية المروزى : حدثنا يحي بن سعيد عن أشعث عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ينزع منه الايمان ، فان تاب أعيد إليه » .

ورواه يحي بن سعيد عن عوف عن الحسن : من قوله . وهو أشبه .

وقال محمد بن سليمان لوين : سمعت سفيان بن عيينة غير مرة يقول « الايمان قول وعمل . وأخذناه ممن قبلنا . قيل له : يزيد وينقص ؟ قال : فأى شيء إذن ؟ » .

وقال مرة — وسئل « الايمان يزيد وينقص ؟ » — قال « أليس تقرءون القرآن (فزادهم إيماناً) فى غير موضع ؟ قيل : ينقص ، قال : ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص » .

وقال عبد الرزاق : سمعت سفيان الثورى ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن جريج ومعمراً يقولون « الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص » .

وقال الحميدى : سمعت ابن عيينة يقول « الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة : ياأبا محمد ، لاتقل يزيد وينقص ، فغضب ، وقال : اسكت ياصبى ، بلى ، حتى لايبقى منه شيء » .

وقال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يقول « الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص » .

وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعى يقول « الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص » ذكره الحاكم فى مناقبه .

وقال أبو عمر بن عبد البر النمرى : قال رجل للشافعى «أى الأعمال عند الله أفضل ؟ قال: مالا يقبل عمل إلا به قال : وما ذاك ؟ قال: الايمان بالله هو أعلى الأعمال درجة ، وأشرفها منزلة وأسناها حظاً . قال الرجل : ألا تخبرنى عن الايمان : قول وعمل ، أو قول بلا عمل ؟ قال الشافعى : الايمان عمل لله ، والقول بعض ذلك ، ثم العمل احتج عليه » ذكره الحاكم عنه .

وخلقه الشر شراً فى الحكمة كخلقه الخير خيراً ، فالأمران معاً مضافان إليه : خلقاً وإيجاداً . وإلى الفاعلين لهما من عباده : فعلاً واكتساباً .

وقال أحمد : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال « ما نقصت أمانة عبد إلا نقص إيمانه » .

وقال وكيع : حدثنا إسرائيل عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى (٢ : ٢٦٠ ولكن ليطمئن قلبى) قال « ليزداد إيماناً » .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد أن أبا ذر «سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان ؟ فقرأ عليه (٢ : ١٧٧ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب — حتى ختم الآية) .

احتج به أحمد فى كتاب الرد على المرجئة . ورواه جعفر بن عوف عن المسعودى عن القاسم عن أبى ذر بمثله .

وقال يحيى بن سليم الطائفى قال هشام : عن الحسن « الايمان قول وعمل ، فقلت لهشام : فما تقول أنت ؟ فقال : قول وعمل » .

وقال الحميدى : سمعت وكيعاً يقول « وأهل السنة يقولون : الايمان قول وعمل . والمرجئة يقولون : الايمان قول ، والجهمية يقولون : الايمان المعرفة » .

وصح عن الحسن أنه قال « ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » ونحوه عن سفيان الثورى .

وقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم العمل تصديقاً فى قوله حديث زنى العين والجوارح — « الفرج يصدق ذلك أو يكذبه »

وأما الحديث الذى رواه ابن ماجة فى سننه من حديث عبد السلام بن صالح عن على بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسن عن أبيه عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الايمان معرفة بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان » قال عبد السلام بن صالح : لو قرىء هذا الاسناد على مجنون لبرأ .

فهذا حديث موضوع ليس من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال بعض أئمة الحديث : لو قرىء هذا على مجنون لبرأ : لو سلم من عبد السلام ، وهو المتهم به ، وفى الحق مايغنى عن الباطل ، ولو كنا ممن يحتج بالباطل ويستحله لروجنا هذا الحديث وذكرنا بعض من أثنى على عبد السلام ، ولكن نعوذ بالله من هذه الطريقة ، كما نعوذ به من طريقة تضعيف الحديث الثابت وتعليله إذا خالف قول إمام معين ، وبالله التوفيق

٤٥٢٧ ــ وعن عمر مولى غُفْرَةَ ــ عن رجل من الأنصار ، عن حُذيفة ــ وهو ابن اليمان رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لِـكلِّ أمةٍ مجوسٌ ، ومجوسُ هذه الأمةِ : الذين يقولون : لاقدَرَ ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ ، ومن مَرِضَ منهم فلا تعودوهم ، وهُمْ شِيْعةُ الدَّجَّال ، وحَقٌّ على الله أنْ يُلْحِقَهم بالدَّجال »

٤٥٢٧ ــ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله : حديث « لـكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر » ثم قال :

هذا المعنى قد روى عن النبي صلى الله عليـه وسلم من حديث ابن عمر ، وحذيفة ، وابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ورافع بن خديج

فأما حديث ابن عمر وحذيفة : فلهما طرق ، وقد ضعفت .

وأما حديث ابن عبـاس : فرواه الترمذى من حديث القاسم بن حبيب وعلى بن نزار عن نزار عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب : القدرية والمرجئة » قال هذا حديث حسن غريب .

ورواه من حديث محمد بن بشر أخبرنا سلام بن أبى عمرة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم

وأما حديث جابر : فرواه ابن ماجة فى سننه عن محمد بن المصفى عن الأوزاعى عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر ــ يرفعه ــ نحو حديث ابن عمر

فلو قال بقية « حدثنا الأوزاعى » مشى حال الحديث ، ولـكن عنعنه ، مع كثرة تدليسه .

وأما حديث أبى هريرة: فروى عبد الأعلى بن حماد حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبى يحدث عن مكحول عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فذكره. رواه عن عبد الأعلى جماعة . وله علتان .

إحداهما : أن المعتمر بن سليمان رواه عن أبى الحر حدثنى جعفر بن الحارث عن يزيد بن ميسرة عن عطاء الخراسانى عن مكحول عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والعلة الثانية : أن مكحولا لم يسمع من أبى هريرة .

وأما حديث عبد الله بن عمرو : فيرويه عمرو بن مهاجر عن عمر بن عبد العزيز عن يحيى بن القاسم عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو ــ يرفعه ــ « ما هلـكت أمة قط إلا بالشرك بالله عز وجل . وما أشركت قط إلا كان بدء إشراكها : التـكذيب بالقدر » .

عمر مولى غُفْرة : لايحتج بحديثه . ورجل من الأنصار مجهول .

وقد روى من طريق آخر عن حذيفة . ولا يثبت .

وهذا الاسناد لا يحتج به .

وأجود ما فى الباب : حديث حيوة بن شريح : أخبرنى ابن صخر حدثنى نافع «ان ابن عمر جاءه رجل . فقال : إن فلاناً يقرأ عليك السلام . فقال : إنه قد بلغني أنه قد أحدث . فإن كان قد أحدث فلا تقرأه منى السلام . فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكون فى هذه الأمة ـ أو أمتى ـ الشك منه ـ خسف ، ومسخ ، أو قذف في أهل القدر » قال الترمذى : حديث حسن صحيح غريب .

والذى صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ذمهم من طوائف أهل البدع : هم الخوارج . فإنه قد ثبت فيهم الحديث من وجوه كلها صحاح . لأن مقالتهم حدثت فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم . وكلمه رئيسهم[1] .

وأما الإرجاء ، والرفض ، والقدر ، والتجهم ، والحلول وغيرها من البدع : فانها حدثت بعد انقراض عصر الصحابة .

وبدعة القدر : أدركت آخر عصر الصحابة . فأنكرها من كان منهم حياً ، كعبد الله بن عمر ، وابن عباس ، وأمثالهما رضي الله عنهم . وأكثر مايجىء من ذمهم : فإنما هو موقوف على الصحابة : من قولهم فيه .

ثم حدثت بدعة الإرجاء بعد انقراض عصر الصحابة فتكلم فيها كبار التابعين الذين أدركوها ، كما حكيناه عنهم .

ثم حدثت بدعة التجهم بعد انقراض عصر التابعين . واستفحل أمرها ، واستطار شرها فى زمن الأئمة ، كالامام أحمد وذويه .

ثم حدثت بعد ذلك بدعة الحلول ، وظهر أمرها فى زمن الحسين الحلاج .

وكلما أظهر الشيطان بدعة من هذه البدع وغيرها : أقام الله لها من حزبه وجنده من يردها، ويحذر المسلمين منها ، نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ، ولأهل الإسلام . وجعله ميراثاً يعرف به حزب رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى سنته من حزب البدعة وناصرها .

---

(١) وهو ذو الثدية الذى عاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة ذهيبة . جاء بها على بن أبى طالب من اليمن فقسمها رسول الله بين أربعة نفر فقوله اعدل . فانها قسمة ، لم يرد بها وجه الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تأمنونى ، وأنا أمين من فى السماء ؟ » والحديث رواه أصحاب الصحيحين والسنن . والله أعلم .

٤٥٢٨ ـ وعن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلقَ آدمَ من قَبْضَةٍ قَبَضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قَدْرِ الأرض : جاء منهم الأحمرُ ، والأبيضُ ، والأسودُ ، وبين ذلك ، والسَّهْلُ ، والْحَزْنُ ، والخبيثُ ، والطيبُ »

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن صحيح .

٤٥٢٩ ـ وعن على رضى الله عنه ، قال « كُنَّا فى جنازةٍ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ببَقِيع الْغَرْقَدِ ، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَجَلَس ومعه مِخْصَرَةٌ فجعل يَنْكُت بالمخصرة فى الأرض ، ثم رفع رأسَه، فقال : مامنكم من أحدٍ ، مامن نَفْسٍ منفوسة إلا قد كُتِبَ مكانُها من النار أو الجنة ، إلا قد كُتبت شَقِيَّة

٤٥٢٩ ـ قال الشيخ : « المخصرة » عصاً خفيفة ، يختصر بها الإنسان ، يمسكها بيدها .

و « النفس المنفوسة » هى المولودة ، والمنفوس : الطفل الحديث الولادة ، يقال : نُفِسَت المرأةُ : إذا ولدت ، ونَفِسَت إذا حاضت ، ويقال : إنما سميت المرأة نُفَسَاءَ لسيلان الدم ، والنفس : الدم .

قلت : فهذا الحديث إذا تأملته أصبتَ منه الشفاء فيما يتخالجك من أمر القدر .

وذلك : أن السائل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والقائلَ له « أفلا نمكث على كتابنا ، وندع العمل ؟ » لم يترك شيئاً مما يدخل فى أبواب المطالبات والأسئلة الواقعة فى باب التجويز والتعديل إلا وقد طالب به وسأل عنه . فأعلمه صلى الله عليه وسلم : أن القياس

وقد جاء فى أثر لايحضرنى إسناده « إن لله عند كل بدعة يكاد بها الإسلام : ولياً ينطق بعلاماته » .

فاغتنموا تلك المجالس ، وتوكلوا على الله . فإن الرحمة تنزل عليهم . نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم . وأن يلحقنا بهم ، وأن يجعلنا لهم خلفاً ، كما جعلهم لنا سلفاً بمنه وكرمه .

أو سعيدة . قال : فقال رجل من القوم : يانبيَّ الله ، أوَلا نمكثُ على كتابنا ونَدَعُ العملَ . فمن كان من أهل السعادة ليكونَنَّ إلى السعادة ، ومن كان من أهل الشِّقْوَة ليكونَنَّ إلى الشِّقْوة ؟ قال : اعْملُوا : فكُلٌّ مُيَسَّرٌ : أمَّا أهلُ السعادة: فيُيَسَّرون للسعادة ،وأما أهلُ الشقوة:فييسرون للشقوة ، ثم قال نبي الله (٩٢ : ٥ ـ ١٠ فأما مَنْ أعطى واتَّقَى وصَدَّق بالْحُسْنَى فسَنُيَسِّره لليسْرَى ، وأما مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى وكَذَّب بالْحُسْنَى فسَنُيَسِّره للعُسْرَى) »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة .

٤٥٣٠ ـ وعن يحيى بن يَعْمَر ، قال « كان أولَ من تكلَّم فى القدر بالبصرة مَعْبَدُ الْجُهَنيُّ ، فانطلقت أنا وحُميد بن عبد الرحمن الحِمْيَرِى حاجَّيْن ، أو مُعْتَمرين ، فقلنا

فى هذا الباب متروك ، والمطالبة عليه ساقطة ، وأنه أمر لا يشبه الأمور المعلومة التى قد عقلت معانيها ، وجرت معاملات البشر فيما بينهم عليها . وأخبر أنه إنما أمرهم بالعمل ليكون أمارة فى الحال العاجلة لما يصيرون إليه فى الحال الآجلة ، فمن تيسر له العمل الصالح : كان مأمولاً له الفوز . ومن تيسر له العمل الخبيث : كان مخوفاً عليه الهلاك .

وهذه أمارات من جهة العلم الظاهر . وليست بموجبات . فإن الله سبحانه طوى علم الغيب عن خلقه ، وحجبهم عن دَرْكِه ، كما أخفى أمر الساعة . فلا يعلم أحد متى إبَّان قيامها ؟ ثم أخبر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أماراتها وأشراطها ، فقال « من أشراط الساعة : أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَهَا ، وأن ترى الْحُفَاة العُرَاة العالَةَ رِعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » ومنها كيت وكيت .

٤٥٣٠ ـ قال الشيخ : قوله « يتقَفَّرن العلم » معناه : يطلبونه ويتتبعون أثره ، والتقفر : تتبع أثر الشىء .

٤٥٣٠ ـ ثم ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله حديث جبريل ـ إلى قول المنذرى : علقمة بن حارثة اتفقا على الاحتجاج بحديثه . ثم قال :

لو لَقِينا أحداً من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فسألناهُ عَمَّا يقول هٰؤلاء فى القدر ؟ فوفَّقَ اللهُ لنا عبدَ الله بن عمر داخلا فى المسجد ، فاكْتَنَفْتُهُ أنا وصاحبي . فظننتُ أنَّ صاحبي سَيَكِلُ الكلامَ إليَّ ، فقلت : أبا عبدِ الرحمن ، إنه قد ظَهر قِبَلَنَا ناسٌ يقرؤون القرآن ويتَقَفَّرون العلم ، يزعمون أن لا قَدَر ، والأمرُ أُنفٌ ، فقال : إذا لقيتَ أولٰئك فأخبرهم أنِّي بَرِيءٌ منهم ، وهم بُرآء مِنِّي

وقوله « والأمر أنف » يريد ، مستأنف ، لم يتقدم فيه شي من قَدَرٍ أو مشيئة ، يقال : كَلأٌ أنف : إذا كان وافياً لم يُرْعَ منه شيء ، ورَوْضَةٌ أُنف : بمعناه ، قال عمر ابن أبي ربيعة :

فى روضة أُنُف تَيَمَّمْنَا بها ميثاء رائقة بعيد سماء

وفى قول ابن عمر رضى الله عنهما « إذا لقيت أولئك فأخبرهم : أنى برىء منهم ، وهم برآء منى » دلالة على أن الخلاف إذا وقع فى أصول الدين ، وكان مما يتعلق بمعتقدات

ورواه أبو جعفر العقيلى من طريقه . وقال فيه « فما شرائع الإسلام ؟ قال : تقيم الصلاة ـ الحديث » وتابعه على هذا اللفظ مرجىء آخر . وهو جراح بن الضحاك .

قال العقيلى : وهذه زيادة مرجىء تفرد بها عن الثقات الأئمة فلا تقبل .

ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث سليمان التيمى عن يحيى بن يعمر . فذكر فيه ألفاظاً لم يذكرها غيره . فقال فى الإسلام « وتحج ، وتعتمر ، وتغتسل من الجنابة ، وأن تتم الوضوء » وقال فيه « فاذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال نعم » وقال فى الإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالجنة والنار والميزان ـ وذكر البعث والقدر ـ ثم قال : فاذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال : نعم » وقال فى الإحسان « وإذا فعلت ذلك فأنا محسن ؟ قال : نعم » وقال فى آخره « هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم . خذوا عنه » .

قال أبو حاتم : تفرد سليمان التيمى بهذه الألفاظ .

والذى يَحْلِفُ به عبدُ الله بن عمر ، لو أنَّ لأحَدِهم مثلَ أُحُدٍ ذهباً ، فأنفقه ما قَبِلَهُ الله منه ، حتى يُؤمن بالقدَرِ ، ثم قال : حَدَّثنى عمرُ بن الخطاب ، قال : بَيْنا نحنُ عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إذ طَلَع علينا رجلٌ شديدُ بياضُ الثيابِ شديدُ سوادِ الشَّعَر ، لا يُرَى عليه أثَرُ السَّفرِ ، ولا يَعرفُه منا أحدٌ ، حتى جلَس إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فأسْنَدَ رُكبتَيه إلى رُكبتيه ، ووضع كَفّيه على فَخِذَيه ، وقال : يامحمد ، أخبرنى عن الإسلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلامُ : أن تشهدَ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيمَ الصلاة ، وتؤتىَ الزكاةَ ، وتصومَ رمضان ، وتَحُجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلا . قال : صدقتَ ، قال : فَعَجبنْا له : يسألُهُ ويُصَدِّقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : أن تُؤمنَ بالله ، وملائكته ، وكُتُبِه ، ورُسُله ، واليوم الآخر ، وتؤمنَ بالقدَر

الإيمان : أوجبَ البراءة . وليس كسائر مايقع فيه الخلاف من أصول الأحكام وفروعها التى موجباتها العمل فى أن شيئاً منها لا يوجب البراءة ، ولا يوقع الوحشة بين المختلفين .

فقد جاء فى هذا الحديث التفريق بين الإسلام والإيمان . فجعل الإسلام في العمل ، والإيمان فى الكلمة ، على ضد ما قاله الزهرى فى حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : الذى ذكرناه فى الباب ، فقال « يرى الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل » .

قلت : وهذا عندى تفصيل لجملةٍ كلها شيء واحد . وليس بتفريق بين شيئين مختلفين .

وقد روينا فى باب قبل هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما « أن وَفْدَ عبد القيس قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأمرهم بالإيمان ، ثم قال : أتدرون ما الإيمان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس من المغنم » .

فضم هذه الأعمال إلى كلمة الشهادة ، وجعلها كلها إيماناً .

خيره وشَره . قال : صدقت ، قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال : أن تعبدَ الله كأنَّك تراه ، فان لم تراه فإنه يراك . قال : فأخبرنى عن الساعة ، قال : ما المسؤل عنها بأعلمَ من السائل . قال : فأخبرنى عن أمارَتها قال : أن تلدَ الأمةُ رَبَّتَهَا ، وأن تَرَى الْحُفاةَ العُراة العالَة رِعاءَ الشَّاءِ يَتطاوَلُون فى البنيان . قال : ثم انطلقَ ، فلَبِثْتُ مَليًّا ، ثم قال : ياعمرُ ، تَدْرِى مَنِ السائلُ ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريلُ ، أتاكم يُعَلِّمُكم دينَكم »

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة .

وهذا يبين لك : أن اسم الإيمان قد يدخل على الإسلام ، واسم الإسلام : يدخل على الإيمان .

وذلك : لأن معنى الإيمان : التصديق ، ومعنى الإسلام : الاستسلام .

وقد يتحقق معنى القول بفعل الجوارح . ثم يتحقق الفعل ويصح بتصديق القلب نِيَّةً وعَزيمة .

وجماع ذلك كله : الدين ، وهو معنى قوله « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

وأما قوله « ما الإحسان » فإن معنى الإحسان ههنا : الإخلاص . وهو شرط فى صحة الإيمان والإسلام معاً .

وذلك : أن من وصف الكلمة وجاء بالعمل من غير نية وإخلاص لم يكن محسناً ، ولا كان إيمانه فى الحقيقة صحيحاً كاملاً . وإن كان دمه فى الحكم محقوناً . وكان بذلك فى جملة المسلمين معدودا .

ويحكى عن سفيان بن سعيد الثورى ، أنه كان يقول فى الإيمان : قول ومعرفة وعمل ونية .

وأحسبه تأول هذا المعنى ، واعتبره بالحديث .

وكان أحمد بن حنبل يزيد فيها شرطاً خامساً ، وهو السنة . فيقول فى الإيمان « قول ومعرفة ، وعمل ونية ، وسُنة » .

٤٥٣١ ـ وعن يحيي بن يَعْمَر وحُميدِ بن عبد الرحمن ، قالا « لَقِينَا عبدَ الله بن عمر فذكرنا له القَدَر ، وما يقولون فيه ـ فذكر نحوه ، زاد ـ قال : وسأله رجلٌ من مُزَيْنَة ، أو جُهَيْنَة ، فقال : يارسول الله ، فيما نعملُ : أفى شيءٍ قد خلا ، أو مضَى أو شيءٍ يُستأنف الآن ؟ قال : فى شيء قد خلا ومضَى ؛ فقال الرجل : أو بعضُ القوم : ففيمَ العمل ؟ قال : إنَّ أهلَ الجنةِ يُيَسَّرون لعملِ أهلِ الجنة ، وإنَّ أهل النار يُيَسَّرون لعمل أهل النار »

٤٥٣٢ ـ وعن ابن يعمر ـ بهذا الحديث يزيد وينقص ـ قال « فما الإسلام ؟ قال : إقامُ الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحُجُّ البيتِ ، وصوم شهر رمضان ، والاغتسال من الجنابة »

قال أبو داود : علقمةُ مُرْجِئٌ . هذا آخر كلامه

قلت : واسم « الإسلام » يشتمل على هذه الخصال كلها .

ألا تراه يقول « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » وقد قال سبحانه (٣ : ١٥ إن الدين عند الله الإسلام) ؟ .

وقوله « وأن تلد الأمة ربتها » معناه : أن يتسع الإسلام ويكثر السبى ، ويستولد الناس أمهات الأولاد . فتكون ابنة الرجل من أمته فى معنى السيدة لأمها . إذ كانت مملوكة لأبيها . وملك الأب راجع فى التقدير إلى الولد .

وقد يحتج بهذا من يرى بيع أمهات الأولاد . ويعتل فى أنهن إنما لا يبعن إذا مات السادة . لأنهن قد يَصِرْنَ فى التقدير ملكاً لأولادهن ، فيعتقن عليهم . لأن الولد لايملك والدته ، وهذا على تخريج قوله « وأن تلد الأمة ربتها » وفيه نظر .

و « العالة » الفقراء ، واحدهم « عائل » يقال : عال الرجل يعيل : إذا افتقر . وعال أهلَهُ يعولهم : إذا مارَ أهله ، وأعال الرجل يعيلُ : إذا كثر عياله .

وعلقمة ـ هذا ـ هو راوى هذا الحديث ، وهو علقمة بن مَرْثَد الحضرمى الكوفى . وقد اتفق البخارى ومسلم على الاحتجاج بحديثه .

٤٥٣٣ ـ وعن أبى ذرٍّ وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا « كان رسول الله صلى الله عليه يجلسُ بين ظَهْرَى أصحابه ، فيجىء الغريبُ ، فلا يَدْرى : أيُّهمَ هو ؟ حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أن نَجْعلَ له مجلساً يَعْرِفُه الغريبُ إذا أتاه ، قال فبنَيْنا له دُكَّاناً من طِينٍ ، فجلس عليه ، وكُنَّا نجلسُ بجَنْبَتَيْهِ ـ وذكرَ نحو هذا الخبر ـ فأقبلَ رجلٌ ، فذكرَ هَيْئَتَه ، حتى سَلَّمَ من طَرَفِ السِّماطِ ، فقال : السلامُ عليك يامحمدُ ، قال : فردَّ عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم » .

وأخرجه النسائى مختصراً .

وأخرجه مسلم والنسائى وابن ماجة بتمامه من حديث أبى هريرة وحده .

٤٥٣٤ ـ وعن ابن الدَّيْلَمى ، قال : « أتيت أُبَىَّ بنَ كعبٍ ، فقلت له : وَقعَ فى نفسى شىءٌ من القَدَر ، فحدِّثْني بشىءٍ ، لعلَّ الله أن يُذْهِبَهُ من قَلبى ، فقال : لو أَنَّ الله عَذَّبَ أهْـلَ سَمٰوَاته وأَهْلَ أَرْضِه : عَذَّبهم وهو غَيْرُ ظالمٍ لهم ، ولو رَحِمَهُم كانت رحمتُه خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقتَ مثلَ أُحدٍ ذهباً فى سبيل الله ما قَبله اللهُ منك ، حتى تُؤمِنَ بالقَدَرِ ، وتعلَمَ أَنَّ مَا أَصابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وما أَخطأَكَ لم يكنْ لِيُصِيبَك ، ولو مُتَّ على غير هذا لدخلت النار ، قال : ثم أتيتُ عبدَ الله بن مسعود ، فقال مثل ذلك ، قال : ثم أتيتُ حُذَيْفَةَ بن اليمانِ ، فقال مثل ذلك ، قال : ثم أتيتُ زيد بن ثابتٍ ، فحدَّثني عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك » .

وابن الديلمي : هو أبو بُسْر ـ بالسين المهملة والباء المضمومة ـ ويقال بشر : بالشين المعجمة وكسر الباء . والأول : أصح . واسمه عبد الله بن فيروز .

وأخرجه ابن ماجة . وفي إسناده أبو سِنان : سعيد بن سنان الشيباني . وثقه يحيى بن معين وغيره . وتكلم فيه الإمام أحمد وغيره .

٤٥٣٥ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تُجالسوا أهلَ القَدَرِ ، ولا تفاتحوهم » .

٤٥٣٦ ـ وعن أبي حَفْصَة ـ وهو حُبيش الحَبَشِي الشامي ـ قال : قال عبادة بن الصامت لابنه « يا بُنَيَّ ، إنك لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإيمان حتى تَعْلَمَ أَنَّ ما أصابك لم يكن ليُخْطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنَّ أولَ ما خلقَ اللهُ القلَمُ ، فقال له : اكْتُبْ ، قال : ربِّ ، وماذا أكتبُ ؟ قال : اكتُبْ مقادير كُلِّ شيء حتى تقوم الساعة . يا بُنَيَّ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هٰذَا فليس مِنِّي » .

٤٥٣٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « احْتَجَّ آدمُ وموسى ، فقال موسى : يا آدم ، أنتَ أبونا خُنْتَنَا[1] وأخْرَجْتَنا من الجَنَّة ،

٤٥٣٧ ـ قال الشيخ : قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر من الله والقضاء منه معنى الإجبار والقهر للعبد على ماقضاه وقدره ، ويتوهم أن فَلَج آدم في الحجة على موسى إنما كان من هذا الوجه .

وليس الأمر في ذلك على مايتوهمونه .

وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه بما يكون من أفعال العباد وأكسابهم ، وصدورها عن تقدير منه ، وخلق لها خيرها وشرها .

(١) بهامش الأصل : هكذا وقع ههنا « خنتنا » من الخيانة . والمحفوظ « خيبتنا » من الخيبة .

فقال آدم : أنت موسى ، اصطفاكَ الله بكلامه ، وخَطَّ لك التوراةَ بيده ، تَلومُنى على أمرٍ قَدَّرَه الله علىَّ قبلَ أن يخلقنى بأربعين سنة ؟ فحَجَّ آدمُ موسى » .

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة .

٤٥٣٨ ـ وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ موسى قال : يارب ، أَرِنَا آدمُ الذى أخرجنا ونفسَه من الجَنَّة ، فأراه الله آدمَ ، فقال : أنتَ أبونا آدمُ ؟ فقال له آدم : نعم ، فقال : أنتَ الذى نَفَخَ الله فيك من رُوحه ، وَعَلَّمك الأسماء كُلَّهَا ، وأمرَ الملائكة فسجدوا لك ؟ قال : نعم ، قال : فما حَمَلَك على أنْ أخرجتنا ونفسَك من الجنة ؟ فقال له آدم : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا موسى ، قال : أنت نَبِىُّ بَنِى إسرائيلَ الذى كلمك الله من وراء الحجاب ، لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خَلْقه ؟ قال : نعم ، قال : أفما وجدتَ

و« القدر » اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر ، كما أن الهدَم والقبَض والنشر : أسماء لما صدر عن فعل الهادم والقابض والناشر ، يقال : قدَرت الشىء ، وقدَّرت : خفيفة وثقيلة ـ بمعنى واحد .

والقضاء فى هذا معناه الخلق ، كقوله عز وجل (٤١ : ١٢ فقضاهن سبع سموات فى يومين) أى خلقهن .

وإذا كان الأمر كذلك : فقد بقى عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور وملابستهم إياها عن قصد وتعمد ، وتقديم إرادة واختيار .

فالحجة إنما تلزمهم بها ، واللائمة تلحقهم عليها .

وجماع القول فى هذا الباب : أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس . والآخر بمنزلة البناء . فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه .

وإنما كان موضع الحجة لآدم على موسى صلوات الله عليهما : أن الله سبحانه إذ كان قد علم من آدم أنه يتناول الشجرة ، ويأكل منها ، فكيف يمكنه أن يَرُدَّ علم الله فيه ، وأن يبطله بعد ذلك ؟ .

أنَّ ذلك كان فى كتاب الله قبلَ أن أُخْلَق ؟ قال : نعم ، قال : فيمَ تَلُومُنى فى شىء سَبَق من الله تعالى فيــه القضاء قَبْلُ ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : فحجَّ آدمُ موسى ، فحجَّ آدم موسى » .

٤٥٣٩ ـ وعن مسلم بن يَسار الُجهنى « أنَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه سُئل عن هذه الآية (٧ : ١٧٢ وإذ أخذَ رَبُّك من بنى آدم من ظهورهم ، قال : قرأ القَعْنبي الآيةَ ـ فقال عمر : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها .فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عَزَّ وجل خلق آدم ، ثم مَسَح ظَهْرَه بيمينه ، فاستخرجَ منه ذُرِّيَّةً ، فقال : خلقت هؤلاء للجنَّةِ ، وبعملِ أهل الجنَّة يعملون ، ثم مَسَحَ ظهره فاستخرج منه ذرِّيةً ، فقال : خلقت هؤلاء للنار ، وبِعمل أهل النار يعملون . فقال رجل : يارسول الله ، فِفيمَ العملُ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله

وبيان هذا فى قول الله سبحانه (٢ : ٣٠ وإذ قال ربك للملائــكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) فأخبر قبل كَوْن آدم : أنه إنما خلقه للأرض ، وأنه لا يتركه فى الجنة حتى ينقله عنها إليها . وإنما كان تناوله من الشجرة سبباً لوقوعه إلى الأرض التى خلق لها وللكون فيها خليفة ووالياً على من فيها .

فإنما أدلى آدم عليه السلام بالحجة على هذا المعنى . ودفع لائمة موسى عن نفسه على هذا الوجه . ولذلك قال : « أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقنى ؟ » .

فإن قيل : فعلى هذا يجب أن يسقط عنه اللوم أصلا ؟

قيل : اللوم ساقط من قبل موسى ، إذ ليس لأحد أن يعير أحداً بذنب كان منه ، لأن الخلق كلهم تحت العبودية أكفاء سواء . وقد يروى « لا تنظروا إلى ذنوب العباد كأنــكم أرباب ، وانظروا إليها كأنــكم عبيد » .

ولــكن اللوم لازم لآدم من قبل الله سبحانه ، إذ كان قد أمره ونهاه . فخرج إلى معصيته ، وباشر المنهى عنه ، ولله الحجة البالغة سبحانه . لا شريك له .

بعمل أهل الجنة ، حتى يموتَ على عملٍ من أعمال أهل الجنة ، فيُدْخِلَه به الجنة ، وإذا خلق العبدَ للنار استعملَه بعملِ أهل النار ، حتى يموتَ على عمل من أعمال أهل النار . فيدخله به النار »

وأخرجه الترمذى والنسائى . وقال الترمذى : هذا حديث حسن .

ومسلم بن يسار : لم يسمع من عمر . وقد ذكر بعضهم فى هذا الاسناد ـ بين مسلم بن يسار وبين عمر ـ رجلاً .

وقال أبو القاسم ، حمزة بن محمد الكنانى : لم يسمع مسلم بن يسار ـ هذا ـ من عمر . رواه عن نُعيم عن عمر .

وقال ابن الحذَّاء : وقال أهل العلم بالحديث : إن مسلم بن يسار لم يسمعه من عمر بن الخطاب . إنما يرويه عن نُعيم بن ربيعة عن عمر ، يشيرون إلى الحديث الذى بعده .

وقال ابن أبى خَيْثمة : قرأت على يحيي بن معين : حديث مالك هذا عن زيد بن أبى أُنَيْسَة . فكتب بيده على مسلم بن يسار : لا يعرف .

وقال أبو عمر بن عبد البر النمرى : هذا حديث منقطع بهذا الإسناد . لأن مسلم بن يسار ـ هذا ـ لم يلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وبينهما فى هذا الحديث نعيم بن ربيعة. وهذا أيضاً ـ مع هذا الإسناد ـ لا تقوم به حجة . ومسلم بن يسار

وقول موسى صلى الله عليه وسلم ـ وإن كان منه فى النفوس شبهة ، وفى ظاهره متعلق لاحتجاجه بالسبب الذى قد جُعل أمارة لخروجه من الجنة ـ فقول آدم فى تعلقه بالسبب الذى هو بمنزلة الأصل : أرجح وأقوم ، والفلج فيه قد يقع مع المعارضة بالترجيح ، كما يقع بالبرهان الذى لا معارض له . والله أعلم .

ـ هذا ـ مجهول . قيل : إنه مدنى . وليس بمسلم بن يسار البصرى .

وقال أيضاً : وجملة القول فى هذا الحديث : أنه حديث ليس إسناده بالقائم . لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعاً غير معروفين بحمل العلم .

ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة يطول ذكرها من حديث عمر بن الخطاب وغيره .

٤٥٤٠ ـ وعن مسلم بن يَسار ، عن نُعيم بن رَبيعة ، قال « كنت عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ بهذا الحديث ، وحديثُ مالك أتمُّ » .

يريد الحديث الذى قبله .

٤٥٤١ ـ وعن أُبَيِّ بن كعب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الغلامُ الذى قتَله الخَضِرُ : طُبِعَ كافراً ، ولو عاش لأرْهَقَ أبويه طُغياناً وكُفراً » .

وأخرجه مسلم والترمذى .

٤٥٤٢ ـ وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله (١٨ : ٨٠ وأما الغلامُ فكان أبواه مؤمنين) : « وكان طُبِعَ يومَ طُبِعَ كافراً » .

٤٥٤٣ ـ وعنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَبْصَرَ الخَضِرُ غلاماً يَلْعَبَ مع الصِّبيان ، فتناولَ رأسَه فقلَعَهُ [1] ، فقال موسى (١٨ : ٨٤ أقتَلْتَ نفساً زكية ـ الآية » .

وهذا الفصل مذكور فى أثناء الحديث الطويل .

وقد أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . هكذا أخرجه أبو داود .

ولفظ البخارى ومسلم « فأخذ الخضرُ برأسه فاقتلعه بيده . فقتله » .

---

(١) فى أصل المنذرى « فقطعه » .

وفى لفظ للبخارى « فأضجَعه ، ثم ذبحه بالسِّكّةِ » .

وفى كتاب الطبري « أنه أخذ صخرة . فثَلَغ بها رأسه » والجمع بينهم متوجه .

٤٥٤٤ ـ وعن عبد الله بن مسعود ، قال « حَدَّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو الصادق المصدوق ـ : أنَّ خَلْقَ أَحَدُكم يُجْمَعُ فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون عَلَقَةً مثلَ ذلك ، ثم يكون مُضْغَةً مثلَ ذلك ، ثم يُبعث إليه مَلَكٌ . فَيُؤْمَرُ بأربع كلمات : فيكتبُ رِزْقَه ، وأجلَه ، وعمله . ثم يكتبُ شَقِيٌّ أوسعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، أو قِيدَ ذراع ، فيَسْبِق عليه الكتابُ فيعملُ بعمل أهل النار فيدخلها ، وإنَّ أَحدَكم ليعملُ بعمل أهلِ النارِ ، حتى ما يكونَ بينه وبينها إلا ذراع ، أو قِيدَ ذراعٍ ، فيَسْبِقُ عليه الكتاب فيعملُ بعملِ أهل الجنة فيدخلها » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة .

٤٥٤٥ ـ وعن عمران بن حُصين ، قال : قيلَ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم :

٤٥٤٤ ـ قال الشيخ : قوله «يجمع فى بطن أمه» قد روى فى تفسيره عن ابن مسعود ماحدثناه الأصم : حدثنا السرى بن يحيي حدثنا أبو عبيدة حدثنا عمار بن زريق قال : قلت للأعمش « ما يجمع فى بطن أمه ؟ قال : حدثنى خيثمة قال : قال عبد الله : أن النطفة إذا وقعت فى الرَّحِم ، فأراد الله أن يخلق منها بشراً طارت فى بَشَرِ المرأة تحت كل ظُفُرٍ وَشَعْر ، ثم يمكث أربعين ليلة ، ثم ينزل دماً فى الرحم ، فذلك جمعها » .

٤٥٤٥ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله : حديث « كل ميسر لما خلق له » ثم قال : وقد روى مسلم فى صحيحه عن حذيفة ـ يبلغ به النبي صلى‌الله عليه وسلم ـ قال «يدخل الملك

« يا رسول الله ، أَعُلِمَ أهلُ الجنة من أهلِ النار ؟ قال : نعم . قال : ففيمَ يعملُ العاملون ؟ قال : كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ » .

وأخرجه البخارى ومسلم .

على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ، أو خمس وأربعين ليلة ، فيقول : يا رب ، أشقى أم سعيد ؟ فيكتبان ، فيقول : يا رب ، أذكر أم أنثى ؟ فيكتبان . ويكتب عمله ، وأثره ، وأجله ، ورزقه . ثم تكتب الصحف . فلا يزاد فيها ولا ينقص » .

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك ـ ورفع الحديث ـ قال « إن الله قد وكل بالرحم ملكا . فيقول : أى رب ، نطفة ؟ أى رب ، علقة ؟ أى رب ، مضغة ؟ فاذا أراد الله أن يقضى خلقاً قال الملك : أى رب ، ذكر أم أنثى ؟ شقى أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب ذلك فى بطن أمه » .

وهذا مثل حديث ابن مسعود ـ حديث الصادق المصدوق ـ « أن كتابة الأجل والشقاوة والسعادة والرزق فى الطور الرابع » .

وحديث حذيفة بن أسيد (١) يدل على أن الكتابة فى الطور الأول .

وقد روى حديث حذيفة بلفظ آخر ، يتبين المراد منه ، وأن الحديثين واحد ، وأنهما متصادقان ، لا متعارضان .

فروى مسلم فى صحيحه عن عامر بن واثلة : أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول « الشقى من شقى فى بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره . فأتى رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال له : حذيفة بن أسيد الغفارى . فحدثه بذلك من قول ابن مسعود . فقال : وكيف يشقى بغير عمل ؟ فقال الرجل : العجب من ذلك . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها . ثم قال : يارب ، أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء . ويكتب الملك . ثم يقول : يا رب ، أجله ؟ فيقضى ربك ماشاء . ويكتب الملك . ثم يقول : يا رب ، رزقه ؟ فيقضى ربك ماشاء . ويكتب الملك . ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده ، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص »

وفى لفظ آخر عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذنى هاتين يقول « إن النطفة

---

(١) هو حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأغوز بن واقعة بن حرام بن غفار بن مليل ، أبو سريحة الغفارى . بايع تحت الشجرة . ونزل الكوفة وتوفى بها . وصلى عليه زيد بن أرقم وكبر عليه أربعاً . روى عنه أبو الطفيل والشعبى ، والربيع بن عميلة وحبيب بن حماز . وهو بكنيته شهير . اهـ أسد الغابة

باب فى ذرارى المشركين [٤ : ٣٦٥]

٤٥٤٦ ـ عن ابن عباس ـ وهو عبد الله ـ رضى الله عنهما « أن النبىَّ صلى الله

٤٥٤٦ ـ قال الشيخ : ظاهر هذا الكلام : يوهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يُفْتِ السائلَ عنهم ، وأنه ردَّ الأمر فى ذلك إلى علم الله جَلَّ وَعَزَّ ، من غير أن يكون قد جعلهم من المسلمين ، أو ألحقهم بالكافرين . وليس هذا وجه الحديث .

تقع فى الرحم أربعين ليلة . ثم يتصور عليها الملك ـ قال زهير بن معاوية : حسبته قال ـ : الذى يخلقها . فيقول : يارب ، أذكر أم أنثى ؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى . ثم يقول : يارب ، أسوى أو غير سوى ؟ فيجعله الله سوياً ، أو غير سوى . ثم يقول : يا رب ، ما رزقه ؟ ما أجله ؟ ما خلقه ؟ ثم يجعله شقياً أو سعيداً » .

وفى لفظ آخر « أن ملكا موكلا بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله لبضع وأربعين ليلة » ثم ذكر نحوه .

فدل حديث حذيفة على أن الكتابة المذكورة وقت تصويره ، وخلق جلده ولحمه وعظمه . وهذا مطابق لحديث ابن مسعود .

فإن هذا التخليق هو فى الطور الرابع ، وفيه وقعت الكتابة .

فإن قيل : فما تصنع بالتوقيت فيه بأربعين ليلة ؟ .

قلت : التوقيت فيه بيان أنها قبل ذلك لايتعرض لها ، ولا يتعلق بها تخليق ، ولا كتابة ، فإذا بلغت الوقت المحدود ، وجاوزت الأربعين وقعت فى أطوار التخليق ، طبقاً بعد طبق ، ووقع حينئذ التقدير والكتابة ، وحديث ابن مسعود : صريح فى أن وقوع ذلك بعد كونه مضغة بعد الأربعين الثالثة ، وحديث حذيفة فيه : أن ذلك بعد الأربعين ، ولم يوقت البعدية ، بل أطلقها ، ووقتها فى حديث ابن مسعود .

وقد ذكرنا أن حديث حذيفة دال أيضاً على ذلك .

ويحتمل وجهاً آخر : وهو أن تكون الأربعون المذكورة فى حديث حذيفة هى الأربعين الثالثة ، وسمى الحمل فيها نطفة ، إذ هى مبدؤه الأول .

وفيه بعد ، وألفاظ الحديث تأباه .

ويحتمل وجهاً آخر : وهو أن التقدير والكتابة تقديران وكتابتان .

فالأول منهما : عند ابتداء تعلق التحويل والتخليق فى النطفة ، وهو إذا مضى عليها أربعون ، ودخلت فى طور العلقة ، وهذا أول تخليقه .

عليه وسلم سُئِل عن أولاد المشركين ؟ فقال : اللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين »

وإنما معناه : أنهم كفار ملحقون فى الكفر بآبائهم ، لأن الله سبحانه قد علم أنهم لو بقوا أحياء حتى يكبروا لكانوا يعملون عمل الكفار .

يدل على صحة هذا التأويل : قوله فى حديث عائشة قالت « قلت : يارسول الله . ذرارى

والتقدير الثانى والكتابة الثانية : إذا كمل تصويره وتخليقه ، وتقدير أعضائه ، وكونه ذكراً أو أنثى من الخارج ، فيكتب مع ذلك عمله ورزقه وأجله ، وشقاوته وسعادته .

فلا تنافى بين الحديثين ، والحمد لله رب العالمين .

ويكون التقدير الأول : تقديراً لما يكون للنطفة بعد الأربعين ، فيقدر معه السعادة والشقاوة ، والرزق والعمل . والتقدير الثانى : تقديراً لما يكون للجنين بعد تصويره ، فيقدر معه ذلك ويكتب أيضاً . وهذا التقدير أخص من الأول .

ونظير هذا : أن الله سبحانه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، ثم يقدر ليلة القدر ما يكون فى العام لمثله ، وهذا أخص من التقدير الأول العام ، كما أن تقدير أمر النطفة وشأنها يقع بعد تعلقها بالرحم ، وقد قدر أمرها قبل خلق السموات والأرض

ونظير هذا : رفع الأعمال وعرضها على الله تعالى ، فإن عمل العام يرفع فى شعبان ، كما أخبر به الصادق المصدوق « أنه شهر ترفع فيه الأعمال ، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم [(١)] » ويعرض عمل الأسبوع : يوم الإثنين والخميس ، كما ثبت ذلك فى صحيح مسلم ، وعمل اليوم : يرفع فى آخره قبل الليل ؛ وعمل الليل فى آخره قبل النهار . فهذا الرفع فى اليوم والليلة أخص من

---

(١) رواه النسائي عن عمرو بن على الفلاس عن عبد الرحمن بن مهدى حدثنا ثابت بن قيس أبو الغصن شيخ من أهل المدينة ـ قال : حدثني أبو سعيد المقبرى قال : حدثنى أسامة بن زيد قال : قلت « يا رسول الله لم أرك تصوم شهراً من الشهور ماتصوم من شعبان ؟ قال : ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

وأبو الغصن ـ ثابت بن قيس الغفارى مولاهم المدنى ـ قال أحمد : ثقة ، وقال ابن معين : ليس به بأس ، وقال الآجرى عن أبى داود : ليس حديثه بذاك ، وقال الحاكم : ليس بحافظ ولا ضابط ، وقال ابن حبان فى الضعفاء : كان قليل الحديث ، كثير الوهم فيما يرويه ، لا يحتج به إذا لم يتابعه عليه غيره .

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

المؤمنين ؟ فقال: من آبائهم ، فقلت : يارسول الله بلاعمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، قلت : يارسول الله ، فذرارى المشركين ؟ قال : من آبائهم . قلت : بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين » .

الرفع فى العام ، وإذا انقضى الأجل رفع عمل العمر كله ، وطويت صحيفة العمل .

وهذه المسائل من أسرار مسائل القضاء والقدر .

فصلوات الله وسلامه على هادى الأمة ، وكاشف الغمة الذى أوضح الله به المحجة ، وأقام به الحجة ، وأنار به السبيل ، وأوضح به الدليل ، ولله در القائل :

أحيا القلوب محمد لما أتى ومضى ، فناءت بعده أمناؤه
كالورد راقك ريحه فشممته وإذا تولى ناب عنه ماؤه

وقد روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء » .

وفى صحيحه أيضاً عنه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » .

وفى صحيحه أيضاً عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل شىء بقدر . حتى العجز والكيس ، أو الكيس والعجز[1] » .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لامحالة ، فزنا العينين : النظر ، وزنا اللسان : النطق ، والنفس : تمني وتشتهى ، والفرج : يصدق ذلك أو يكذبه » .

وفى صحيح البخارى عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما استخلف الله خليفة إلا كان له بطانتان : بطانة تأمره بالخير ، وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر ، وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله » .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك

---

(١) العجز : الغباوة وضعف الإدراك ، والكيس ـ بفتح الكاف والسين ـ النباهة والفطانة وسعة التفكير .

وقد ذكره أبو داود فى هذا الباب . فقال : حدثنا عبد الوهاب بن نجدة حدثنا بقية حدثنا محمد بن حرب عن محمد بن زياد عن عبد الله بن أبى قيس عن عائشة رضى الله عنها .

واستعن بالله ، ولا تعجز ؛ وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ، وما شاء فعل ، فان « لو » تفتح عمل الشيطان » .

وفى صحيحه أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قالت أم حبيبة « اللهم متعنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأبى أبى سفيان ، وبأخى معاوية ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك سألت الله لآجال مضروبة ، وآثار موطوءة ، وأرزاق مقسومة ، لايعجل منها شيء قبل حله ، ولا يؤخر منها شيء بعد حله ، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب فى النار ، وعذاب فى القبر : كان خيراً لك »

وفى سنن ابن ماجة من حديث عبد الأعلى بن أبى المساور عن الشعبي قال « لما قدم عدى ابن حاتم الكوفة أتيناه فى نفر من فقهاء أهل الكوفة ، وقلنا له : حدثنا ما سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياعدى بن حاتم أسلم تسلم ، قلت : وما الإسلام ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، وتؤمن بالأقدار كلها ، خيرها وشرها ، وحلوها ومرها » .

وفى سننه أيضاً من حديث مجاهد عن سراقة بن جعشم قال : قلت « يارسول الله ، أنعمل فيما جف به القلم ، وجرت به المقادير ، أم فى أمر مستقبل ؟ قال : بل فيما جف به القلم ، وجرت به المقادير ، وكل ميسر لما خلق له » .

وفى صحيح البخارى عن الحسن قال : حدثنا عمرو بن تغلب قال « أتى النبي صلى الله عليه وسلم مال ، فأعطى قوماً ومنع آخرين ، فبلغه أنهم عيبوا ، فقال : إنى أعطى الرجل ، وأدع الرجل ، والذى أدع أحب إلى من الذى أعطى ، أعطى أقواماً لما فى قلوبهم من الجزع والهلع وأكل أقواماً إلى ماجعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير ، منهم عمرو بن تغلب ، فقال عمرو : ما أحب أن لى بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم » .

وفى الصحيحين من حديث عمران بن حصين قال « إنى عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بنى تميم . فقال : اقبلوا البشرى يابنى تميم ، قالوا : بشرتنا فأعطنا ، فدخل ناس من أهل اليمن ، فقال : اقبلوا البشرى ، يا أهل اليمن ، إذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا : قبلنا ، جئناك نتفقه فى الدين ، ونسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ قال : كان الله ، ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب فى الذكر كل شيء ـ الحديث »

وعن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس رضى الله عنه « إن

فهذا يدل على أنه قد أفتى فى المسألة . ولم يغفل الجواب عنها على حسب ماتوهمه مَنْ ذهب إلى الوجه الأول فى تأويل الحديث .

فيك لخلتين يحبهما الله : الحلم ، والأناة ، قال : يارسول الله ، خلتين تخلقت بهما ، أم جبلت عليهما ؟ قال : بل جبلت عليهما ، قال : الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله » .

وقال أبوهريرة رضى الله عنه . قال لى النبى صلى الله عليه وسلم « جف القلم بما أنت لاق » رواه البخارى تعليقاً .

وفى صحيح مسلم عن طاوس قال : سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل شىء بقدر، حتى العجز والكيس ، أو الكيس والعجز »

وذكر البخارى عن ابن عباس فى قوله تعالى (٢٣ : ٦١أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) قال « سبقت لهم السعادة »

وفى الصحيحين : عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايأتى ابن آدم النذر بشىء لم يكن قد قدرته ، ولكن يلقيه القدر ، وقد قدرته له ، أستخرج به من البخيل » .

وفى لفظ للبخارى « لايأتى ابن آدم النذر بشىء لم يكن قدر له ، ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له ، فيستخرج الله به من البخيل ، فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل » .

وفى لفظ فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم « النذر لايقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره له ، ولكن النذر يوافق القدر ، فيخرج بذلك من البخيل ، ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج » .

هذه الأحاديث فى النذر والقدر أدخلها البخارى فى كتاب القدر ؛ وهو إنما يدل على القدر الذى لايتعلق بقدرة العبد ومشيئته .

والكلام فيه إنما هو من غلاة القدرية المنكرين لتقدم العلم والكتاب .

وأما القدرية المنكرون لخلق الأفعال : فلا يحتج عليهم بذلك ، والله أعلم .

وقد نظرت فى أدلة إثبات القدر والرد على القدرية المجوسية فاذا هى تقارب خمسمائة دليل ، وإن قدر الله تعالى أفردت لها مصنفاً مستقلا [1] ، وبالله عز وجل التوفيق .

---

(١) استوفى ذلك فى كتابه « شفاء العليل فى القضاء والقدر والتعليل » وتعرض له بتحقيق نفيس كذلك فى كتاب « مفتاح السعادة » .

٤٥٤٧ – وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت « قلتُ : يارسول الله ، ذرارىُّ المؤمنين ؟ فقال : مِنْ آبائهم : فقلت : يارسول الله ، بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين . قلت : يارسول الله . فذرَارِي المشركين ؟ قال : مِنْ آبائهِمْ ، قلت : بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين »

٤٥٤٧ – ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله : حديث عائشة « هم من آبائهم » ثم قال :

حديث عائشة « قلت يارسول الله » من رواية عبد الله بن أبى قيس مولى غطيف عنها ، وليس بذاك المشهور ، ورواه عمر بن ذر عن يزيد بن أبى أمية « أن البراء بن عازب أرسل إلى عائشة يسألها عن الأطفال ؟ فقالت — الحديث » هكذا قال مسلم بن قتيبة عن عمر ، وقال غيره : عن عمر بن ذر عن يزيد عن رجل عن البراء .

وأما مارواه أبو عقيل عن أبى المتوكل الناجى عن بهية عنها «أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المسلمين : أين هم ؟ قال : فى الجنة ، وسألته عن أولاد المشركين أين هم يوم القيامة ؟ قال : فى النار ، فقلت : لم يدركوا الأعمال ، ولم تجر عليهم الأقلام ؟ قال : ربك أعلم بما كانوا عاملين ، والذى نفسى بيده ، لو شئت أسمعتك تضاغيهم فى النار » .

فحديث واه يعرف به واه ، وهو أبو عقيل .

ثم ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله : أحاديث الباب إلى آخره ، ثم قال :

هذا ما ذكره أبو داود وفى الباب حديث « كل مولود يولد على الفطرة » لفظ الصحيحين فيه « ما من مولود إلا يولد على الفطرة وأبواه يهودانه — الحديث » .

وفى لفظ آخر « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه ، فقال رجل : أرأيت يارسول الله ، لو مات قبل ذلك ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين » .

وفى لفظ آخر « مامن مولود يولد إلا وهو على الملة » .

وفى لفظ آخر « على هذه الملة ، حتى يبين عنه لسانه » .

وفى لفظ آخر « ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة ، حتى يعبر عنه لسانه » .

وفى لفظ آخر « ما من يولد يولد إلا على الفطرة » .

وفى لفظ آخر « كل إنسان تلده أمه على الفطرة ، وأبواه بعد يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، فإن كانا مسلمين فمسلم » .

وهذه الألفاظ كلها فى الصحيحين إلا لفظ « الملة » فهو لمسلم .

وكذا لفظ « يشركانه » فله أيضاً .

٤٥٤٨ ـ وعنها رضي الله عنها ، قالت « أُتِىَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بِصَبِيٍّ من الأنصار يُصلِّى عليه . قلتُ يارسولَ الله ، طُوبَى لهذا ، لم يَعْمَلْ شراً ولم يَدْرِ به ، فقال : أو غير ذلك ، ياعائشة ، إن الله خلق الجَنّة وخَلَق لها أهْلاً ، وخلقها لهم وهم فى أصْلاب آبائهم ، وخلق النارَ وخلق لها أهلا ، وخلقها لهم وهم فى أصلاب آبائهم » .

وأخرجه مسلم والنسائى وابن ماجة .

وكذا قوله « حتى يعبر عنه لسانه » .

وكذا لفظ « فان كانا مسلمين فمسلم » لمسلم وحده .

وإنما سقنا هذه الألفاظ لنبين بها أن الـكلام جملتان ، لاجملة واحدة ، وأن قوله « كل مولود يولد على الفطرة » جملة مستقلة ، وقوله « أبواه يهودانه — إلى آخره » جملة أخرى .

وهو يبين غلط من زعم أن الـكلام جملة واحدة ، وأن المعنى : كل مولود يولد بهذه الصفة فأبواه يهودانه ، وجعل الخبر عند قوله « يهودانه إلى آخره » .

وألفاظ الحديث تدل على خطأ هذا القائل .

ويدل أيضاً على أن الفطرة هى فطرة الإسلام ، ليست الفطرة العامة التى فطر عليهـا من الشقاوة والسعادة ، لقوله « على هذه الفطرة » وقوله « على هذه الملة » .

وسياقه أيضاً يدل على أنها هى المرادة ، لإخباره بأن الأبوين هما اللذان يغيرانها ، ولو كانت الفطرة هى فطرة الشقاوة والسعادة لقوله « على هذه الفطرة » لـكان الأبوان مقهرين لها . ولأن قراءة قوله تعالى (٣٠:٣١ فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم) عقب الحديث : صريح فى أن المراد بها فطرة الاسلام ، ولأن تشبيـه المولود فى ولادته عليها بالبهيمة الجمعاء ، وهى الـكاملة الخلق ، ثم تشبيهه إذا خرج عنها بالبهيمة التى جدعها أهلها فقطعوا أذنها : دليل على أن الفطرة هى الفطرة المستقيمة السليمة ، وما يطرأ على المولود من التهويد والتنصير بمنزلة الجدع والتغيير فى ولد البهيمة ، ولأن « الفطرة » حيث جاءت مطلقة معرفة باللام لايراد بها إلا فطرة التوحيد والإسلام ، وهى الفطرة الممدوحة. ولهذا جاء فى حديث الاسراء « لما أخذ النبى صلى الله عليـه وسلم اللبن ، قيل له : أصبت الفطرة » ولما سمع النبى صلى الله عليه وسلم المؤذن يقول « الله أ كبر الله أ كبر » قال « على الفطرة » وحيث جاءت « الفطرة » فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بها فطرة الاسلام لا غير ، ولم يجىء

٤٥٤٩ ـ وعن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ ، فأبَواهُ يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه ،

٤٥٤٩ ـ ذكر أبو داود فى تفسيره عن حماد بن سلمة أنه كان يقول : هذا عندنا حيث أخذ الله عليهم العهد فى أصلاب آبائهم فقال (ألست بربكم ؟ قالوا : بلى) .

قلت : معنى قول حماد فى هذا حسن : وكأنه ذهب إلى أنه لاعبرة للإيمان الفطرى ، فى أحكام الدنيا ، وإنما يعتبر الإيمان الشرعى المكتسب بالإرادة والفعل .

ألا ترى أنه يقول« فأبواه يهودانه و ينصرانه » فهو مع وجود الإيمان الفطرى فيه محكوم له بحكم الأبوين الكافرين .

قط فى كلامه مراداً بها فطرة الشقاوة وابتداء الخلقة فى موضع واحد .

ولفظ الحديث يدل على أنه غير منسوخ ، وأنه يستحيل فيه النسخ ، كما قال بعضهم ، لأنه خبر محض ، وليس حكما يدخل تحت الأمر والنهى ، فلا يدخله النسخ .

وأما حديث عائشة فى قصة الصبى من الأنصار ، فرده الامام أحمد وطعن فيه ، وقال : من يشك أن أولاد المسلمين فى الجنة ؟ وقال أيضاً : إنهم لا اختلاف فيهم .

وأما مسلم : فأورده فى صحيحه كما تقدم .

ومن انتصر للحديث وصححه يقول : الانكار من النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة إنما كان لشهادتها للطفل المعين بأنه فى الجنة ، كالشهادة للمسلم المعين ؛ فان الطفل تبع لأبويه ، فاذا كان أبواه لايشهد لهما بالجنة ، فكيف يشهد للطفل التابع لهما ؟ .

والإجماع إنما هو على أن أطفال المسلمين من حيث الجملة مع آبائهم ؛ فيجب الفرق بين المعين والمطلق .

وفى صحيح أبى حاتم من حديث عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذرارى المؤمنين يكفلهم إبراهيم صلي الله عليه وسلم فى الجنة » .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن سمرة بن جندب قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ قال : فيقص عليه من شاء الله أن يقص ، وأنه قال لنا ذات غداة : أتانى الليلة آتيان — فذكر حديث الرؤيا بطوله — إلى أن قال : فأتينا على روضة معتمة من كل لون الربيع ، وإذا بين ظهرى الروضة رجل طويل ، لا أكاد أرى رأسه طولا فى السماء ، وإذا حول الرجل أكثر ولدان رأيتهم قط ـ وقال فيه ـ وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة : فانه إبراهيم صلى الله عليه وسلم ؛ وأما الولدان الذين

كما تَنَاتَجُ الإبلُ من بَهيمة جَمْعاء ، هل تُحِسُّ فيها من جَدْعَاء ؟ قالوا : يارسول الله أفرأيتَ من يموت وهو صغير ؟ قال : الله أعلمُ بما كانوا عاملين »

وفيه وجه ذهب إليه عبد الله بن المبارك ، حين سئل عنه ، فقال في تفسير قوله حين سئل عن الأطفال فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » يريد ـ والله أعلم ـ أن كل مولود من البشر إنما يولد على فطرته التي جُبل عليها من السعادة والشقاوة ، وعلى ما سبق له من قدر الله وتقدم من مشيئته فيه : من كفر أو إيمان . فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليه ، وخلق له ، وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لفطرته في الشقاوة والسعادة .

حوله : فكل مولود مات على الفطرة ، قال : فقال بعض المسلمين : يا رسول الله ، وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأولاد المشركين »

وفي الصحيحين عن ابن عباس « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين ؟ فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم »

وفي الصحيحين عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغلام الذى قتله الخضر ، طبع كافراً ، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً » .

وفي الصحيحين عن الصعب بن جثامة قال « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدار من المشركين ، يبيتون ، فيصيبون من نسائهم وذراريهم ؟ فقال : هم منهم »

وفي لفظ لهما « هم من آبائهم » .

وهذه الأحاديث لا تناقض بينها ، بل يصدق بعضها بعضاً .

وقد اختلف العلماء في الأطفال على ثمانية أقوال .

أحدها : الوقف فيهم ، وترك الكلام في مستقرهم ، ويوكل علمهم إلى الله تعالى .

قال هؤلاء : وظواهر السنن ، وأجوبة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس ، وأبي هريرة رضي الله عنهم يدل على ذلك ، إذ وكل علمهم إلى الله ، وقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

قالوا : وقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث جرير بن حازم قال : سمعت أبا رجاء العطاردى قال : سمعت ابن عباس يقول ـ وهو على المنبر ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايزال أمر هذه الأمة قواما أو مقارباً ، ما لم يتكلموا في الولدان والقدر » .

قال أبو حاتم الولدان : أراد بهم أطفال المشركين .

وأخرجه البخارى ومسلم بمعناه من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة .

فمن أمارات الشقاوة للطفل : أن يولد بين يهوديين ، أونصرانيين فيحملانه ـ لشقائه ـ على اعتقاد دين اليهود أوالنصارى ، أو يعلمانه اليهودية أوالنصرانية، أو يموت قبل أن يعقل فيصف الدين ، فهو محكوم له بحكم والديه . إذهو فى حكم الشريعة تبع لوالديه ، وذلك معنى قوله « فأبواه يهودانه أو ينصرانه ».

وفيما استدلت به هذه الطائفة نظر ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يجب فيهم بالوقف ، وإنما وكل علم ما كانوا يعملونه لو عاشوا إلى الله ، وهذا جواب عن سؤالهم « كيف يكونون مع آبائهم بغير عمل ؟ » وهو طرف من الحديث .

ويدل عليه حديث عائشة الذى ذكره أبو داود فى أول الباب ، والنبى صلى الله عليه وسلم وكل العلم بعملهم إلى الله ، ولم يقل « الله أعلم حيث يستقرون . أوأين يكونون » .

فالدليل غير مطابق لمذهب هذه الطائفة .

وأما حديث أبى رجاء عن ابن عباس فى المنع من الكلام فيهم . ففى القلب من رفعه شىء .

وبالجملة: فانما يدل على ذم من تكلم فيهم بغير علم ، أو ضرب الأحاديث فيهم بعضها ببعض ، كما فعل مع الذين أنكر عليهم كلامهم فى القدر ، وأما من تكلم فيهم بعلم وحق فلا يذم .

القول الثانى : أن أطفال المشركين في النار . وهذا مذهب طائفة ، وحكاه القاضى أبويعلي رواية عن أحمد ، قال شيخنا : وهو غلط منه على أحمد ، وسبب غلطه : أن أحمد سئل عنهم ؟ فقال : هم على الحديث ، قال القاضى : أراد حديث خديجة ، إذ « سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن أولادها الذين ماتوا قبل الإسلام ؟ فقال : إن شئت أسمعتك تضاغيهم فى النار » .

قال شيخنا : وهذا حديث موضوع ، وأحمد أجل من أن يحتج بمثله ، وإنما أراد حديث عائشة « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

والقول الثالث : أنهم فى الجنة ، واحتج هؤلاء بحديث سمرة الذى رواه البخارى .

واحتجوا بقوله تعالى (١٧:١٥ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وبقوله (٦٧: ٨ ، ٩ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا : بلى ، قد جاءنا نذير فكذبنا ، وقلنا : ما نزل الله من شىء) فهذا دليل على أن كل فوج يلقى فى النار لابد وأن يكونوا قد جاءهم النذير وكذبوه ، وهذا ممتنع في حق الأطفال .

٤٥٥٠ ـ وعن ابن وَهْبٍ ـ وهو عبد الله ـ قال : سمعت مالـكا ، قيل له : « إن أهل الأهواءِ يَحْتَجُّون علينا بهذا الحـديث ، قال مالك : احتجَّ عليهم بآخره ، قالوا : أرأيتَ من يموت وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين »

ويشهد لهذا المذهب : حديث عائشة رضى الله عنها «أن النبى صلى الله عليه وسلم أُتى بصبى من الأنصار يصلى عليه ، فقلت : يارسول الله طوبى لهذا . لم يعمل شيئاً . ولم يدر به . قال: أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق الجنـة وخلق لها أهلاً ، وخلقها لهم وهم فى أصلاب آبائهم . وخلق النار وخلق لها أهلا ، وخلقها لهم وهم فى أصلاب آبائهم ».

وقد ذكره أبوداود فى هذا الباب .

واحتجوا بقوله تعالى لإبليس (٣٨:٨٥ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين)

قالوا : فاذا امتلأت منه ومن أتباعه لم يبق فيها موضع لغيرهم .

واحتجوا بقوله (٤:١٦٥ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

قالوا : فالله تعالى لايعذب أحداً إلا بذنبه ، فالنار دار عدله لايدخلها أحد إلا بعمل ، وأما الجنة فدار فضله ، يدخلها بغير عمل ، ولهذا ينشىء للفضل الذى يبقى فيها أقواماً يسكنهموه .

وأما الحديث الذى ورد فى بعض طرق البخارى « وأما النار فينشىء الله لها خلقاً يسكنهم إياها » فغلط من الراوى، انقلب عليه لفظه ، وإنما هو « وأما الجنة فان الله ينشىء لها خلقاً» وقد ذكره البخارى ، وسياق الحديث يدل على ذلك .

قالوا : وأما حديث عائشة والأسود بن سريع : فليس فيه أنهم فى النار ، وإنما فيه « أنهم من آبائهم تبع لهم فى الحـكم » وأنهم إذا أصيبوا فى البيـات [1] لم يضمنوا بدية ولا كفارة وهذا ظاهر فى حديث الأسود .

وأما حديث عائشة : فقد ضعفه غير واحد .

قالوا : وحديث خديجة باطل لا يصح .

والقول الرابع : أنهم بين الجنة والنار ، إذ لا معصية لهم توجب دخول النار ، ولا إسلام يوجب لهم دخول الجنة .

وهذا أيضـاً ليس بشىء ، فانه لادار للقرار إلا الجنة والنار ، وأما الأعراف فان مآل أصحابها إلى الجنة ، كما قاله الصحابة [2] .

---

(١) البيات : هو أن يبيت العدو بالليل وهم غافلون فى نومهم . (٢) بل كما هو صريح القرآن . فإن رجال الأعراف : هم شهداء الله على خلقه من النبيين والصديقين .

٤٥٥١ ـ وعن حَجَّاج بن المِنْهال ، قال : سمعت حَمَّاد بن سَلَمَة يُفَسِّر حديثَ « كل

حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن طلحة بن يحي عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها .

ويشهد له أيضاً حديث أبي بن كعب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله تعالى (١٨ : ٨٠ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين) «وكان طبع يوم طبع كافراً »

والقول الخامس : أنهم تحت المشيئة ، يجوز أن يعذبهم وأن ينعمهم ، وأن يعذب بعضاً وهذا قول كثير من المثبتين للقدر ، وقول الجبرية ونفاة التعليل والحكم .

والقول السادس : أنهم ولدان أهل الجنة وخدمهم ، وقد روى فى ذلك حديث لايثبت .

والقول السابع : أن حكمهم حكم الآباء فى الدنيا والآخرة ، فلا حكم لهم غير حكم آبائهم . فكما هم تبع لآبائهم فى الدنيا كذلك هم لهم تبع فى الآخرة .

والقول الثامن : أنهم يمتحنون فى الآخرة ؛ فمن أطاع منهم أدخله الله الجنة ، ومن عصى عذبه ، وقد روى فى هذا من حديث الأسود بن سريع وأبى هريرة وغيرهما ، وهى أحاديث يشد بعضها بعضاً .

وهذا أعدل الأقوال ، وبه يجتمع شمل الأدلة وتتفق الأحاديث فى هذا الباب .

وعلى هذا فيكون بعضهم فى الجنة ، كما فى حديث سمرة ، و بعضهم فى النار ، كما دل عليه حديث عائشة . وجواب النبي صلي الله عليه وسلم يدل على هذا ، فانه قال « الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم » .

ومعلوم أن الله لايعذبهم بعلمه فيهم ما لم يقع معلومه ، فهو إنما يعذب من يستحق العذاب على معلومه ، وهو متعلق علمه السابق فيه ، لاعلى علمه المجدد ، وهذا العلم يظهر معلومه فى الدار الآخرة .

وفى قوله « الله أعلم بما كانوا عاملين » إشارة إلى أنه سبحانه كان يعلم ما كانوا عاملين لو عاشوا ، وأن من يطيعه وقت الامتحان كانْ ممن يطيعه لو عاش فى الدنيا ، ومن يعصيه حينئذ كان ممن يعصيه لو عاش فى الدنيا ، فهو دليل على تعلق علمه بما لم يكن لو كان كيف كان يكون

وقيل : إنما قاله النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلمه الله بمصيرهم ومستقرهم .

وليس بشىء ، فانه لاتعرض فى هذا للمستقر ، كما تقدم .

وقيل : معناه : الله أعلم على أى دين يميتهم ، لو عاشوا و بلغوا العمل ، فأما إذا عدم فيهم العمل فهم فى رحمة الله ، وهذا بعيد من دلالة اللفظ عليه . والله أعلم .

مولودٍ يولَدُ على الفطرة » قال « هذا عندنا : حيث أخذَ الله عليهم العهد فى

قلت : وفيه وجه ثالث : وهو أن يكون معناه : أن كل مولود من البشر إنما يولد فى مبدأ الخِلقة وأصل الجبلّة على الفطرة السليمة ، والطبع المتهيء لقبول الدين . فلوترك عليها وخُلِّى سبيله لاستمر على لزومها ، ولم يفارقها إلى غيرها . لأن هذا الدين موجود حسنه فى العقل ، و يسره في النفوس . و إنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره و يؤثره عليه لآفة من آفات فساد النشوء والتقليد . فلو سلم المولود من تلك الآفات لم يعتقد غيره . ولم يختر عليه ما سواه . ثم مثل بأولاد اليهود والنصارى فى اتباعهم لآبائهم ، والميل إلى أديانهم ، فيزولون بذلك عن الفطرة السليمة ، وعن المحجة المستقيمة .

وفيه أقاويل أخر . قدذكرتها فى مسئلة أفردتها فى تفسير الفطرة .

وفيما أوردته ههنا كفاية على ما شرطناه من الاختصار فى هذا الكتاب .

وأصل « الفطرة » فى اللغة : ابتداء الخلق ، ومنه قول الله سبحانه (٣٥ : ١ الحمد لله فاطر السموات والأرض) أى مبتديها ، ومن هذا قولهم : فَطَرَ نابُ البعير : اذا طلع .

و يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال « لم أعلم ما (فاطر السموات) حتي اختصم إلى أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فاطرها . أى حافرها ومفترحها » .

وقوله « من بهيمة جمعاء » فإن « الجمعاء » هي السليمة ، سميت بذلك لاجتماع السلامة لها فى أعضائها .

يقول : إن البهيمة أول ما تولد تكون سليمة من الجدع والخرم ونحو ذلك من العيوب حتى يحدث فيها أربابُها هذه النقائص . كذلك الطفل يولد مفطوراً على خلقته السليمة . ولو ترك عليها لسلم من الآفات ، إلا أن والديه يزينان له الكفر .ويحملانه عليه .

قلت : وليس فى هذا ما يوجب حكم الايمان له ، إنما هو ثناء على هذا الدين ، و إخبار عن سر محله من العقول ، وحسن موقعه من النفوس . والله أعلم .

أصلابِ آبائهم ، حيث قال (٧ :١٧٢ألستُ بربكم ؟ قالوا : بلى [1])

---

(١) يعنى حماد بن سلمة : أن الفطرة : هى العهد الذى أخذه الله عليهم فى أصلاب آبائهم . الذى تشير إليه الآية (٧:١٧٢ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم؟ قالوا: بلى . شهدنا : أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟)

وقد ذكر الحافظ ابن كثير فى تفسير الآية : قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير – يعنى ابن حازم – عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها . فنثرها بين يديه . ثم كلمهم قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى – الحديث » وقد روى هذا الحديث النسائى فى كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن الحسين بن محمد المروزى به . ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث حسين بن محمد به ، إلا أن ابن أبى حاتم جعله موقوفا . وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . فوقفه . وكذا رواه اسماعيل بن علية ووكيع عن ربيعة بن كلثوم عن جبير عن أبيه به . وكذا رواه عطاء بن السائب ، وحبيب بن أبى ثابت وعلى بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . وكذا رواه عطية العوفى وعلى بن طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت . والله أعلم – ثم رواه عن ابن جرير من طرق أخرى عن ابن عباس . ثم قال : فهذه الطرق كلها مما يقوى وقف هذا على ابن عباس – إلى أن قال :

وأن الاشهاد عليهم – يعنى بنى آدم – هناك بأنه ربهم . فما هو إلا فى حديث كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . وفى حديث عبد الله بن عمرو . وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان . ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف : إن المراد بهذا الاشهاد : إنما هو فطرهم على التوحيد . كما تقدم فى حديث أبى هريرة وعياض بن حمار المجاشعى ومن رواية الحسن البصرى عن الاسود بن سريع . وقد فسر الحسن الآية بذلك . قالوا : ولهذا قال (وإذ أخذ ربك من بنى آدم) ولم يقل : من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره . (ذرياتهم) أى جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن . كقوله تعالى (٦ : ١٦٥ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض)وقال (٢٧ : ٧٢ ويجعلكم خلفاء الأرض) وقال (٦ : ٣٣ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) و (أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى) أى أوجدهم شاهدين بذلك ، قائلين له حالا وقالا . والشهادة تارة تكون بالقول . كقوله (قالوا : شهدنا على أنفسنا) وتارة تكون حالا . كقوله تعالى (٩ : ١٥ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى حالهم شاهد عليهم بذلك اﻫ باختصار . =

٤٥٥٢ ـ وعن عامر ـ وهو الشَّعْبِيُّ ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الوائِدةُ والموءودة فى النار »

قال يحيي ـ وهو ابن زكريا بن أبى زائدة ـ قال أبى : فحدثنى أبو إسحاق ـ يعني السبيعى ـ : أن عامرا حدثه بذلك عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم .

٤٥٥٣ ـ وعن أنس ـ وهو ابن مالك رضى الله عنه ـ أن رجلا قال«يارسول الله أين أبى ؟ قال : أبوكَ فى النار . فلما قَفَّى[1] قال : إن أبى وأباكَ فى النار »

وأخرجه مسلم .

٤٥٥٤ ـ وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ الشيطان يجرى من ابن آدم مَجْرَى الدَّمِ »

وأخرجه مسلم بطوله.

وأخرجه البخارى ومسلم والنسأئى وابن ماجة من حديث صفية بنتِ حُيَيٍّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم فى كتاب الصيام .

٤٥٥٥ ـ وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال «لا تُجَالِسُوا أهْلَ الْقَدَرِ ، ولا تفاتحوهم ـ الحديث » وقد تقدم .

= معنى الآية: أن ربنا أشهدهم بأخذ النطف من الآباء إلى أرحام الأمهات، ثم تخليقها طورا بعد طور ، ثم إخراجهم بشرا سويا ، ثم تنشئتهم وتربيتهم وبما أقام لهم فى أنفسهم وفى الآفاق من الآيات التي يخضعون خضوعا كونيا بها للربوبية . فيشهدون بهذا الخضوع وبحالهم فيه : أنه هوربهم الذى يربيهم بنعمه وآلائه وآياته الكونية والعلمية وحده.فكيف بعد هذا يتخذون من دونه آلهة وأندادا من بنى الإنسان يعبدونهم مع الله ، ويقعون فى ذلك الشرك القبيح مقلدين للاباء الغافلين المبطلين ؟!.

(١) « قفى » أى : ولى قفاه .

باب فى الجهمية[1] [٤ : ٣٦٧]

٤٥٥٦ ـ عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالُ الناسُ يتساءلون ، حتى يقال هذا : خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ فمن وَجَدَ من ذلك شيئاً فليقل : آمنتُ بالله »

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

٤٥٥٧ ـ وعنه رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ـ فذكر نحوه ـ قال: « فإذا قالوا ذلك ، فقولوا : (اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لم يَلِدْ ، ولم يولد ، ولم يكن له كُفواً أحد) ثم لِيَتْفِلَ عن يساره ـ ثلاثاً ـ ولْيَسْتَعِذْ من الشيطان » .

وأخرجه النسائى .

وفى إسناده : محمد بن إسحاق بن يسار . وقد تقدم الكلام عليه .

وفى إسناده أيضاً : سلَمة بن الفضْل قاضى الرَّى . ولا يحتج به .

٤٥٥٨ ـ وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، قال : « كنتُ فى البَطْحاء فى عِصابة ، فيهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فمرَّتْ بهم سَحابة ، فنظر إليها

٤٥٥٨ ـ ذكر الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله : حديث العباس الذى فيه ذكر بعدما بين سماء وسماء ثم قال :

قد رد هذا الحديث بشيئين .

---

(١) منسوبون إلى الجهم بن صفوان السمرقندى ، قال الذهبى فى الميزان : هو الضال المبتدع رأس الجهمية ، هلك فى زمان صغار التابعين ، زرع شراً عظيما . وقال المرتضى الزبيدى : قتل فى آخر دولة بنى أمية . ومن قوله الخبيث : إن ربه لا يوصف بأنه شىء ، ولا بأنه حى عالم وزعم أن وصف ربه بذلك يقتضى التشبيه ، تعالى الله ربنا عما يقول الجهم الخبيث وإخوانه الظالمون علواً كبيراً .

فقال : ما تُسَمُّونَ هذه ؟ قالوا : السحاب ، قال : والمزْنُ . قالوا : والمزن ، قال : والْعَنَانَ . قالوا : والعَنان » ـ قال أبو داود : لم أتقن « العَنان » جيداً ـ قال صلى الله عليه وسلم «هل تَدْرُون ما بُعْدُ ما بين السماء والأرض ؟ قالوا : لاندرى ، قال : إن بُعْدَ مابينهما : إمَّا واحدة ، أو اثنتان ، أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء

أحدهما بأن فيه الوليد بن أبى ثور ، ولا يحتج به .

والثانى : بما رواه الترمذى من حديث قتادة عن الحسن عن أبى هريرة قال « بينما نبى الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، إذ أتى عليهم سحاب ، فقال النبى صلى الله عليه : هل تدرون ماهذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا العنان ، هذه روايا الأرض ، يسوقهـا الله تعالى إلى قوم لايشكرونه ، ولا يدعونه ، ثم قال : هل تدرون مافوقكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنها الرقيع ، سقف محفوظ ، وموج مكفوف ، ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : بينكم وبينها خمسمائة سنة ، ثم قال : هل تدرون مافوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فان فوق ذلك سماءين ما بينهما خمسمائة سنة ، حتى عد سبع سموات ، مابين كل سماءين كما بين السماء والأرض ، ثم قال : هل تدرون مافوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ؟ قال : فان فوق ذلك العرش ، وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ، ثم قال : هل تدرون ما الذى تحتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال فإنها الأرض . ثم قال : هل تدرون ما الذى تحت ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن تحتها أرضاً أخرى ، بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، حتى عد سبع أرضين ، بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ، ثم قال : والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله ، ثم قرأ (٥٧ : ٣ هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم [١])

قالوا : هذا خلاف حديث العباس فى موضعين : فى ذكر بعد المسافة بين السموات ، وفى نفى اختصاص الرب بالفوقية .

قال المثبتون : أما رد الحديث الأول بالوليد بن أبى ثور : ففاسد ، فإن الوليد لم ينفرد به . بل تابعه عليه إبراهيم بن طهمان ، كلاهما عن سماك ، ومن طريقه : رواه أبو داود ، ورواه أيضاً عمرو بن أبى قيس عن سماك ، ومن حديثه رواه الترمذى عن عبد بن حميد حدثنا

---

(١) رواه الترمذى فى تفسير سورة الحديد ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

فوقها كذلك ـ حتى عَدَّ سَبْعَ سموات ـ ثم فوق السابعة بَحْرٌ ، بين أسفله وأعلاه مثلُ ما بين سماءٍ إلى سماء ، ثم فوقَ ذلك ثمانية أو عالٍ ، بين أظلافهم ورُكَبهم مثلُ ما بين سماء إلى سماءٍ ، ثم على ظهورهم العرش، بين أسفله وأعلاه : مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله تبارك وتعالى فوقَ ذلك » .

وأخرجه الترمذى وابن ماجة . وقال الترمذى : حسن غريب . وروى شَريك بعضَ هذا الحديث عن سِماك . فوقفه . هذا آخر كلامه .

وفى إسناده : الوليد بن أَبى ثور ، ولا يحتج بحديثه .

عبد الرحمن بن سعد عن عمرو بن قيس ، قال الترمذى : قال عبد بن حميد : سمعت يحيى بن معين يقول : ألا تريدون بن عبد الرحمن بن سعد أن يحج حتى نسمع منه هذا الحديث .

ورواه الوليد بن أبى ثور عن سماك ، ومن حديثه رواه ابن ماجة فى سننه .

فأى ذنب للوليد فى هذا ؟ وأى تعلق عليه ؟ وإنما ذنبه : راويته مايخالف قول الجهمية . وهى غلته المؤثرة عند القوم .

وأما معارضته لحديث الحسن عن أبى هريرة ففاسدة أيضاً ، فان الترمذى ضعف حديث الحسن هذا ، وقال فيه : غريب فقط ، قال : ويروى عن أيوب ، ويونس بن عبيد ، وعلى ابن زيد قالوا : لم يسمع الحسن من أبى هريرة .

قال الترمذى : فسر بعض أهل العلم هذا الحديث ، فقالوا : إنما معناه : هبط على علم الله وقدرته وسلطانه ، وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان ، وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه .

وهذا التفسير الذى ذكره الترمذى يشبه التفسير الذى حكاه البيهقى عن أبى حنيفة رحمه الله فى قوله تعالى (٥٧ : ٤ وهو معكم أينما كنتم) فانه قال : أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه أخبرنا أبو محمد بن الحباب أخبرنا أحمد بن جعفر بن نصر حدثنا يحيى بن يعلى قال : سمعت نعيم ابن حماد يقول : سمعت نوح بن أبى مريم يقول « كنا عند أبى حنيفة ، أول ماظهر ، إذ جاءته امرأة من ترمذ ، كانت تجالس جهماً ، فدخلت الكوفة فأظننى أقل مارأيت عليها عشرة الآلاف من الناس يدعون إلى رأيها ، فقيل لها : إن ههنا رجلا نظر فى المعقول ، يقال له : أبو حنيفة ، فأتته فقالت : أنت الذى تعلم الناس المسائل ، وقد تركت دينك ، أين إلهك الذى تعبده ؟ فسكت عنها ، ثم مكث سبعة أيام لايجيبها ، ثم خرج إلينا ، وقد وضع كتاباً : إن الله

٤٥٥٩ ـ وعن جُبير بن محمد بن جبير بن مُطْعِمٍ ، عن أبيه ، عن جده ، قال « أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعرابيٌّ ، فقال : يارسولَ الله ، جَهِدَتِ الأنفسُ ، وضاعتِ العيالُ ، ونُهِكَتْ الأموالُ ، وهَلَكت الأنعامُ ، فاسْتَسْقِ اللهَ لنا .

٤٥٥٩ ـ قال الشيخ : هذا الكلام إذا جرى على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية، والكيفية عن الله وصفاته منفية .

فعقل أن ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ، ولا تحديده على هذه الهيئة.

وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله وجلاله سبحانه، وإنما قصد به إفهام السائل

تعالى فى السماء دون الأرض . فقال له رجل : أرأيت قول الله تعالى (وهو معكم) قال : هو كما تكتب إلى الرجل : إنى معك ، وأنت غائب عنه » .

قال البيهقى : فقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله تعالى من الكون فى الأرض . وفيما ذكر من تأويل الآية : تبع مطلق السمع فى قوله : إن الله عز وجل فى السماء .

هذا لفظه فى كتاب الأسماء والصفات .

قالوا : وأما اختلاف مقدار المسافة فى حديثى العباس وأبى هريرة : فهو مما يشهد بتصديق كل منهما الآخر ، فان المسافة يختلف تقديرها بحسب اختلاف السير الواقع فيها ، فسير البريد مثلا : يقطع بقدر سير ركاب الإبل سبع مرات ، وهذا معلوم بالواقع ، فما تسيره الإبل سيراً قاصداً فى عشرين يوماً يقطعه البريد فى ثلاثة ، فحيث قدر النبى صلى الله عليه وسلم بالسبعين أراد به السير السريع سير البريد ، وحيث قدر بالخمسمائة أراد به السير الذى يعرفونه سير الإبل والركاب ، فكل منهما يصدق الآخر ، ويشهد بصحته ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا .

٤٥٥٩ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله : حديث ابن إسحاق الذى فيه « وإن عرشه فوق سماواته كالقبة » وتعليل المنذرى له ، ثم قال :

قال أهل الاثبات : ليس فى شىء من هذا مستراح لكم فى رد الحديث .

أما حملكم فيه على ابن إسحاق : فجوابه : أن ابن إسحاق بالموضع الذى جعله الله من العلم والأمانة . قال على بن المدينى : حديثه عندى صحيح ، وقال شعبة : ابن إسحاق أمير المؤمنين فى الحديث ، وقال أيضاً : هو صدوق ، وقال على بن المدينى أيضاً : لم أجد له سوى حديثين منكرين .

فإنَّا نَسْتَشْفِعُ بك على الله ، ونستشفع بالله عليك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَيْحَكَ ! ! أتدرى ماتقول ؟ وسَبَّح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فما زال يُسبح حتى عُرِف ذلك فى وجوه أصحابه ، ثم قال : وَيْحَكَ ! ! إنه لا يُسْتَشْفَعُ بالله على أحدٍ من خلقه ، شأنُ الله أعظمُ من ذلك ؛ ويحك ! ! أتدرى ما الله ؟

من حيث يدركه فهمه . إذ كان أعرابياً جلفاً لاعلم له بمعانى ما دق من الكلام ، وبما لطف منه عن درك الافهام [1]

وفى الكلام حذف و إضمار

فمعنى قوله « أتدرى ما الله » معناه . أتدرى ما عظمة الله وجلاله ؟ .

وهذا فى غاية الثناء والمدح ، إذ لم يجد له ـ على كثرة ماروى ـ إلا حديثين منكرين .

وقال على أيضاً : سمعت ابن عيينة يقول : ماسمعت أحداً يتكلم فى ابن إسحاق إلا فى قوله فى القدر ، ولا ريب أن أهل عصره أعلم به ممن تكلم فيه بعدهم .

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت الشافعى يقول : قال الزهرى : لا يزال بهذه الحرة علم ما دام بها ذلك الأحول ، يريد ابن إسحاق .

وقال يعقوب بن شيبة : سألت يحيى بن معين : كيف ابن إسحاق ؟ قال : ليس بذاك ، قلت : ففى نفسك من حديثه شيء ؟ قال : لا ؛ كان صدوقاً .

وقال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : لو كان لى سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين .

---

(١) هذا الكلام على مذهب الخطابي رحمه الله فى التأويل والله يغفرلنا وله .

أما مذهب أهل السنة : فيؤمنون بأن هذا العربى أصدق فهما ، وأعرف بمذاهب الكلام من أى واحد من المؤولين وشيوخهم . وكيف يظن هذا ؟ والمخاطب له رسول الله صلى الله عليه وسلم . الذى أرسله الله ليبين للناس ، لا ليكلمهم بما يوهم الباطل . حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك . ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وآمنت بالله على ما وصف نفسه وعلى ما وصفه رسوله الصادق صلى الله عليه وسلم . والله يثبتنا على ذلك .

إنَّ عرشه على سمواته لَهٰكذا ـ وقال بأصابعه مثلَ القُبَّة عليه ـ وإنه لَيَئِطّ به أَطِيط الرَّحل بالراكب ـ قال ابن بَشَّار فى حديثه : إن الله فوقَ عرشه ، وعَرْشُه فوق سمواته ـ وساق الحديث » .

وقوله « إنه ليئط به » معناه : أنه ليعجز عن جلاله وعظمته يئط به ، إذ كان معلوماً أن أطيط الرحل بالراكب : إنما يكون لقوة ما فوقه ، ولعجزه عن احتماله .

فقرر بهذا النوع من التمثيل عنده معنى عظمة الله وجلاله ، وارتفاع عرشه ، ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن وجلالة القدر ، وفخامة الذكر : لا يجعل شفيعاً إلى من هو دونه فى القدر . وأسفل منه فى الدرجة ، وتعالى الله أن يكون مشبهاً بشىء ، أو مكيفاً بصورة خلق أو مدركاً بحد (٢٤ : ١١ وليس كمثله شىء وهو السميع البصير) .

وقال ابن عدى : قد فتشت أحاديث ابن إسحاق الكبير ، فلم أجد فى حديثه ما يتهيأ أن نقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ أو وهم ، كما يخطىء غيره . ولم يتخلف فى الرواية عند الثقات والأئمة ، وهو لا بأس به .

وقال أحمد بن عبد الله العجلى : ابن إسحاق ثقة .

وقد استشهد مسلم بخمسة أحاديث ذكرها لابن إسحاق فى صحيحه

وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث ابن إسحاق : حدثنا سعيد بن عبيد بن السباق عن أبيه عن سهل بن حنيف قال « كنت ألقى من المذى شدة ، فأكثر الاغتسال منه — الحديث »

قال الترمذى : هذا حديث صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث ابن إسحاق ، فهذا حكم قد تفرد به ابن إسحاق فى الدنيا وقد صححه الترمذى .

فإن قيل : فقد كذبه مالك ، فقال أبو قلابة الرقاشى : حدثنى أبو داود سليمان بن داود قال : قال يحيى بن القطان : أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب .

قلت : وما يدريك ؟ قال قال لى وهب ، فقلت لوهب : وما يدريك ؟ قال : قال لى مالك ابن أنس ، فقلت لمالك : وما يدريك ؟ قال : قال لى هشام بن عروة ، قال : قلت لهشام :

قال أبو بكر البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه من الوجوه ، إلا من هذا الوجه . ولم يقل فيه محمد بن إسحاق « حدثني يعقوب بن عقبة » هذا آخر كلامه .

وذكر البخارى هذا الحديث فى التاريخ من رواية جبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده ، ولم يدخله فى الجامع الصحيح .

وما يدريك ؟ قال : حدث عن امرأتى فاطمة بنت المنذر ؛ وأدخلت عليها ، وهى بنت تسع ، وما رآها رجل حتى لقيت الله .

قيل : هذه الحكاية وأمثالها هى التى غرت من اتهمه بالكذب .

وجوابها من وجوه :

أحدها : أن سليمان بن داود — راويها عن يحي — هو الشاذكونى ، وقد اتهم بالكذب ، فلا يجوز القدح فى الرجل بمثل رواية الشاذكونى .

الثانى : أن فى الحكاية مايدل على أنها كذب ، فانه قال «أدخلت فاطمة على وهى بنت تسع» وفاطمة أكبر من هشام بثلاث عشرة سنة ، ولعلها لم تزف إليه إلا وقد زادت على العشرين . ولما أخذ عنها ابن إسحاق كان لها نحو بضع وخمسين سنة .

الثالث : أن هشاماً إنما نفى رؤيته لها ، ولم ينف سماعه منها ، ومعلوم أنه لايلزم من انتفاء الرؤية انتفاء السماع ، قال الإمام أحمد : لعله سمع منها فى المسجد ، أو دخل عليها فحدثته من وراء حجاب ، فأى شىء فى هذا ؟ فقد كانت امرأة كبرت وأسنت .

وقال يعقوب بن شيبة : سألت ابن المدينى عن ابن إسحاق ؟ فقال : حديثه عندى صحيح . قلت : فكلام مالك فيه ؟ قال : مالك لم يجالسه ، ولم يعرفه ؛ وأى شىء حدث بالمدينة ؟ قلت : فهشام بن عروة قد تكلم فيه ؟ قال : الذي قال هشام ليس بحجة ، لعله دخل على امرأته وهو غلام ، فسمع منها ، فان حديثه ليتبين فيه الصدق ؛ يروى مرة : يقول حدثنى أبو الزناد ، ومرة يقول : ذكر أبو الزناد ، ويقول : حدثنى الحسن بن دينار عن أيوب عن عمرو بن شعيب «فى سلف وبيع » وهو أروى الناس عن عمرو بن شعيب .

فصل

وأما قولكم : إنه لم يصرح بسماعه من يعقوب بن عتبة ، فعلى تقدير العلم بهذا النفى :

ومحمد بن إسحاق مُدلِّس . وإذا قال المدلس « عن فلان » ولم يقل « حدثنا ، أو سمعت ، أو أخبرنا » لا يحتج بحديثه .

وإلى هذا أشار البزار ، مع أن ابن إسحاق إذا صرح بالسماع اختلف الحفاظ فى الاحتجاج بحديثه . فكيف إذا لم يصرح به ؟

لايخرج الحديث عن كونه حسناً ، فإنه قد لقى يعقوب ، وسمع منه ؛ وفي الصحيح قطعة من الاحتجاج بعنعنة المدلس ، كأبي الزبير عن جابر ؛ وسفيان عن عمرو بن دينار ، ونظائر كثيرة لذلك .

وأما قولكم : تفرد به يعقوب بن عتبة ، ولم يرو عنه أحد من أصحاب الصحيح — فهذا ليس بعلة باتفاق المحدثين ، فان يعقوب لم يضعفه أحد ، وكم من ثقة قد احتجوا به ، وهو غير مخرج عنه فى الصحيحين ؟

وهذا هو الجواب عن تفرد محمد بن جبير عنه ، فانه ثقة .

وأما قولكم : إن ابن إسحاق اضطرب فيه إلى آخره — فقد اتفق ثلاثة من الحفاظ وهم : عبد الأعلى ، وابن المثنى ، وابن يسار : على وهب بن جرير عن أبيه عن ابن إسحاق : أنه حدث به عن يعقوب بن عتبة ، وجبير بن محمد عن أبيه ، وخالفهم أحمد بن سعيد الدمياطى فقال : عن وهب بن جرير عن أبيه : سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير فإما أن يكون الثلاثة أولى ؛ وإما أن يكون يعقوب رواه عن جبير بن محمد ، فسمعه منه ابن إسحاق ، ثم سمعه من جبير نفسه ، فحدث به على الوجهين ، وقد قيل : إن الواو غلط ، وأن الصواب عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد عن أبيه ؛ والله أعلم .

وأما قولكم : إنه اختلف فى لفظه ، فبعضهم قال « ليئط به » وبعضهم لم يذكر لفظة « به » فليس فى هذا اختلاف يوجب رد الحديث ؛ فاذا زاد بعض الحفاظ لفظة لم ينفها غيره ، ولم يرو مايخالفها ، فانها لا تكون موجبة لرد الحديث . فهذا جواب المنتصرين لهذا الحديث .

قالوا : وقد روى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير حديث ابن إسحاق . فقال محمد بن عبد الله الكوفى ـ المعروف بمطين ـ حدثنا عبد الله بن الحكم وعثمان قالا : حدثنا يحي عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر قال « أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة ، فقالت : ادع الله أن يدخلنى الجنة ؛ فعظم أمر الرب ، ثم قال : إن كرسيه فوق السموات والأرض ، وإنه يقعد عليه ، فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ، ثم قال بأصابعه فجمعها ، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل — الحديث »

وقد رواه يحي بن معين وغيره . فلم يذكروا فيه لفظة « به » .

وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقي : وقد تفرد به يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس الثقفي الأخنسي ، عن جبير بن محمد جبير بن مطعم القرشي النوفلي .

فان قيل : عبد الله بن الحكم وعثمان لايعرفان .

قيل: بل هما ثقتان مشهوران: عثمان بن أبي شيبة وعبد اللهبن الحكم القطواني ، وهما من رجال الصحيح .

وفى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب ، فهو عنده فوق عرشه : إن رحمتى غلبت غضبى » .

وفى لفظ البخارى « وهو وضع عنده على العرش » .

وفى لفظ له أيضاً « فهو مكتوب فوق العرش » .

« ووضع » بمعنى موضوع ، مصدر بمعنى المفعول ، كنظائره .

وفى صحيح البخارى أيضاً من حديث حماد بن زيد عن ثابت البنانى عن أنس قال « كانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجنى الله من فوق سبع سموات » .

وفى لفظ للبخارى « كانت تقول : أنكحنى الله فى السماء » .

وفى الصحيحين من حديث أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ، فان الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه [1] ، حتى تكون مثل الجبل » لفظ البخارى .

وفى الصحيحين من حديث مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم الله — وهو أعلم بهم — كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ؛ وأتيناهم وهم يصلون » ورواه البيهقى بإسناد الصحيح ، وقال « ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم » وقال : أخرجاه فى الصحيح .

وفى الصحيحين قصة سعد بن معاذ ، وحكمه فى بنى قريظة ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) « فلوة » بفتح الميم وضم اللام وتشديد الواو مفتوحة : المهر .

وليس لهما فى صحيحَىْ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى وأبى الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى رواية . وانفرد به محمد بن إسحاق بن يسار عن يعقوب . وابن

« لقد حكمت فيهم بحكم الملك » ورواه البيهقى من حديث سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه ، وفيه : فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لقد حكم فيهم اليوم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات » .

وقال ابن إسحاق فى حديثه « لقد حكمت فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبعة أرقعة » والرقيع من أسماء السماء ، وقد تقدم .

وروى الترمذى والإمام أحمد من حديث الحسن عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى « ياحصين ، كم تعبد اليوم إلهاً ؟ قال أبى : سبعة ، ستة فى الأرض وواحداً فى السماء ، قال : فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال : الذى في السماء ، قال : ياحصين ، أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك ؛ قال : فلما أسلم حصين قال : يارسول الله علمنى الكلمتين اللتين وعدتنى ، قال : قل : اللهم ألهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى »

وقد ثبت عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه شهد للجارية بالإيمان حيث أقرت بأن الله فى السماء ؛ وحديثها فى صحيح مسلم .

وثبت عنه فى الصحيح « أنه جعل يشير بأصبعه إلى السماء — فى خطبته فى حجة الوداع — وينكسها إلى الناس ويقول : اللهم اشهد » وكان مستشهداً بالله حينئذ ، لم يكن داعياً ، حتى يقال : السماء قبلة الدعاء .

وفى الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبى نعم قال : سمعت أبا سعيد الخدرى يقول « بعث على بن أبى طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهيبة فى أديم مقروظ لم تحصل من ترابها . فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن بدر ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع : إما علقمة بن علاثة ، وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا أحق بهذا من هؤلاء ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألا تؤمنونى ، وأنا أمين من فى السماء ؟ يأتينى خبر السماء صباحاً ومساء » .

وسيأتى إن شاء الله حديث أبى الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ربنا الله الذي في السماء ، تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كارحمتك فى السماء — الحديث » رواه أبو داود فى الطب .

وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبى قابوس — مولى لعبد الله بن عمرو ابن العاص — عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ارحموا من فى

إسحاق : لا يحتج بحديثه . وقد طعن فيه غير واحد من الأئمة . وكذبه جماعة منهم .

الأرض يرحمكم من فى السماء » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، وسيأتى فى كتاب الأدب .

وفى صحيح ابن حبان عن أبى عثمان النهدى عن سلمان الفارسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن ربكم حى كريم ، يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا » .

وقد روى الترمذى والبيهقى من حديث حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن أبى رزين العقيلى قال : قلت « يا رسول الله ، أين كان ربنا تبارك وتعالى قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : كان فى عماء ، ما فوقه هواء ، وماتحته هواء ، ثم خلق العرش ثم استوى عليه » هذا لفظ البيهقى ، وهذا الاسناد صححه الترمذى فى موضع ، وحسنه فى موضع

فصححه فى الرؤيا: أخبرنا الحسن بن على الخلال حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه أبى رزين العقيلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة ، وهى على رجل طائر ، مالم يحدث بها ، فاذا حدث بها وقعت ، قال : وأحسبه قال : لا تحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح(١) .

قال ابن القطان : فيلزمه تصحيح الحديث الأول ، أو الاقتصار على تحسين الثانى ، يعنى لأن الاسناد واحد .

قال : فان قيل : لعله حسن الأول لأنه من رواية حماد بن سلمة ، وصحح الثانى : لأنه من رواية شعبة ، وفضل مابينهما فى الحفظ بين .

قلنا : قد صحح من أحاديث حماد بن سلمة مالا يحصى ، وهو موضع لانظر فيه عنده ، ولا عند أحد من أهل العلم ، فانه إمام ، وكان عند شعبة من تعظيمه وإجلاله ماهو معلوم . وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعانى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير

---

(١) أخرج الترمذى هذا الحديث من طريق محمود بن غيلان حدثنا داود أنبأنا شعبة . ومن طريق الحسن بن على الخلال حدثنا يزيد بن هرون حدثنا شعبة . وقوله « لا تحدث به إلا لبيباً أو حبيباً » إنما هو من طريق محمود بن غيلان . ثم قال الترمذى — بعد قوله حسن صحيح — وأبو رزين العقيلى اسمه لقيط بن عامر ، وروى حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء . فقال : عن وكيع بن حدس . قال شعبة وأبو عوانة وهشيم : عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس . وهذا أصح .

ابن حازم عن أبي يزيد المديني « أن عمر بن الخطاب مر في ناس من أصحابه ، فلقيته عجوز واستوقفته ، فوقف عليها ، فوضع يده على منكبيها ، حتى قضت حاجتها ، فلما فرغت قال له رجل : حبست رجالات قريش على هذه العجوز ؟ قال : ويحك ، تدري من هذه ؟ هذه عجوز سمع الله عز وجل شكواها من فوق سبع سموات ، والله لو استوقفتني إلى الليل لوقفت عليها ، إلا أن آتي صلاة ثم أعود عليها » .

قال البيهقي : وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الجوهري حدثنا إبراهيم بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير المصيصي قال: سمعت الأوزاعي يقول « كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول : إن الله تعالى فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته » .

وقال البخاري في الصحيح : قال أبو العالية « استوى إلى السماء : ارتفع ، فسوى خلقهن » وقال مجاهد « استوى : علا » .

وقال أبو الحسن علي بن مهد الطبري من كبار أصحاب أبي الحسن الأشعري « والله في السماء فوق كل شيء ، مستو على عرشه ، بمعنى أنه عال عليه ، ومعنى الاستواء : الاعتلاء ، كما تقول : استويت على ظهر الدابة ، واستويت على السطح ، بمعنى علوته ، واستوت الشمس على رأسي واستوى الطير على قمة رأسي ، بمعنى علا ، يعني علا في الجو فوجد فوق رأسي ، فالقديم سبحانه عال على عرشه ، لا قاعد ولا قائم ولا مماس . ولا مباين عن العرش » هذا كلامه ، حكاه عنه البيهقي .

قال : وروى الحسن بن محمد الطبري عن أبي عبد الله نفطويه النحوي قال : أخبرني أبو سليمان قال « كنا عند ابن الأعرابي ، فأتاه رجل ، فقال : ياأبا عبد الله ، مامعنى (الرحمن على العرش استوى) ؟ قال : إنه مستو على عرشه ، كما أخبر . فقال الرجل : إنما معنى استوى : استولى ، فقال له ابن الأعرابي : مايدريك ؟ العرب لا تقول: استولى فلان على الشيء ، حتى يكون له فيه مضاد ، فأيهما غلب قيل : قد استولى عليه ، والله تعالى لامضاد له ، فهو على عرشه كما أخبر » .

وقال يحيى بن إبراهيم الطليطلي في كتاب سير الفقهاء : حدثني عبد الملك بن حبيب عن عبد الله بن المغيرة عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم قال « كانوا يكرهون قول الرجل : ياخيبة الدهر ، وكانوا يقولون : الله هو الدهر ، وكانوا يكرهون قول الرجل : رغم أنفي لله وإنما يرغم أنف الكافر » قال « وكانوا يكرهون قول الرجل : لا والذي خاتمه على فمي ، وإنما يختم على فم الكافر ، وكانوا يكرهون قول الرجل : والله حيث كان ، أو إن الله بكل مكان . قال أصبغ : وهو مستو على عرشه ، وبكل مكان علمه وإحاطته » .

وقال ابن عبد البر في التمهيد ، والاستذكار : قال مالك « الله في السماء وعلمه في كل مكان »

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب المالكي الأشعري في رسالته المشهورة التي سماها «رسالة الحيدة» «وأن الله سبحانه شاء مريد، كما قال تعالى (٨٥ : ١٦ فعال لما يريد) وقال (٢ : ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال (٣٦:٨٢ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وأن الله مستو على عرشه ومستول على جميع خلقه، كما قال تعالى (٢٠:٥ الرحمن على العرش استوى) بغير مماسة ولا كيفية، ولا مجاورة».

وقال حافظ المغرب إمام السنة في وقته، أبو عمر يوسف بن عبد البر في كتابيه التمهيد والاستذكار في شرح حديث مالك عن ابن شهاب عن الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا — الحديث».

قال أبو عمر — وهذا لفظه في الاستذكار — فيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله تعالى في كل مكان وليس على العرش، والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك: قول الله عز وجل (٢٠ : ٥ الرحمن على العرش استوى) وقوله (٤١:١١ ثم استوى إلى السماء وهي دخان) وقوله تعالى (١٧ : ٤٢ إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) وقوله (٣٥ : ١٠ إليه يصعد الكلم الطيب) وقوله (٧:١٤٣ فلما تجلى ربه للجبل) وقال (٦٧:١٧ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض[1]) وقال (٨٧ : ١ سبح اسم ربك الأعلى) وهذا من العلو؛ وكذلك قوله (٢: ٢٥٥ العلي العظيم) و(١٣:٩ الكبير المتعال) و(٤٠:١٥ رفيع الدرجات ذو العرش) (١٦ : ٥٠ يخافون ربهم من فوقهم).

وقال جل ذكره (٣٢ : ٥ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه) وقوله (٧٠ : ٤ تعرج الملائكة والروح إليه) وقوله لعيسى (٣:٥٥ إني متوفيك ورافعك إلي) وقوله (٤:١٥٨ بل رفعه الله إليه).

وقال (٤١ :٣٨ فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار) وقال (٢١ :١٩ ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته) وقال (٧٠ : ٢،٣ ليس له دافع. من الله ذي المعارج) والعروج هو الصعود.

وأما قوله (أأمنتم من في السماء) فمعناه: من على السماء، يعني على العرش، وقد تكون «في» بمعنى «على» ألا ترى إلى قوله تعالى (٩ : ٣ فسيحوا في الأرض) أي على الأرض. وكذلك قوله: (٢٠ : ٧١ لأصلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل.

وهذا كله يعضده قوله تعالى (٧٠ : ٤ تعرج الملائكة والروح إليه) وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب.

---

(١) ذكر هذه الآية عقب قوله سبحانه (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا — الآية) واضح أشد الوضوح في أنه سبحانه يقصد تنزيه ذاته العلية أن تكون حالة في الأرض المذللة للانسان

فهذه الآيات وغيرها كلها واضحة فى إبطال قول المعتزلة .

وأما ادعاؤهم المجاز فى الاستواء ، وقولهم « استوى » بمعنى : استولى . فلا معنى له . لأنه غير ظاهر فى اللغة . ومعنى الاستيلاء فى اللغة المغالبة . والله لايغلبه ولايعلوه أحد . وهوالواحد الصمد . ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته ، حتى يكون اتفاق من الأمة أنه أريد به المجاز . إذ لاسبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك ، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم .

ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ماثبت شىء من العبادات . وجل الله أن يخاطب عباده فى كتابه العربى إلا بما يفهمه العرب فى معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين .

والاستواء فى اللغة معلوم مفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشيء ، والاستقرار ، والتمكن فيه .

قال أبو عبيدة : فى قوله تعالى « استوى » قال : علا . وتقول العرب : استويت فوق الدابة ، واستويت فوق البيت .

قال أبو عمرو : الاستقرار فى العلو .

وبهذا خاطبنا الله عز وجل فى كتابه . فقال (٤٣ : ١٣ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) وقال (١١ : ٤٤ واستوت على الجودى) وقال (٢٣ : ٢٨ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) . وقال الشاعر :

فأوردتهم ماءً بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليمانى فاستوى

وهذا لايجوز أن يتأول فيه أحد أن معناه : استولى . لأن النجم لا يستولى .

وقد ذكر النضر بن شميل ــ وكان ثقة مأموناً جليلا فى علم الديانة واللغة ــ قال حدثنى الخليل ــ وحسبك بالخليل ــ قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابى ــ وكان من أعلم من رأيت ــ فإذا هو على سطح ، فسلمنا ، فرد علينا السلام ، وقال لنا : استووا . فبقينا متحيرين ، ولم ندر ماقال . فقال لنا أعرابى إلى جنبه : أمركم أن ترتفعوا . قال الخليل : هو من قول الله عز وجل (٤١ : ١١ ثم استوى إلى السماء وهى دخان) فصعدنا إليه .

وأما من نزع منهم بحديث عبد الله بن واقد الواسطى بإسناده عن ابن عباس « الرحمن على العرش استوى : استولى على جميع بريته ، فلا يخلو منه مكان » .

فالجواب : أن هذا حديث منكر ، ونقلته مجهولون ضعفاء ، وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول . فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث ، لو عقلوا أو أنصفوا ؟ أما سمعوا الله عز وجل يقول (٤٠ : ٣٦ وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات ، فأطلع إلى إله موسى ، وإنى لأظنه كاذباً) فدل على أن موسى كان يقول : إلهى فى السماء ، وفرعون يظنه كاذباً . وقال أمية بن أبى الصلت :

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ... ومن هو فوق العرش فرد موحد
مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد

قال أبو عمر بن عبد البر : وإن احتجوا بقوله تعالى (٤٣:٨٤ وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) وبقوله (٦ : ٧ وهو الله فى السموات وفى الأرض) وبقوله (٥٨ : ٨ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ـ الآية) .

قيل لهم : لاخلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة:أنه سبحانه ليس فى الأرض دون السماء . فوجب حمل هذه الآية على المعنى الصحيح المجمع عليه . وذلك أنه سبحانه فى السماء إله معبود من أهل السماء ، وأنه سبحانه فى الأرض إله معبود مستحق للعبادة من أهل الأرض . وكذلك قال أهل العلم بالتفسير . وظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش . والاختلاف فى ذلك ساقط . وأسعد الناس به من ساعده الظاهر .

وأما قوله (وفي الأرض إله) فالاجماع والاتفاق قد بين المراد : أنه معبود من أهل الأرض . فتدبر هذا فإنه قاطع .

ومن الحجة أيضاً على أنه تبارك وتعالى على العرش فوق السموات : أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر ، أو نزلت بهم شدة ، رفعوا أيديهم ووجوههم إلى السماء ، فيستغيثون ربهم تبارك وتعالى . وهذا أشهر عند العامة والخاصة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته . لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للأمة التى أراد مولاها عتقها . فاختبرها رسول الله صلي الله عليه وسلم ليعلم إن كانت مؤمنة أم لا . فقال لها «أين الله ؟ فأشارت إلى السماء . ثم قال لها : من أنا ؟ قالت : رسول الله . قال : اعتقها . فانها مؤمنة » .

فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم برفعها رأسها إلى السماء ، واستغنى بذلك عما سواه .

هذا لفظ أبي عمر فى الاستذكار . وذكره فى التمهيد أطول منه .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا هرون بن سليمان حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله قال « بين سماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماءين خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام ، وبين الكرسى وبين الماء خمسمائة عام ، والكرسى فوق الماء . والله عز وجل فوق الكرسى ويعلم ما أنتم عليه » .

قال : ورواه عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عاصم بن بهدلة عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود قال « ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام . ثم بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام ، وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، ثم ما بين السماء السابعة وبين

الكرسى مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والكرسى فوق الماء ، والله فوق العرش . ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم » .

وقال الشافعي — فى كتاب الأم ، ورويناه فى مسنده — أخبرنا إبراهيم بن محمد قال : حدثنى موسى بن عبيد قال : حدثنى أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبيد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه يقول « أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بمرآة بيضاء فيها نكتة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذه ؟ فقال : هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك . والناس لكم فيها تبع : اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له . وهو عندنا يوم المزيد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ياجبريل ، وما يوم المزيد ؟ فقال : إن ربك اتخذ فى الفردوس وادياً أفيح ، فيه كثيب من مسك . فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته ، وحوله منابر من نور عليها مقاعد للنبيين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون . فجلسوا من ورائهم على تلك الكثبان ، فيقول الله عز وجل : أنا ربكم قد صدقتكم وعدى . فسلونى أعطكم . فيقولون : ربنا نسألك رضوانك . فيقول : قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ، ولدى مزيد . فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير . وهو اليوم الذى استوى فيه ربك تبارك و تعالى على العرش . وفيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة » .

قال الشافعي : وأخبرنا إبراهيم بن محمد قال حدثنى أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس بن مالك شبيهاً به .

احتج به الشافعي فى فضل الجمعة ، وكان حسن القول فى إبراهيم بن محمد شيخه(١) .

والحديث له طرق عديدة .

ورواه أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا صفوان قال : قال أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاني جبريل — فذكره » .

ورواه محمد بن شعيب عن عمر مولى عفرة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه أبو طيبة عن عثمان بن عمير عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد جمع أبو بكر بن أبى داود طرقه . وقال : أبو طيبة اسمه رجاء بن الحرث ثقة . وعثمان بن عمير يكنى أبا اليقظان .

---

(١) قال الذهبي فى الميزان : سأل يحيي بن سعيد القطان عن ابراهيم بن محمد مالكا : أ كان ثقة فى الحديث ؟ فقال : لا ، ولا فى دينه . وقال يحيي بن معين : سمعت القطان يقول : إبراهيم بن أبى يحيي كذاب . وقال الإمام أحمد : قدرى جهمى كل بلاء فيه . وروى عباس الدورى عن ابن معين : كذاب رافضي . وقد طول الذهبي القول فى جرحه .

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة التي أجمعت الأمة على صحتها وقبولها : بأن النبي صلى الله عليه وسلم عرج به إلى ربه ، وأنه جاوز السموات السبع ، وأنه تردد بين موسى وبين الله عز وجل مراراً في شأن الصلاة وتخفيفها ، وهذا من أعظم الحجج على الجهمية . فإنهم لا يقولون عرج به إلى ربه ، وإنما يقولون : عرج به إلى السماء .

وقد تواترت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم « بأن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، يقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ » . رواه بضعة وعشرون صحابياً .

وفي مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة من حديث محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم . فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة . قال : وذلك قوله تعالى (٣٦ : ٥٨ سلام قولا من رب رحيم) فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحجب عنهم ، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم » .

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات . فقال : إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

قال أبو عبد الله الحاكم في علوم الحديث ، في النوع العشرين : سمعت محمد بن صالح بن هانىء يقول : سمعت أبا بكر بن إسحق بن خزيمة يقول : من لم يقر بأن الله على عرشه ، قد استوى فوق سبع سمواته ، فهو كافر به : يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وألقى على بعض المزابل حيث لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن ريح جيفته ، وكان ماله فيئاً لا يرثه أحد من المسلمين ، إذ المسلم لا يرث الكافر . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن الضحاك في قوله تعالى (٥٨ : ٧ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم) قال : « هو الله عز وجل على العرش وعلمه معهم » ذكره البيهقي .

وبهذا الإسناد قال مقاتل بن حيان : بلغنا ـ والله أعلم ـ في قوله عز وجل (٥٧ : ٣ هو الأول) قبل كل شيء (والآخر) بعد كل شيء (والظاهر) فوق كل شيء (والباطن) أقرب من كل شيء ، وإنما يعني بالقرب بعلمه وقدرته ، وهو فوق عرشه ، (وهو بكل شيء عليم) » ذكره البيهقي أيضاً .

قال : وبهذا الإسناد عن مقاتل بن حيان فى قوله (إلا هو معهم) يقول « علمه » وذلك قوله (إن الله بكل شيء عليم) فيعلم نجواهم ، ويسمع كلامهم ، ثم ينبئهم يوم القيامة بكل شيء ، وهو فوق عرشه ، وعلمه معهم .

وقال الحاكم : سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانىء يقول : سمعت محمد بن نعيم يقول : سمعت الحسن بن الصباح البزار يقول : سمعت على بن الحسن بن شقيق يقول : سألت عبدالله بن المبارك . قلت « كيف نعرف ربنا ؟ قال : فى السماء السابعة على عرشه » .

قال الحاكم : وأخبرنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد حدثنا محمد بن عبد الرحمن الشامى حدثني عبد الله بن أحمد بن سيبويه المروزى قال سمعت على بن الحسن بن شقيق يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول « نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى ، بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية : إنه هاهنا ، وأشار إلى الأرض » .

وقال عبد الله بن سعيد بن كلاب فيما حكاه عنه أبو بكر بن فورك « وأخرج من النظر والخبر قول من قال : لاهو داخل العالم ولا خارجه ، فنفاه نفياً مستوياً ، لأنه لو قيل له : صفه بالعدم ما قدر أن يقول فيه أكثر منه ، ورد أخبار الله نصاً ، وقال فى ذلك بما لا يجوز فى خبر ولا معقول ، وزعم أن هذا هو التوحيد الخالص ، والنفى الخالص عندهم ، والإثبات الخالص ، وهم عند أنفسهم قياسون » هذا حكاية لفظه .

وقال الخطابى فى كتاب شعار الدين : القول فى أن الله تعالى مستو على العرش .

هذه المسألة سبيلها التوقيف المحض ، ولا يصل إليها الدليل من غير هذا الوجه ، وقد نطق به الكتاب فى غير آية ، ووردت به الأخبار الصحيحة ، فقبوله من جهة التوقيف واجب ، والبحث عنه وطلب الكيفية غير جائز . وقد قال مالك « الاستواء معلوم ، والكيف غير معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

فمن التوقيف الذى جاء به الكتاب : قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقال (ثم استوي على العرش الرحمن) وقال (رفيع الدرجات ذو العرش) وقال (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً ؟) وقال (تعرج الملائكة والروح إليه) وقال (بل رفعه الله إليه) وقال (إليه يصعد الكلم الطيب) وقال حكاية عن فرعون أنه قال (ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى) فوقع قصد الكافر إلى الجهة التى أخبره موسى عنها ، ولذلك لم يطلبه فى طول الأرض ولاعرضها ، ولم ينزل إلى طبقات الأرض السفلى .

فدل ماتلوناه من هذه الآى على أن الله سبحانه فى السماء مستو على العرش ، ولو كان بكل مكان لم يكن لهذا التخصيص معنى ولافيه فائدة ، وقد جرت عادة المسلمين خاصتهم وعامتهم بأن

يدعوا ربهم عند الابتهال والرغبة إليه ، ويرفعوا أيديهم إلى السماء : وذلك لاستفاضة العلم عندهم بأن ربهم المدعو فى السماء سبحانه .

ثم ذكر قول من فسر الاستواء بالاستيلاء ، وبين فساده .

وقال أبو الحسن الأشعرى فى كتاب مقالات المصلين له : فى باب ترجمته : باب اختلافهم فى البارى : هل هو فى مكان دون مكان، أم ليس فى مكان ، أم فى كل مكان ؟ وهل حملة العرش ثمانية أملاك ؛ أم ثمانية أصناف من الملائكة ؟ .

اختلفوا فى ذلك على سبع عشرة مقالة .

ثم قال : وقال أهل السنة والحديث : ليس بجسم ، ولا يشبه الأشياء ، وأنه على العرش ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) .

فلا نتقدم بين يدى الله فى القول ، بل نقول : استوى بلا كيف .

وأن له وجهاً كما قال (٥٥:٢٧ ويبقى وجه ربك) .

وأن له يدين كما قال (٣٨:٧٥ خلقت بيدى) .

وأن له عينين كما قال (٥٤:١٤ تجرى بأعيننا) .

وأنه يجىء يوم القيامة وملائكته ، كما قال (٨٩:٢٢وجاء ربك والملك صفا صفا) .

وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ، كما جاء فى الحديث .

ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه فى الكتاب ، أو جاءت به الرواية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالت المعتزلة : إن الله استوى على عرشه بمعنى : استولى .

وقال بعد ذلك ، فى حكاية قول أهل السنة والحديث : هذه حكاية قول جملة أصحاب الحديث وأهل السنة .

جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة : الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وماجاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لايردون من ذلك شيئاً .

وأنه تعالى إله واحد أحد فرد صمد ، لا إله غيره ؛ لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

وأن محمداً عبده ورسوله .

وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور

وأن الله تعالى على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) .

وأن له يدين بلا كيف كما قال (خلقت بيدى) (٥:٦٤ بل يداه مبسوطتان)

وأن له عينين بلا كيف كماقال (٥٤:١٤ تجرى بأعيننا)

وأن له وجهاً ، كما قال (٥٥:٢٨ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) .

ثم ذكر مذهب عبد الله بن سعيد بن كلاب ، فقال :

كان يقول : إن القرآن كلام الله ـ وساقه إلى أن قال ـ : وأنه مستو على عرشه كما قال ، وأنه تعالى فوق كل شيء ، هذا كله لفظه فى المقالات .

وقال أبو الحسن الأشعرى رحمه الله أيضاً فى كتاب الموجز :

وإن قالوا : أفتزعمون أن الله في السماء ؟ قيل له : قد نقول : إن الله عال فوق العرش ، مستو عليه ، والعرش فوق السماء ، ولا نصفه بالدخول فى الأمكنة ولا المباينة لها .

وأما قوله تعالى (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) فان معناه : أنه إله أهل الأرض وإله أهل السماء .

وقد جاءت الأخبار : أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة ، فكيف يكون فيها وهو ينزل إليها ؟ كما جاءت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا » .

فهذا الذى استقر عليه مذهب أبى الحسن فى كل كتبه كالموجز والمقالات والمسائل ورسالته إلى أهل الثغر ، والإبانة : أن الله فوق عرشه مستو عليه ، ولا يطلق عليه لفظ المباينة ، لأنها عنده من لوازم الجسم ، والله تعالى منزه عن الجسمية .

فظن بعض أتباعه أن نفيه للمباينة نفى للعلو والاستواء بطريق اللزوم ، فنسبه إليه ، وقال عليه ما هو قائل بخلافه ، وهذا بين لكل منصف تأمل كلامه ، وطالع كتبه .

وفى كتاب السنة لعبد الله بن أحمد من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « تفكروا فى كل شيء ، ولا تفكروا فى ذات الله ، فان بين السموات السبع إلى كرسيه سبعة آلاف نور ، وهو فوق ذلك »

وفى مسند الحسن بن سفيان من حديث ابن أبي مليكة عن ذكوان قال « استأذن ابن عباس على عائشة ، فقالت : لا حاجة لى بتزكيته ، فقال عبد الرحمن بن أبى بكر : يا أختاه ، إن ابن عباس من صالحى بنيك ،جاء يعودك ، قالت : فائذن له ، فدخل عليها ، فقال : يا أماه ، أبشرى ، فوالله ما بينك وبين أن تلقى محمداً والأحبة إلا أن يفارق روحك جسدك ، كنت أحب نساء النبى صلى الله عليه وسلم إليه ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيباً . قالت : وأيضاً ،قال: هلكت قلادتك بالأبواء ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقطها ، فلم يجدوا ماء ، فأنزل الله عز وجل (٥:٦فتيمموا صعيداً طيباً) وكان ذلك بسببك وبركتك فأنزل الله تعالى لهذه الأمة من الرخص فى التيمم . وكان من أمر مسطح ما كان، فأنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات ، فليس مسجد يذكر الله فيه إلا وبراءتك تتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار » .

وقال أبوعمر بن عبد البر : روينا من وجوه صحاح « أن عبد الله بن رواحة مشى ليلة إلى أمة له ، فنالها . فرأته امرأته فلامته فجحدها ، فقالت : إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ، فان الجنب لايقرأ القرآن ؟ فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرين
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

فقالت امرأته : آمنت بالله وكذبت عيني ، وكانت لا تحفظ القرآن » .

وفى تاريخ البخارى : حدثنا محمد بن فضيل عن فضيل بن غزوان عن نافع عن ابن عمر قال « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل أبوبكر فأكب عليه ، وقبل جبهته ، وقال : بأبى أنت وأمى ، طبت حياً وميتاً ، وقال : من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله فى السماء حى لا يموت » .

وفى مغازى الأموى عن البكائى عن ابن إسحاق حدثنى يزيد بن سنان عن سعيد بن الأجرد عن العرس بن قيس الكندى عن عدى بن عميرة قال « خرجت مهاجراً إلى النبى صلى الله عليه وسلم — فذكر حديثاً طويلا — وفيه : فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ، ويزعمون أن إلههم فى السماء ، فأسلمت وتبعته » .

وفى مسند أحمد عن يزيد بن هارون حدثنا المسعودى عن عون بن عبد الله عن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة « أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم بجارية سوداء أعجمية . فقال : يارسول الله ، إن على رقبة مؤمنة . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله ؟ فأشارت بأصبعها إلى السماء . فقال لها : من أنا ؟ فأشارت بأصبعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى السماء . تعنى أنت رسول الله . فقال : أعتقها » .

وهذه غير قصة معاوية بن الحكم التى فى صحيح مسلم .

فقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان لمن شهد أن الله فى السماء . وشهد عليه الجهمية بالكفر .

وقال أحمد فى مسنده : حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت تحضره الملائكة . فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجى أيتها النفس المطمئنة ، اخرجى حميدة ، وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج . ثم يعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها . فيقال : من هذا ؟ فيقال: فلان بأحب أسمائه . فيقولون : مرحباً بالنفس الطيبة . كانت فى الجسد الطيب ، ادخلى حميدة ، وأبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله — وذكر الحديث » .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه ، فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها » .

وفى مسند الحارث بن أبى أسامة من حديث عبد الرحمن بن نسى عن عبادة بن تميم عن معاذ بن جبل يرفعه « إن الله ليكره فى السماء أن يخطأ أبو بكر فى الأرض » .

ولاتعارض بين هذا وبين تخطئة النبى صلى الله عليه وسلم له فى بعض تعبيره الرؤيا لوجهين .

أحدهما : أن الله يكره تخطئة غيره من آحاد الأمة له ، لا تخطئة الرسول له فى أمر ما . فان الصواب والحق مع الرسول صلى الله عليه وسلم قطعاً ، بخلاف غيره من الأمة . فإنه إذا خطأ الصديق لم يتحقق أن الصواب معه ، بل ماتنازع الصديق وغيره فى أمر إلا كان الصواب مع الصديق .

الثانى : أن التخطئة هنا مرة منسوبة إلى الخطأ الذى هو الإثم ، دون الخطأ الذى هو ضد التعمد . والله أعلم .

وروى شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس — يرفعه « إن العبد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا ، فيذكره الله من فوق سبع سموات ، فيقول : ملائكتى ، إن عبدى هذا قد أشرف على حاجة من حاجات الدنيا ، فان فتحتها له فتحت له بابا من أبواب النار ، ولكن ازووها عنه ، فيصبح العبد عاضاً على أنامله ، يقول : من دهانى من سبنى ، وما هى إلا رحمة رحمه الله بها » ذكره أبو نعيم .

وفى التعقبات من حديث جابر بن سليم أبى جرى قال « ركبت قعوداً لى ، فأتيت المدينة . فأنخت بباب المسجد — فذكر حديثاً طويلا — وفيه فقال رجل : يارسول الله ذكرت إسبال الازار ، فقد يكون بالرجل العرج ، أو الشىء فيستخفى منه ، قال : لابأس إلى نصف الساق ؛ أو إلى الكعبين ، إن رجلا ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر فيهما ، فنظر إليه الرب من فوق عرشه ، فمقته ، فأمر الأرض فأخذته ، فهو يتجلجل فى الأرض ، فاحذروا وقائع الله » .

وقال ابن أبى شيبة : حدثنا عبدة بن سليمان عن أبى جناد عن حبيب بن أبى ثابت : أن حسان بن ثابت أنشد النبى صلى الله عليه وسلم :

شهدت بإذن الله أن محمدا ... رسول الذى فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل فى دينه متقبل
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم ... يقول بذات الله فيهم ويعدل

وفى حديث الشفاعة الطويل من رواية زائده بن أبى الرقاد عن زياد النميرى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم — فذكر الحديث ، وفيه « فأدخل على ربى عز وجل ، وهو على عرشه » .

وفى لفظ للبخارى « فأستأذن على ربي فى داره » .

وفى لفظ آخر « فآتى تحت العرش فأخر ساجداً لربى » .

وفى حديث عبد الله بن أنيس ، الذى رحل إليه جابر شهراً حتى سمعه منه فى القصاص « ثم يناديهم الله تعالى ، وهو قائم على عرشه — وذكر الحديث » واستشهد البخارى ببعضه .

وفى سنن ابن ماجة ومسند أحمد من حديث الفضل الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤسهم ، فاذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، قال : وذلك قوله (٣٦:٥٨ سلام قولاً من رب رحيم) قال : فينظر إليهم ، وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيءمن النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم » .

وروى الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصاً إلا صعدت لا يردها حجاب ، فاذا وصلت إلى الله نظر إلى قائلها ، وحق على الله أن لا ينظر إلى موحد إلا رحمه » .

وفى مسند الحسن بن سفيان من حديث أبى جعفر الرازى عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار قال : اللهم أنت واحد فى السماء ، وأنا فى الأرض واحد عبدك » .

ولما أنشد النبى صلى الله عليه وسلم شعر أمية بن أبى الصلت :

مجدوا الله . فهو للمجد أهل ربنا فى السماء أمسى كبيراً
بالبناء الأعلى الذى سبق الخلـ ـق وسوى فوق السماء سريراً
شرجع [١] ما يناله بصر العـ ـين ، ترى دونه الملائك صوراً

قال النبى صلى الله عليه وسلم « آمن شعره وكفر قلبه » .

وروى عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال « ما بين السماء القصوى وبين الكرسى — إلى قوله — والله فوق ذلك » وقد تقدم .

وقال إسحاق بن راهويه : حدثنا إبراهيم بن حكيم حدثنى أبان عن أبيه عن عكرمة فى قوله تعالى (٧ : ١٧ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) قال : لم يستطع أن يقول : من فوقهم ، علم أن الله من فوقهم » .

وقال على بن الأقمر : كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال « حدثتني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله ، المبرأة من فوق سبع سموات » .

(١) شرجع — بوزن جعفر — الطويل . والسرير . اه قاموس .

وقال سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن حكيم حدثنى أبى عن عكرمة قال « بينا رجل مستلق على مثلته فى الجنة ، فقال فى نفسه ـ لم يحرك شفتيه ـ لو أن الله يأذن لى لزرعت فى الجنة . فلم يعلم إلا والملائكة على أبواب الجنة قابضين على أكفهم . فيقولون : سلام عليك ، فاستوى فقالوا له : يقول لك ربك : تمنيت شيئا فى نفسك ؟ فقد علمته . وقد بعث معنا هذا البذر يقول ابذر . فألق يمينا وشمالا وبين يديه وخلفه . فخرج أمثال الجبال، على ما كان تمنى وأراد . فقال له الرب سبحانه وتعالى من فوق عرشه : كل ، يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع »

وأصله فى صحيح البخارى .

وفى تفسير سنيد شيخ البخارى عن مقاتل بن حيان عن الضحاك فى قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قال : « هو على عرشه ، وعلمه معهم أينما كانوا » .

وفى تاريخ ابن أبى خيثمة : حدثنا هرون بن معروف حدثنا ضمرة عن صدقة التيمى قال : سمعت سليمان التيمى يقول « لو سئلت أين الله ؟ لقلت : فى السماء » .

وقال حنبل : قلت لأبى عبد الله : ما معنى قوله (وهو معهم) قال : هو رابعهم (عالم الغيب والشهادة) علمه محيط بكل شيء يعلم الغيب ، وهو على العرش .

وقال يوسف بن موسى : قيل لأبى عبد الله أحمد بن حنبل : الله فوق السماء السابعة على عرشه ، بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال : نعم . الله على العرش ، وعلمه لا يخلو منه مكان .

وقال الأثرم : حدثني محمد بن إبراهيم القيسى قلت لأحمد بن حنبل : يحكى عن ابن المبارك أنه قيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : فى السماء السابعة على عرشه . قال أحمد : هكذا هو عندنا .

وذكر أبو عبد الرحمن بن أبى حاتم فى كتاب السنة عن الإمام أبى عبد الله الشافعى ، قدس الله روحه ، ورضى عنه . قال : السنة التى أنا عليها ، ورأيت أصحابنا أهل الحديث الذين رأيتهم عليها . فأحلف عنهم ، مثل سفيان، ومالك وغيرهما ـ الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله على عرشه فى سمائه ، يقرب من خلقه كيف يشاء ، وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كيف يشاء ، وذكر كلاماً طويلا .

وقال عبد الرحمن أيضاً : سألت أبى وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة فى أصول الدين ، وما أدركا السلف عليه ، وما يعتقدون من ذلك ؟ فقالا : أدركنا العلماء فى جميع الأمصار حجازاً ، وعراقاً ، ومصراً ، وشاماً ، ويمناً . فكان مذهبهم : أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته ، والقدر خيره وشره من الله ، وأن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه ، كما وصف نفسه فى كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بلا كيف : أحاط بكل شيء علماً ، و (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

وقال أبو القاسم الطبرى فى كتاب شرح السنة له : وجدت فى كتاب أبى حاتم الرازى : مذهبنا واختيارنا : اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين من بعدهم ، والتمسك بمذاهب أهل الأثر : مثل أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية ، وأبى عبيد القاسم بن سلام والشافعى رحمهم الله ، ولزوم الكتاب والسنة .

ونعتقد أن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير).

وفى كتاب الإبانة لأبى الحسن الأشعرى رحمه الله ـ الذى ذكره أبو القاسم بن عساكر وعده من كتبه ، وحكى كلامه فيه مبيناً عقيدته ، والذب عنه . قال :

ذكر الاستواء على العرش

إن قال قائل : ما تقولون فى الاستواء ؟

قال نقول له : إن الله مستو على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) وقال (إليه يصعد الكلم الطيب) وقال (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) وقال ، حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى، وإنى لأظنه كاذبا) كذب فرعون موسى في قوله: إن الله عز وجل فوق السموات ، وقال الله (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ؟) . فالسموات فوقها العرش . فلما كان العرش فوق السموات ، وكل ما علا فهو سماء ، والعرش أعلى السموات . وليس إذا قال (أأمنتم من فى السماء) أنه يعنى جميع السموات ، وإنما أراد العرش الذى هو أعلى السموات .

ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال (وجعل القمر فيهن نوراً) ولم يرد أن القمر يملؤهن جميعاً . ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله تعالى مستو علي العرش الذى هو فوق السموات . فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها إذا دعوا نحو الأرض .

ثم قال :

فصل

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى قوله : (الرحمن على العرش استوى) أنه : استولى وملك وقهر ، وأن الله فى كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق . وذهبوا فى الاستواء إلى القدرة .

ولو كان هذا كما قالوا لكان لا فرق بين العرش والأرض السابعة . لأن الله قادر على كل شىء . والأرض فالله قادر عليها ، وعلى الحشوش ، وعلى كل ما فى العالم . فالله تعالى لو كان مستوياً على العرش ـ بمعنى الاستيلاء ـ فهو علا وعز مستو على الأشياء كلها علي العرش وعلى الأرض ، وعلى السماء ، وعلى الحشوش وعلى الأقذار ، تعالى الله ، لأنه قادر على الأشياء كلها مستول عليها ، وإذا كان قادراً على الاشياء كلها ـ ولم يجز عند أحد من المسلمين أن الله مستو

على الحشوش والأخلية ـ لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الأشياء كلها . ووجب أن يكون معنى الاستواء على العرش معنى يختص العرش دون الأشياء كلها

ثم ذكر دلالات من القرآن والحديث والعقل والإجماع .

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الأشعرى ـ فى كتاب الإبانة له أيضاً :

فإن قال قائل : أتقولون : إنه فى كل مكان .

قيل له : معاذ الله ، بل هو مستو على عرشه ، كما أخبر فى كتابه . فقال (الرحمن على العرش استوى) وقال (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ؟) .

قال : ولو كان فى كل مكان لكان فى بطن الإنسان وفمه والحشوش ، والمواضع التى يرغب عن ذكرها ، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة ، إذا خلق منها ما لم يكن ، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان ، ويصح أن نرغب إلى الله نحو الأرض ، وإلى خلفنا ، وإلى يميننا ، وإلى شمالنا . وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى فى عقيدته : طريقتنا طريقة المتبعين لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإجماع الأمة فيما اعتقدوه : أن الأحاديث التى ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العرش واستواء الله تعالى : يقولون بها ، ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تشبيه ولا تعطيل ، وأن الله بائن من خلقه ، والخلق بائنون منه ، وليس هو حال فيهم ، ولا ممتزج فيهم . وهو مستو على عرشه فى سمائه دون أرضه وخلقه .

وقد تقدم حكاية كلام أبى عمر بن عبد البر فى كتاب الاستذكار .

وقال فى التمهيد ، لما ذكر حديث النزول : هذا حديث ثابت النقل من جهة الإسناد ، ولم يختلف أهل الحديث فى صحته ، وفيه دليل على أن الله فى السماء على العرش من فوق سبع سموات . كما قال الجماعة . وهو من حجتهم على المعتزلة فى قولهم : إن الله بكل مكان .

ثم ذكر الاحتجاج لقول الجماعة وأطال .

وفي كتاب السنة لعبد الرحمن بن أبى حاتم عن سعيد بن عامر الضبعى ـ إمام أهل البصرة علماً وديناً ، من شيوخ الإمام أحمد ـ : أنه ذكر عنده الجهمية ، فقال : هم شر قولا من اليهود والنصارى ، قد أجمع اليهود والنصارى مع المسلمين أن الله على العرش . وقالوا هم : ليس على العرش شىء .

وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم أيضاً ، فى كتاب الرد على الجهمية : قال عبدالرحمن بن مهدى أصحاب جهم يعتقدون أن الله لم يكلم موسى ، ويريدون أن يقولوا : ليس فى السماء شىء ، وأن الله ليس على العرش . أرى أن يستتابوا . فإن تابوا ، وإلا قتلوا .

٤٥٦٠ ـ وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال « أُذِنَ لى أنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكةِ الله من حَمَلَةِ العرشِ ، إنَّ ما بين شَحْمة أُذنه إلى عاتقه : مسيرةُ سبعمائة عام » .

باب فى الرؤية [٤ : ٣٧٤]

٤٥٦١ ـ عن جرير بن عبد الله البَجَلى رضى الله عنه ، قال : « كُنَّا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم جُلوساً ، فنظر إلى القمر ليلة أربعَ عَشْرة ، فقال : إنّـكُمْ

٤٥٦١ ـ قال الشيخ : قوله « تضامُّون » هو من الانضمام . يريد: أنـكم لاتختلفون فى رؤيته حتى تجتمعوا للنظر ، وينضَمَّ بعضُـكم إلى بعض ، فيقول واحد: هو ذاك ، ويقول الآخر : ليس بذاك ، على ما جرت به عادة الناس عند النظر إلى الهلال أول ليلة من الشهر . ووزنه « تفاعلون » وأصله تتضامُّون حذفت منه إحدى التاءين .

وقد رواه بعضهم « تُضامُون » بضم التاء وتخفيف الميم . فيكون معناه على هذه الرواية : إنه لا يلحقكم ضَيْم ، ولا مشقة فى رؤيته .

وحكى عن عاصم بن على ـ شيخ الإمام أحمد والبخارى ـ قال : ناظرت جهمياً ، فتبين من كلامه : أنه لايؤمن أن فى السماء رباً .

٤٥٦١ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله الأحاديث فى الرؤية إلى حديث وضع الاصبع ، ثم قال :

قد أخرجاه فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الـكبرياء على وجهه فى جنة عدن » .

وفى صحيح مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعـالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتنجينا من النار ؟ قال : فيـكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل. ثم تلا هذه الآية (١٠ :٢٦ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) » .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة « أن ناساً قالوا : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا ، يارسول الله

سَتَرَوْنَ رَبَّكم ، كما ترون هذا ، لا تُضَامُونَ فى رؤيته ، فان استطعتم أن لا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قبلَ طلوع الشمس وقبلَ غروبها فافعلوا . ثم قرأ هذه الآية (٢٠ : ١٣٠ فسَبِّحْ بحَمْدِ رَبِّك قبلَ طُلوع الشَّمس وقبل غروبها) »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة .

٤٥٦٢ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال « قال ناس : يارسول الله ، أنَرى رَبَّنا يوم القيامة ؟ قال : هل تُضَارُّونَ فى رُؤْيةِ الشمسِ فى الظَّهيرة ، ليست فى

وقد تَخَيَّل إلى بعض السامعين أن الكاف فى قوله « كما ترون » كاف التشبيه للمرئى . وإنما هو كاف التشبيه للرؤية . وهو فعل الرائى ، ومعناه : ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك ، وتنتفى معها المرْية كرؤيتكم القمر ليلة البدر ، لاترتابون به ولا تمترون فيه .

٤٥٦٢ ـ قال الشيخ : « تضارون » وهذا والأول سواء فى إدغام أحد الحرفين فى الآخر ، وفتح التاء من أوله ووزنه « تُفاعلون » من الضرار .

والضرار : أن يتضارَّ الرجلان عند الاختلاف فى الشىء ، فيضارُّ هذا ذاك ، وذاك هذا . فيقال : قد وقع الضرار بينهما ، أى الاختلاف .

قال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله ، قال : فإنكم ترونه كذلك » .

وفى الصحيحين مثله من حديث أبى سعيد .

وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث إسرائيل عن ثوير(١) قال : سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة : لمن ينظر إلى جناته وأزواجه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله : من ينظر إلى وجهه غدوة

---

(١) ثوير ـ مصغراً ـ بن أبي فاختة مولى أم هانىء ، وقيل : مولى زوجها جعدة أبو الجهم ـ رمى بالرفض ، وقال الدارقطنى : متروك ، وقال أبو حاتم : ضعيف . اهـ خلاصة .

. وحديث ابن عمر : أخرجه الترمذى فى باب رؤية الرب وفى تفسير سورة القيامة ، وأخرجه أيضاً أحمد وأبو يعلى والطبرانى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والدارقطنى والحاكم وابن مردوية والبيهقى .

سحابة ؟ قالوا : لا،قال : هل تُضَارُّون فى رؤية القمر ليلة البدر، ليس فيه سحابة؟ قالوا : لا ، قال : والذى نفسى بيده لاَ تضَارُّون فى رؤيته إلا كما تُضارون فى رؤية أحدهما » .

وأخرجه مسلم .

٤٥٦٣ ـ وعن أبى رَزِين العقيلى رضى الله عنه ، قال « قلت : يارسـول الله ، أكُلُّنا يَرى ربَّه ؟ ـ قال ابنُ معاذ ، وهو عبيد الله ـ مُخْلِياً به يوم القيامة ، وما آيةُ ذلك فى خَلْقه ؟ قال : يا أبا رزين ، أليسَ كُلُّكم يرى القمر ؟ ـ قال ابن معاذ : ليلة البدر ـ مُخْلِياً به ـ ثم اتفقا : قلت : بلى ، قال: فالله أعظم ـ قال ابن معاذ:قال:

وعشية ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٥:٢٢ ـ ٢٣ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) » وقال : هذا حديث حسن غريب ، وقد روى غير واحد مثل هـذا عن إسرائيل مرفوعا . وروى عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر ـ قوله ـ ولم يرفعه .

وروى عبد الله الأشجعى عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر من قوله ، لم يرفعه .

وقد روى أحاديث الرؤية عن النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه ، منهم : جرير بن عبد الله ، وأبو رزين العقيلى ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد ، وصهيب ، وجابر ، وأبو موسى ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، وعدى بن حاتم ، وعمار ابن ياسر ، وعمرو بن ثابت الأنصارى ، وابن عمر ؛ رضى الله عنهم .

وروى إسرائيل عن أبى إسحاق عن عامر بن سعد عن أبى بكر الصديق فى قول الله عز وجل (١٠:٢٦ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال « الزيادة النظر إلى الله عز وجل » ورواه أبو إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة .

قال الحاكم أبو عبد الله : وتفسير الصحابى عندنا مرفوع .

وقال الإمام أحمد فى رواية الفضل بن زياد : قال سمعته ـ وبلغه عن رجل أنه قال : إن الله لايرى فى الآخرة ـ فغضب غضباً شديداً ، ثم قال : من قال : إن الله لا يرى فى الآخرة فقـد كفر ، فعليه لعنة الله وغضبه ، من كان من الناس ، أليس الله عز وجل يقول (٧٥:٢٢ ، ٢٣ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) وقال (٨٣:١٥ كلا ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فهذا دليل على أن المؤمنين يرون الله .

فإنما هو خَلْقٌ من خلقِ الله ، فالله أعظم » .

وأخرجه ابن ماجة .

وأبو رَزِين العُقيلى : له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعداده : فى أهل الطائف . وهو : لَقِيط بن عامر . ويقال : لقيط بن صَبرة . هكذا ذكره البخارى وابن أبى حاتم وغيرهما .

وقيل : هما اثنان . ولقيط بن عامر غيرُ لقيط بن صبرة . والصحيح الأول .

وقال أبو عمر بن عبد البر النَّمرى : فمن قال : لقيط بن صبرة : نسبه إلى جده . وهو لقيط بن عامر بن صَبُرة .

وقال حنبل بن إسحاق : سمعت أبا عبد الله يقول : قالت الجهمية : إن الله لا يرى فى الآخرة ، وقال الله عز وجل (كلا ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يكون هذا إلا أن الله عز وجل يرى ، وقال (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فهذا النظر إلى الله ، والأحاديث التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم « إنكم ترون ربكم » صحيحة ، وأسانيدها غير مدفوعة . والقرآن شاهد : أن الله يرى فى الآخرة .

وقال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل ـ وقد ذكر عنده شىء فى الرؤية ـ فغضب ؛ وقال : من قال : إن الله لا يرى ، فهو كافر .

وقال عباس الدورى : سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول ـ وذكر عنده هذه الأحاديث فى الرؤية ـ فقال : هذه عندنا حق ، نقلها الناس بعضهم عن بعض .

وقال عبد الله بن وهب : قال مالك بن أنس : الناس ينظرون إلى الله يوم القيامة بأعينهم

وقال المزنى : سمعت ابن هرم القرشي يقول : سمعت الشافعى يقول فى قول الله عز وجل (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال : فلما حجبهم فى السخط كان فى هذا دليل على أنهم يرونه فى الرضا ، قال : فقال له أبو النجم القزوينى : يا أبا إبراهيم ، به تقول ؟ قال : نعم ، وبه أدين الله ، فقام إليه عصام ، فقبل رأسه ، وقال : ياسيد الشافعيين ، اليوم بيضت وجوهنا .

ذكره الحاكم فى مناقب الشافعى .

٤٥٦٤ ـ وعن سُلَيم بن جُبير ـ مولَى أبى هريرة ، قال : سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية (٤ : ٥٨ إن اللهَ يأمرُكم أن تُؤَدُّوا الأماناتِ إلى أهلها ـ إلى قوله تعالى ـ سميعاً بصيرا) قال « رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَضَعُ إبهامه على أُذنه ، والتى تَليها على عَيْنِه ، قال أبو هريرة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ويَضَعُ إصبعيه ، قال ابن يونس ـ وهو محمد النسائى ـ قال المقرىء ـ وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد ـ : وهذا رد على الجهمية » .

٤٥٦٥ ـ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَطْوِى اللهُ السموات ِيوْمَ القيامةِ ، ثم يأخذُهُنَّ بيده اليُمنَى ، ثم يقول : أنا الملكُ ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأَرَضين ، ثم يأخذهن ـ قال ابن العلاء ، وهو محمد أبو كريب ـ : بيده الأخرى ، ثم يقول : أنا الملكُ ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون » ؟

وأخرجه مسلم . وأخرجه البخارى تعليقا .

٤٥٦٦ ـ وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

٤٥٦٤ ـ قال الشيخ : وضعه إصبعه على أذنه وعينه عند قراءته (سميعاً بصيراً) معناه : إثبات صفة السمع والبصر لله سبحانه ، لا إثبات الأذن والعين ، لأنهما جارحتان . والله سبحانه موصوف بصفاته ، مَنفِيٌّ عنه مالا يليق به من صفات الآدميين ونُعُوتهم ، ليس بذى جوارح ، ولا بذى أجزاء وأبعاض (٤٢ : ١١ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) .

٤٥٦٦ ـ قال الشيخ : وقد رواه الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

٤٥٦٦ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

«يَنزِلُ رَبُّنَا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا ، حين يبقى ثُلُثُ الليل فيقول : مَنْ يدعونى فأستجيبَ له ؟ مَنْ يسألُني فأعطيَه ؟ مَنْ يستغفرنى فأغفرَ له » ؟

وأخرجه البخاري ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة [1] .

حدثناه إسماعيل الصفار حدثنا محمد بن جعفر الوراق حدثنا مُحَاضر عن الأعمش قال : وأرى أبا سفيان ذكره عن جابر . قال : « وذلك فى كل ليلة » .

قلت : مذهب علماء السلف وأئمة الفقهاء : أن يجروا مثل هذه الأحاديث على ظاهرها ، وأن لا يريغوا لها المعانى ، ولا يتأولوها ، لعلمهم بقصور علمهم عن دركها .

حدثنا الزعفراني حدثنا ابن أبى خَيثَمة حدثنا عبد الوهاب بن نَجْدة الُحوطِى حدثنا بقية عن الأوزاعى ، قال « كان مكحول والزهرى يقولان : أَمِرُّوا الأحاديث كما جاءت »

قلت : وهذا من العلم الذى أُمرنا أن نؤمن بظاهره وأن لا نكشف عن باطنه . وهو من جملة المتشابه الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه فقال (٣ : ٧ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنَّ أُمُّ الكتاب وَأُخَرُ متشابهات ـ الآية) .

وفى لفظ لمسلم فيه « ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة ، حتى يمضى ثلث الليل الأول ، فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له ؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه ؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر » .

وفى لفظ آخر لمسلم « إذا مضى شطر الليل ، أو ثلثاه ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ، فيقول : هل من سائل يعطى ؟ هل من داع فيستجاب له ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ حتى ينفجر الصبح » .

---

(١) بهامش المنذري : قال النسائى : أخبرنى ابراهيم بن يعقوب حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش حدثنا أبو اسحاق حدثنا أبو مسلم الأغر . قال: سمعت أبا هريرة وأبا سعيد الخدرى رضى الله عنهما يقولان : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «إن الله يمهل ، حتى يمضى شطر الليل الأول . ثم يأمر مناديا ينادى ، ويقول : هل من داع يستجاب له ؟ هل من مستغفر يغفر له ؟ هل من سائل يعطى ؟ » ورجال إسناده ثقات .

باب فى القرآن [٤ : ٣٧٦]

٤٥٦٧ ـ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْرِضُ نفسَه على الناسِ بالموقِفِ ، فقال : ألا رجلٌ يَحْمِلُنى إلى قومه، فإنَّ قُريشاً قد منعونى أن أُبَلِّغ كلام ربى ؟ » .

وأخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجة . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب

فالمحكم منه : يقع به العلم الحقيقى والعمل ، والمتشابه : يقع به الإيمان والعلم بالظاهر . ونكل باطنه إلى الله سبحانه ، وهو معنى قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) و إنما حَظ الراسخين

وفى لفظ آخر لمسلم « من يدعونى فأستجيب له ؟ أو يسألنى فأعطيه ؟ ثم يقول : من يقرض غير عديم ولا ظلوم ؟ » .

وفى لفظ آخر له « ثم يبسط يديه تبارك وتعالى : من يقرض غير عديم ولا ظلوم ؟ » .

وفى صحيح مسلم أيضاً عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يمهل ، حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول ، نزل إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من مستغفر ؟ هل من تائب ؟ هل من سائل ؟ هل من داع ؟ حتى ينفجر الفجر » .

ورواه الترمذى ، ثم قال : وفى الباب عن على ، وأبى سعيد ، ورفاعة الجهنى ، وجبير بن مطعم ، وابن مسعود ، وأبى الدرداء ، وعثمان بن أبى العاص ، وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح .

وقد روى هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى عنه أنه قال « ينزل الله عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر » وهو أصح الروايات هذا آخر كلامه .

وفى الباب عن عبادة بن الصامت . . . . . . (١)

قال عباد بن العوام « قدم علينا شريك واسط ؛ فقلنا له : إن عندنا قوما ينكرون هذه الأحاديث « إن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا » فقال شريك : إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، وإنما عرفنا الله عز وجل بهذه الأحاديث .

---

(١) هنا سقط نصف سطر .

٤٥٦٨ ـ وعن ابن شهاب الزهرى ، قال : أخبرنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيَّب ، وعَلْقَمة بن وَقَّاص ، وعبيد الله بن عبد الله ، عن حديث عائشة رضى الله عنها ـ وكلٌّ حدثنى طائفةً من الحديث ، قالت « وَلَشأْنِي فى نَفْسِي كان أَحْقَرَ من أن يَتَكَلَّمَ اللهُ فىَّ بأمرٍ يُتْلَى » .

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى مطولا ومختصراً .

فى العلم أن يقولوا (آمنا به ـ كُلٌّ من عند ربنا[1]) .

قال الشافعى فى رواية الربيع : وليس ينبغى فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعها بفرض الله عز وجل ، والمسألة بـكيف ؟ فى شىء قد ثبتت فيه السنة مما لا يسع عالماً .

وقال مطرف : سمعت مالـكا يقول ـ إذا ذكر عنده الزائغون فى الدين ـ :

---

(١) الظاهر ـ والله أعلم ـ أن الراسخين فى العلم هم الذين علموا علما يقينياً ثابتاً لا تتزلزل به قلوبهم ، ولا تضطرب به الأهواء ، ولا تعبث به الفتن ، لأنهم استقـوا علمهم من سنن الله وآياته الـكونية والعلمية ، لا من قال فلان ولا رأى فلان ، ولا من وراثة عن الآباء والشيوخ ، وهؤلاء الراسخون يؤمنون بأن القرآن كله هدى من عند الله ، شفاء لما فى الصدور من أمراض الشهوات والشبهات . فهم يفهمون معانيه بجمع آياته مع بعضها فى كل موضوع لتتآخى وتتآلف وتؤدى المعنى الذى أنزلها الله من أجله ، لا يفرقونها ولا يبعدونها عن أخواتها فتصبح غريبة لا تؤدى المعنى المقصود، فهم حين يريدون فهم هذه الآية يجمعون إليها كل آية وردت فى الإحكام والحكمة والتشابه من مثل قوله تعالى (١١ : ١ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) ونحوها وقوله تعالى فى سورة البقرة (٢ : ٢٥ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها) وقوله فى سورة الزمر (٣٩ : ٢٣ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) وأمثـال ذلك . فيخرجون من كل ذلك بالمعانى الصحيحة بمقتضى أسلوب اللغة الفصحى ، وأسلوب القرآن الحكيم . فان لم يجدوا هذا فى أشباه الآيات من القرآن ذهبوا يطلبون المعنى الصحيح من عند سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . لأنه الذى أنزل الله عليه الـكتاب يبينه للناس .

هذا هو شأن الراسخين فى العلم . ولذلك فهم يسألون ربهم دائما (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) أما مقابلوهم ـ وهم الذين زاغت قلوبهم بالتقليد والأهواء والآراء والموروث عن الشيوخ والآباء ـ فهم يدينون بعقائد جاهلية ، ثم يذهبون يتتبعون آيات القرآن يطلبون منها

٤٥٦٩ ـ وعن عامر ـ وهو الشعبي ـ عن عامر بن شَهْر رضى الله عنه ، قال : « كنتُ عند النَّجاشِيِّ . فقرأ ابنٌ له آيةً من الإنجيل ، فضحكتُ ، فقال : أتضحك من كلام الله ؟ » .

فى إسناده مُجالد بن سعيد . ولا يحتج به .

وكذلك كل ماجاء من هذا الباب فى القرآن كقوله (٢ : ٢١٠ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظُلَلٍ من الغمام والملائكة ؟ وَقُضِيَ الأمر) وقوله (٨٩ : ٢٢ وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا) .

والقول فى جميع ذلك عند علماء السلف هو ماقلنا .

وقد روى مثل ذلك عن جماعة من الصحابة .

وقد زل بعض الشيوخ أهل الحديث ممن يرجع إلى معرفته بالحديث والرجال، فحاد عن هذه الطريقة ، حين روى حديث النزول . ثم أقبل يسأل نفسه عنه .

قال عمر بن عبد العزيز « سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولاة الأمور بعده سنناً ، الأخذ بها اتباع لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر فى شيء خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً » .

وقال إسحاق بن منصور : قلت لأحمد بن حنبل « ينزل ربنا كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل الآخر إلى سماء الدنيا » أليس تقول بهذه الأحاديث ؟ « ويرى أهل الجنة ربهم » و« لا تقبحوا الوجه » و « اشتكت النار إلى ربها » و « أن موسى لطم عين ملك الموت » ؟ فقال أحمد : هذا كله صحيح .

الأدلة على تصحيح تلك العقائد والدفاع عنها ، مخادعة لأنفسهم وللناس يبتغون الفتنة والوصول إلى تأويل القرآن بزعمهم الخاطىء . وتأويله : إنما هو مرجع كلامه ومقصود معانيه لا يعلمه إلا الله الذى أنزله للهدى والرحمة . وأنزله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فحين يطلبونه من عند الله فى آياته أو عند سنة رسوله ويدعون ربهم فى سجودهم ، كما علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم « اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، اهدنى لما اختلفت فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » .

وعامر بن شهر : همدانى ناعِطِىٌّ . وقيل : إنه من بَـكيل [(١)] وكلاهما من همدان . يعد فى الـكوفيين . كنيته : أبو الـكُنود . ويقال : أبو شهر . روى عنه الشعبى . وقيل : إنه لم يرو عنه غيره .

فقال : إن قال قائل : كيف ينزل ربنا إلى السماء ؟ قيل له : ينزل كيف شاء ، فإن قال : هل يتحرك إذا نزل ، أم لا ؟ فقال : إن شاء تحرك ، وإن شاء لم يتحرك .

قلت : وهذا خطأ فاحش . والله سبحانه لا يوصف بالحركة . لأن الحركة والسكون يتعاقبان فى محل واحد ؛ وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسـكون ، وكلاهما من أعراض الحدث ، وأوصاف المخلوقين ، والله جل وعز متعال عنهما ، ليس كمثله شىء .

قال إسحاق : ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأى .

فان قيل : فكيف تصنعون فيما رواه النسائى : أخبرنى إبراهيم بن يعقوب حدثنى عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش حدثنا أبو إسحاق حدثنـا مسلم الأغر قال : سمعت أبا هريرة وأبا سعيد الخدرى رضى الله عنهما يقولان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ، ثم يأمر منادياً ينادى ، ويقول : هل من داع يستجاب له ؟ هل من مستغفر يغفر له ؟ هل من سائل يعطى ؟ » وهذا الإسناد ثقات كلهم .

قلنا : وأى منافاة بين هذا وبين قوله « ينزل ربنا ، فيقول » وهل يسوغ أن يقال : إن المنادى يقول « أنا الملك » ويقول « لا أسأل عن عبـادى غيرى » ويقول « من يستغفرنى فأغفر له » وأى بعد فى أن يأمر منادياً ينادى « هل من سائل فيستجاب له ؟ » ثم يقول هو

---

(١) ناعط : بفتح النون وبعد الألف : عين مهملة مكسورة وطاء مهملة . وانما قيل له : ناعط . لأنه نزل جبلا . يقال له : ناعط . فسمى به ، وغلب عليه .

وبكيل : بفتح الباء الموحدة وكسر الـكاف وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة ولام . اهـ من هامش المنذرى .

وفى القاموس : « ناعط » كصاحب مخلاف باليمن ، وجبل بصنعاء . وبه لقب ربيعة بن مرثد أبو بطن من همدان . وفى هذا الجبل حصن يقال له : ناعط أيضا .

وبكيل ـ كأمير ـ حى من همدان .

٤٥٧٠ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال « كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَوِّذُ الحسنَ والحسين : أُعِيذكما بكَلِماتِ الله التامَّة ، من كل شيطان وهامَّة ، ومن كل عَيْنٍ لامَّة . ثم يقول : كان أبوكما يُعَوِّذُ بهما إسماعيل وإسحاق » .

وأخرجه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة .

٤٥٧١ — وعن عبد الله — وهو ابن مسعود رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تكلم الله بالوحْيِ سمعَ أهْلُ السماء صَلْصَلَةً كجَرِّ السلسلة

فلو جرى هذا الشيخ — عفا الله عنا وعنه — على طريقة السلف الصالح ، ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه : لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش .

وإنما ذكرت هذا لكى يتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع ، فإنه لا يثمر خيراً . ولا يفيد رشداً .

ونسأل الله العصمة من الضلال ، والقول بما لا يجوز من الفاسد المحال .

٤٤٧٠ — قال الشيخ « الهامة » إحدى الهوام ، وذوات السموم ، كالحية والعقرب ، ونحوهما

سبحانه « من يسألنى فأستجيب له ؟ » وهل هذا إلا أبلغ فى الكرم والإحسان : أن يأمر مناديه يقول ذلك ، ويقوله سبحانه بنفسه ؟ وتتصادق الروايات كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نصدق بعضها ، ونكذب ما هو أصح منه ، وبالله تعالى التوفيق .

٤٥٧١ — قال الشيخ ابن القيم رحمه الله :

ورواه البخارى والترمذى أيضاً من حديث الحميدى عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال : الحق ، وهو العلى الكبير ، فسمعها مسترقوا السمع ، ومسترقوا السمع هكذا — بعضهم فوق بعض — وذكر الحديث » .

وقد رواه أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن عبد الله من قوله « إن الله إذا تكلم بالوحى سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفاء فيصعقون ، فلا يزالون كذلك

على الصَّفا ، فَيُصْعَقُونَ ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريلُ : حتى إذا جاءهم جبريل فُزِّعَ عن قلوبهم . قال : فيقولون : ياجبريل ، ماذا قال ربُّك؟ فيقول : الحق فيقولون : الحقَّ ، الحقَّ »

وقد أخرج البخارى والترمذى وابن ماجة نحوه من حديث عكرمة مولى ابن عباس عن أبى هريرة . وقد تقدم فى كتاب الحروف .

وقوله « من كل عين لامة » معناه : ذات لَمَمٍ ، كقول النابغة :

كِلِينى لهمّ يا أميمةُ ناصب وليلٍ أقاسيه بطىء الكواكب

أى ذو نصب .

وكان أحمد بن حنبل يستدل بقوله « بكلمات الله التامة » على أن القرآن غير مخلوق ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعيذ بمخلوق ، وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص والموصوف منه بالتمام هو غير المخلوق . وهو كلام الله سبحانه .

حتى يأتيهم جبريل ، فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم ، قال : فيقولون : يا جبريل ، ماذا قال ربك ؟ قال : فيقول : الحق ، قال : فينادون : الحق الحق » .

وقد روى هذا مرفوعا ، وليس فيه سمع أهل السماء للسماء ، وهو الحديث الذى ذكره أبو داود .

وروى البيهقى من حديث نعيم بن حماد : حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبى زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « إذا أراد الله أن يوحى بأمره تكلم بالوحى ، وإذا تكلم بالوحى أخذت السموات رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه : جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، فيمضى جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق ، وهو العلى الكبير ؛ قال : فيقولون كلهم : مثل ما قال جبريل ، فينتهى جبريل بالوحى حيث أمره الله سبحانه من السماء والأرض » .

باب فى الشفاعة [٤ : ٣٧٩]

٤٥٧٢ ـ عن أشْعَث الحُدَّانى ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال « شفاعتى لأهل الكبائر من أُمَّتى »

وقال أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن أبى صالح عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنكم لن ترجعوا إلى الله بشىء أفضل مما خرج منه » يعنى القرآن .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، وقد رواه عبد الله بن صالح حدثنى معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقى : يحتمل أن يكون جبير بن نفير رواه عنهما جميعاً .

وروى علقمة بن مرثد عن أبى عبد الرحمن السلمى عن عثمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ، وذلك أنه منه » رواه البيهقى من طريقين .

أحدهما : من حديث الحمانى عن إسحق بن سليمان الرازى حدثنا الجراح عن علقمة .

والثانى : من حديث يعلى بن المنهال السكونى عن إسحاق بن سليمان به .

والجراح : هو الجراح بن الضحاك الكندى .

ورواه أيضاً من حديث حامد بن محمود عن إسحاق به .

ورواه يحي بن أبى طالب عن إسحاق بن سليمان . فجعل آخره من قول أبى عبد الرحمن مبيناً ، وتابعه على ذلك غيره .

وقد روى عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب السائلين ، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

وقد روى هذا المعنى ، وهو « فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » من حديث أبى هريرة ، ولكن فى إسناده عمر الأبح ، وقد ضعف .

٤٥٧٢ ـ قال الشيخ ابن القيم رحمه الله :

ورواه أبو حاتم بن حبان فى صحيحه من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » .

وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير بالإسناد الذى أخرجه به أبو داود .

ووقع لنا من حديث زياد النُّمَيرى عن أنس . وزياد : لايحتج بحديثه .

والمشهور فيه : حديث أشعث عن أنس .

وأشعث : هو ابن عبد الله بن جابر الُحدَّانى البصرى الأعمى . وثقه يحي بن معين . وقال الإمام أحمد : مابه بأس . وقال أبو حاتم الرازى : شيخ . وقال أبو جعفر العُقيلى : فى حديثه وهَم . هذا آخر كلامه

حُدَّان : بضم الحاء المهملة ، وبعدها دال مفتوحة مشددة ، وبعدها ألف ونون ـ بطن من الأزْد .

وقد وردت أحاديث الشفاعة عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أنس ، وأبى سعيد ، وجابر ، وأبى هريرة ، وعوف بن مالك الأشجعى ، وأبى ذر ، وابن الجدعاء ، ويقال : ابن أبي الجدعاء ، وعتبة بن عبد السلمى ، وعمران بن حصين وحذيفة ، وكلها فى الصحيح .

ففى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن نبىالله صلى الله عليه وسلم قال «لكل نبي دعوة دعاها لأمته ، وإنى اختبأت دعوتي شفاعة لأمتى يوم القيامة » .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبى دعوته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة . فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً » ولفظه لمسلم ، ورواه مسلم من حديث جابر بنحوه

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال «قلت : يارسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : لقد ظننت يا أباهريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أولى منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه » .

وفى صحيح البخارى عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا كان يوم القيامة شفعت . فقلت : يارب، أدخل الجنة من فى قلبه خردلة فيدخلون ، ثم أقول يارب أدخل الجنة من فى قلبه أدنى شىء » قال أنس « كأنى أنظر إلى أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

٤٥٧٣ ـ وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يَخْرجُ قَوْمٌ من النار بشفاعة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، فيدخلون الجنة ويُسَمَّون الْجَهَنَّميين »

وأخرجه البخارى والترمذى وابن ماجة .

٤٥٧٤ ـ وعن جابر ـ وهو ابن عبد الله رضى الله عنهما ـ قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إنَّ أهلَ الجنة يأكلون فيها ويشربون »

وأخرجه مسلم أتم منه .

باب فى خلق الجنة والنار [1] [٤ : ٣٨٠]

٤٥٧٥ ـ عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ،

وفى صحيح البخارى عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم . فيدخلون الجنة ، ويسمون الجهنميين » .

وفى الصحيحين عن حماد بن زيد قال : قلت لعمرو بن دينار : أسمعت جابر بن عبد الله يحدث بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة ؟ » قال : نعم.

وفى الصحيحين عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك . فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ، حتى يريحنا من مكاننا هذا ـ فذكر الحديث ـ وفيه : ثم أشفع فيحد لى حداً . فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة . ثم أعود ، فأقع ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعنى ، ثم يقال لى : ارفع رأسك يا محمد ، قل تسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأرفع رأسى ، فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه . ثم أشفع ، فيحد لى حداً . فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ـ وذكر باقى الحديث » .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم فى بعض . فيأتون آدم ـ وذكر الحديث ـ وقال فأقول : يارب ، أمتى أمتى . فيقال : انطلق ، فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها

---

(١) هنا فى عون المعبود بعنوان « باب فى ذكر البعث والصور » وأما عنوان « خلق الجنة » ففى [٤ : ٣٨٠]

قال « الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه »

وأخرجه الترمذى والنسائى. وقال الترمذى : حسن . وقد رواه غير واحد عن سليمان ـ يعنى التَّيمى ـ ولا نعرفه إلا من حديث أسلم ـ يعنى العِجْلىَّ .

هكذا ذكره الحافظ أبو القاسم الدمشقى فى الإشراف

والذى شاهدناه فى غير نسخة : ولا نعرفه إلا من حديثه .

وظاهره : أنه يعود على سليمان التيمى .

فأنطلق فأفعل . ثم أرجع إلى ربى ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال لى : يامحمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأقول : يارب أمتى أمتى ، فيقال لى : انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربى ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأقول : يارب ، أمتى أمتى ، فيقال لى : انطلق . فمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع إلى ربى فى الرابعة ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا ، فيقال لى : يامحمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب ائذن لى فيمن قال : لا إله إلا الله ، قال : ليس ذلك لك ، ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى ، لأخرجن من قال : لا إله إلا الله » .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم . فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ـ فذكر الحديث إلى أن قال ـ فأنطلق ، فآتى تحت العرش ، فأقع ساجداً لربى . ثم يفتح الله على ، ويلهمنى من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلى . ثم قال : يامحمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسى . فأقول : يارب ، أمتى ، أمتى . فيقال : يا محمد ، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من باب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » .

وفى صحيح مسلم عن حذيفة وأبى هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزدلف لهم الجنة ، فيأتون آدم ، فيقولون : ياأبانا ، استفتح لنا الجنة . فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم . لست بصاحب ذلك ـ فذكر الحديث إلى أن قال ـ فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم ، فيقوم ، فيؤذن له ، ويرسل الأمانة والرحم ـ الحديث » .

٤٥٧٦ ـ وعن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال « كُلُّ ابن آدم تأكلُ الأرض ، إلاَّ عَجْبَ الذنب : منه خُلق وفيه يُرَكَّبُ »

وأخرجه مسلم والنسائى .

وأخرجه البخارى ومسلم من حديث أبي صالح ذكوان عن أبى هريرة .

٤٥٧٧ ـ وعن أبى سلمة ـ وهو ابن عبد الرحمن ـ عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما خلقَ الله الجنةَ قال لجبريل : اذهبْ ، فانْظُرْ إليها ، فذهب فنظرَ إليها ، ثم جاء ، فقال : إىْ رَبِّ ، وعِزَّتِك لا يسمعُ بها أحدٌ إلا دخلها ، ثم حَفَّهاَ بالمكارِه ، ثم قال : ياجبريل ، اذهب فانظرْ إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء . فقال : إىْ رَبِّ ، وعِزَّتِك لقد خشيتُ أن لايدخلها أحدٌ ،

وفى صحيح مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس يشفع فى الجنة ـ الحديث » .

وفى الصحيحين عن أبى سعيد « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبوطالب فقال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل فى ضحضاح من النار ، يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه » .

وفى الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب : أنه قال « يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء ؟ فإنه كان يحوطك ، ويغضب لك . قال : نعم . هو فى ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار » .

فقد تضمنت هذه الأحاديث خمسة أنواع من الشفاعة .

أحدها : الشفاعة العامة التى يرغب فيها الناس إلى الأنبياء ، نبياً بعد نبى ، حتى يريحهم الله من مقامهم .

النوع الثاني : الشفاعة فى فتح باب الجنة لأهلها .

النوع الثالث : الشفاعة فى دخول من لا حساب عليهم الجنة .

النوع الرابع : الشفاعة فى إخراج قوم من أهل التوحيد من النار .

قال : فلمَّا خلَق الله النار ، قال : يا جبريل ، اذهب فانظر إليها ، فذهبَ ، فنظر إليها ، ثم جاء فقال : وعزَّتِك ، لا يسمعُ بها أحد فيدخلها ، َحَفَّهَا بالشهوات . ثم قال : ياجبريل ، اذهبْ فانظر إليها ، فذهبَ فنظر إليها ، فقال : إىْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لقد خشيتُ أن لا يبقَى أحدٌ إلا دخلها »

وأخرجه الترمذي والنسائي . وقال الترمذي : حسن صحيح.هذا آخر كلامه

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حُفَّت الجنة بالمكاره . وحُفَّت النار بالشهوات » .

وأخرجه أيضاً من حديث الأعرج عن أبي هريرة .

النوع الخامس : في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار .

ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس .

أحدهما : في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها . وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه .

وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار ، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول ، فلا يدخلون . فلم أظفر فيه بنص .

والنوع الثاني : شفاعته صلى الله عليه وسلم لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب ، ورفعة الدرجات . وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة ، وقوله « اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين » .

وقوله في حديث أبي موسى « اللهم اغفر لعبيد أبي عامر ، واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك » .

وفي قوله في حديث أبي هريرة « أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله » سر من أسرار التوحيد . وهو أن الشفاعة إنما تنال بتجريد التوحيد . فمن كان أكمل توحيداً كان أحرى بالشفاعة . لا أنها تنال بالشرك بالشفيع . كما عليه أكثر المشركين . والله التوفيق .

باب فى الحوض [٤ : ٣٨٠]

٤٥٧٨ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أمامَكم حَوْضاً ما بين ناحِيَتيه كما بين جَرْبَاءَ وأَذْرُحَ[(١)] »

وأخرجه مسلم .

٤٥٧٩ ـ وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه ، قال : « كُنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلنا منزلاً ، فقال : ما أنتم جُزْء من مائة ألف جزء ممن يَرِدُ عليَّ الحوضَ . قال : قلت : كم كنتم يومئذ ؟ قال : سبعَمائة ، أو ثمانَمائة »

٤٥٧٨ ـ قال الشيخ ابن القيم رحمه الله : وقد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة ، وكثير منها، وأكثرها فى الصحيح: عمر بن الخطاب ، وأنس ، وجابر بن عبد الله ، وجابر بن سمرة ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعقبة بن عامر ، وكعب بن عجرة ، وحارثة بن وهب الخزاعى ، والمستورد بن شداد ، وأبو برزة الأسلمى ، وحذيفة بن اليمان ، وحذيفة بن أسيد ، وأبو أمامة الباهلى ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن زيد ، وسهل بن سعد ، وسويد بن جبلة ، وأبو سعيد الخدرى ، وعبدالله الصنابحى ، وأبو هريرة ، وأبو الدرداء ، وأبو بكرة ، والبراء بن عازب ، وسمرة بن جندب ، وعبد الله بن عمرو ، وأبو ذر ، وثوبان ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسمرة العدوى ، وجندب بن سفيان ، وعائشة ، وأم سلمة ، وأسماء بنت أبى بكر ، وخولة بنت قيس ، والعرباض بن سارية ، ولقيط بن صبرة ، وعتبة بن عبد السلمى ، ورواه غيرهم أيضاً ؟

وهل الحوض مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم . أم لكل نبي حوض . فالحوض الأعظم مختص به لا يشركه فيه نبي غيره .

---

(١) جرباء ـ بفتح الجيم وسكون الراء المهملة وبعدها باء بواحدة ـ مدينة من مدن الشام الشام وأذرح ـ بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وبعدها راء مهملة مضمومة وحاء مهملة ـ مدينة من أدانى الشام . وقيل : هى فى فلسطين ، وفى صحيح مسلم « أن بينها وبين جرباء المذكورة مسيرة ثلاثة أيام » وفى رواية « ثلاث ليال » وفيه أيضاً « حوض مسيرة شهر ، وزواياه سواء » وفى رواية « حوض ما بين صنعاء والمدينة » وفي رواية « عرضه مثل طوله ، ما بين عمان إلى أيلة » وفى رواية « كما بين أيلة وصنعاء » اهـ من هامش المنذرى .

٤٥٨٠ ـ وعن أنس بن مالك قال « أغفَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة ، فرفعَ رأسَه مُتَبسِّما ، فإمَّا قال لهم ، وإما قالوا له : يارسول الله مِمَّ ضَحكتَ ؟ فقال : إنه أُنزلت علىَّ آنِفاً سورةٌ . فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكَوْثَر) حتى ختمها ، فلما قرأها قال : هَلْ تَدْرُونَ ما الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فانه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ ربى عز وجل فى الجنة ،وعليه خيرٌ كثير ، عليه حوضٌ يَرِدُ عليه أمتى يوم القيامة ، آنِيَتُهُ عددُ الكوا كب »

وأخرجه مسلم والنسائى . وقد تقدم فى كتاب الصلاة .

٤٥٨١ ـ وعنه رضى الله عنه ، قال « لما عُرِجَ برسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنةِ ، أو كما قال ، عَرض له نهرٌ حافتاه الياقوتُ الْمُجَيَّبُ ، أو قال : المجوَّفُ ، فضرب الملكُ الذى معه يَدَه ، فاستخرجَ مِسْكاً ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم

٤٥٨١ ـ قال الشيخ : « المجيّب » هو الأجوف . وأصله من جيبت الشىء إذا قطعته ، والشىء مجيب ومجبوب ، كما قالوا : مشيب ومشبوب ، وانقلاب الياء عن الواو كثير فى كلامهم .

وأما سائر الأنبياء : فقد قال الترمذى فى الجامع : حدثنا أحمد بن محمد بن نيزك[1] البغدادى حدثنا محمد بن بكار الدمشقى حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبى حوضاً ، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة » قال الترمذى : هذا حديث غريب ، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مرسلا . ولم يذكر فيه عن سمرة ، وهو أصح .

وفى مسند البزار من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) نيزك ـ بكسر النون وفتح الزاى بعد التحتانية الساكنة ـ أبو جعفر الطوسى . قال ابن عقدة : فى أمره نظر . مات سنة ٢٤٨هـ

للملك الذى معه : ما هذا ؟ قال : هذا الكوثرُ الذى أعطاك الله عز وجل »

وأخرجه الترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن صحيح .

٤٥٨٢ ـ وعن عبد السلام بن أبى حازم ، أبى طالوتَ ، قال « شهدت أبا بَرْزَة دخل على عبيد الله بن زياد ، فحدثنى فلان ـ سماه مسلم ، يعنى ابن ابراهيم ـ وكان فى السِّماط ، فلما رآه عبيدُ الله قال : إن مُحَمَّدِيَّكُمْ هذا لَدَحْدَاحٌ ، ففهمَها الشيخُ فقال : ما كنتُ أحسبُ أنِّى أبقَى فى قومٍ يُعَيِّرونى بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم : فقال له عبيد الله : إن صحبةَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم لك زَيْنٌ غير شَيْنٍ ، قال : إنما بَعثتُ إليك لأسألك عن الحوض ؟ سمعتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرُ فيه شيئاً ؟ فقال أبو برزة : نعم ، لاَ مَرَّةً ، ولا ثنتين ، ولا ثلاثا ، ولا أربعا ، ولا خمسا ، فمن كَذَّب به فلا سقاه الله منه ، ثم خرج مُغْضَبا »

فى إسناده رجل مجهول .

باب فى المسألة فى القبر وعذاب القبر [٤ : ٣٨٢]

٤٥٨٣ ـ عن البرَاء بن عازِب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن المسلم إذا سُئل فى القبرِ ، فشهدَ أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله فذلك قول الله عز وجل (١٤ : ٢٧ يُثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة بنحوه .

« إن لى حوضاً ما بين بيت المقدس إلى الكعبة ، أبيض من اللبن ، فيه عدد الكواكب آنية . وأنا فرطكم على الحوض ، ولكل نبى حوض ، وكل نبى يدعو أمته . فمنهم من يرد عليه فئام من الناس ، ومنهم من يرد عليه ماهو دون ذلك ، ومنهم من يرد عليه العصابة ، ومنهم من يرد عليه الرجلان والرجل ، ومنهم من لا يرد عليه أحد . فيقول : اللهم قد بلغت ، اللهم قد بلغت ـ ثلاثا ـ وذكر الحديث » .

٤٥٨٤ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال «إن نبى الله صلى الله عليه وسلم دَخَلَ نخلا لبنى النَّجَّار ، فسمع صوتا ففزع ، فقال : مَنْ أصحابُ هذه القبور ؟ قالوا : يا رسول الله ، ناسٌ ماتوا فى الجاهلية ، فقال : تعَوَّذُوا بالله من عذاب النار ، ومن فتنة الدَّجال ، قالوا : ومِمَّ ذاك يارسول الله ؟ قال : إن المؤمنَ إذا وُضِع فى قبره أتاه ملكٌ ، فيقول له : ما كنتَ تعبد ؟ فإنِ اللهُ هداهُ قال : كنت أعبدُ الله فيقال له : ما كنتَ تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : عبد الله ورسوله ، فما يُسأل عن شيءٍ غيرها ، فيُنْطَلَقُ به إلى بيت كان له فى النار ، فيقال له : هذا بيتُك كان لك فى النار ، ولكنَّ الله عَصَمَك ورحمك ، فأبْدَلك به بيتاً فى الجنة فيقول : دعونى حتى أذهب فأُبَشِّرَ أهلى ، فيقال له : اسْكُن . وإن الكافر إذا وُضع فى قبره أتاه ملك ، فَيَنْتَهِرَهُ ، فيقول له : ما كنتَ تعبُد ؟ فيقول : لا أدرى ، فيقال له : لا دَرَيْتَ ولَا تَلَيْتَ ، فيقال له : فما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : كنتُ أقول ما يقول الناس ، فيضربُه بِمِطْرَاقٍ من حديد بين أذنيه ، فيصيح صَيْحَةً يسمعها الخلق غيرَ الثقلين » .

٤٥٨٥ ـ وفى رواية : « إن العبد إذا وضع فى قبره ، وتَوَلَّى عنه أصحابُه ، إنه

٤٥٨٤ ـ قال الشيخ : « لادريت ولا تليت » هكذا يقول المحدثون وهو غلط .

وقد ذكره القتيبى فى كتاب غريب الحديث ، وقال فيه قولان : بلغني عن يونس البصرى أنه قال : هو « لا دريت ولا أتْليت » ساكنة التاء ، يدعو عليه بأن لا تتلى إبله ، أى يكون لها أولاد تتلوها : أى تتبعها ، يقال للناقة : قد أتليت ، فهى مُتْلية ، وتلاها ولدها . إذا تبعها .

قال وقال غيره هو « لا دريت ولا ابتليت » بوزن افْتَعَلت من قولك : ماألوت هذا ، ولا أستطيعه ، كأنه يقول : لا دريت ولا استطعت .

لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالهم ، فيأتيه ملكان ، فيقولان له ـ فذكر قريباً من حديث الأول ، قال فيه ـ : وأما الكافر والمنافق فيقولان له ـ زاد : المنافق ـ وقال : يسمعهما من يَليه غير الثقلين » .

وأخرج النسائى طرفا منه بنحوه . وقد تقدم فى كتاب الجنائز .

٤٥٨٦ ـ وعن البراء بن عازب رضى الله عنه ، قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القَبْر ، ولَمَّا يُلْحَد ، فجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وجلسنا حوله ، كأنَّما على رءوسنا الطَّير ، وفى يده عودٌ يَنْكُت به الأرض ، فرفع رأسهُ ، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر ـ مرتين أو ثلاثًا ـ زاد فى حديث جرير ، وهو ابن عبد الحميد هٰهنا ـ وقال : وإنه لَيَسْمَعُ خَفْق نعالهم ، إذا ولَّوْا مدبرين ، حين يقال له : يا هذا ، من رَبُّكَ ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ قال هناد ـ وهو ابن السرى ـ ويأتيه ملكان ،

٤٥٨٦ ـ قال الشيخ ابن القيم رحمه الله :

وقال أبو حاتم البستى : خبر الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء سمعه الأعمش عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو ، وزاذان لم يسمع من البراء . فلذلك لم أخرجه .

فذكر له علتين : انقطاعه بين زاذان والبراء ، ودخول الحسن بن عمارة بين الأعمش والمنهال .

وقال أبو محمد بن حزم : ولم يرو أحد فى عذاب القبر أن الروح ترد إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو ، وليس بالقوى ، وقد قال تعالى (٢ : ٢٨ وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) فصح أنهما حياتان وموتتان فقط . ولا ترد الروح إلا لمن كان ذلك آية له ، كمن أحياه عيسى عليه السلام . وكل من جاء فيه نص بذلك .

ولم أعلم أحداً طعن فى هذا الحديث إلا أبا حاتم البستى وابن حزم .

ومجموع ما ذكراه ثلاث علل .

إحداها : ضعف المنهال .

فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم ؟ قال : فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولان له : وما يُدْرِيكَ ؟ فيقول : قرأتُ كتابَ الله . فآمنت به وصدَّقت ـ زاد فى حديث جرير : فذلك قول الله عز وجل (١٤ : ٢٧ يثبِّتُ الله الذين آمنوا) الآية ، ثم اتفقا ـ يعنى جرير بن عبد الحميد وأبا معاوية الضرير ـ قال فينادى منادٍ مِنَ السماء : أن صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفرِشُوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، وألبسوه من الجنة . قال : فيأتيه

والثانية : أن الأعمش لم يسمعه من المنهال .

والثالثة : أن زاذان لم يسمعه من البراء .

وهذه علل واهية جداً .

فأما المنهال بن عمرو : فروى له البخارى فى صحيحه . وقال يحي بن معين والنسائى : المنهال ثقة . وقال الدارقطنى : صدوق ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

والذى اعتمده أبو محمد بن حزم فى تضعيفه : أن ابن أبى حاتم حكى عن شعبة أنه تركه ، وحكاه أحمد عن شعبة . وهذا لو لم نذكر سبب تركه لم يكن موجباً لتضعيفه . لأن مجرد ترك شعبة له لايدل على ضعفه . فكيف ؟ وقد قال ابن أبى حاتم : إنما تركه شعبة لأنه سمع فى داره صوت قراءة بالتطريب . وروى عن شعبة قال : أتيت منزل المنهال . فسمعت صوت الطنبور . فرجعت . فهذا سبب جرحه .

ومعلوم أن شيئاً من هذا لا يقدح فى روايته . لأن غايته أن يكون عالماً به مختاراً له . ولعله متأول فيه . فكيف ؟ وقد يمكن أن لا يكون ذلك بحضوره ، ولا إذنه ولا علمه .

وبالجملة : فلا يرد حديث الثقات بهذا وأمثاله [1] .

وأما العلة الثانية : وهى أن بين الأعمش فيه وبين المنهال : الحسن بن عمارة ـ فجوابها : أنه قد رواه عن المنهال جماعة ، كما قاله ابن عدى . فرواه عبد الرزاق عن معمر عن يونس بن حباب عن المنهال . ورواه حماد بن سلمة عن يونس عن المنهال . فبطلت العلة من جهة الحسن بن عمارة . ولم يضر دخول الحسن شيئاً .

---

١) بل الصواب من جعل هذا جرحاً .

من رَوْحِها وطيبها . قال : ويفتح له فيها مَدُّ بَصَره . قال : وإن الكافر ـ فذكر موته ـ قال : وتُعادُ روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان : من ربك ؟ فيقول: هاه هاه ، لا أدرى ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول: هاه هاه ، لا أدرى ، فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول: هاه هاه ، لا أدرى ، فينادى منادٍ من السماء : أن كذب عبدى ، فأفرِشُوه من النار ، وألبسوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار . قال : فيأتيه من حَرِّها وسَمومها . قال : ويُضَيَّقُ عليه قبرُه ، حتى تختلف فيه أضلاعه ـ زاد فى حديث جرير :

وأما العلة الثالثة : وهى أن زاذان لم يسمعه من البراء ، فجوابها : من وجهين .

أحدها : أن أباعوانة الإسفرايينى رواه فى صحيحه ، وصرح فيه بسماع زاذان له من البراء فقال « سمعت البراء بن عازب » فذكره .

والثانى : أن ابن منده رواه عن الأصم حدثنا الصنعانى أخبرنا أبو النضر عيسى بن المسيب عن عدى بن ثابت عن البراء ـ فذكره .

فهذا عدى بن ثابت قد تابع زاذان .

قال ابن منده : ورواه أحمد بن حنبل ، ومحمود بن غيلان ، وغيرهما عن أبى النضر ، ورواه ابن منده أيضاً من طريق محمد بن سلمة عن خصيف الجزرى[1] عن مجاهد عن البراء .

قال أبو موسى الأصبهانى : هذا حديث حسن مشهور بالمنهال عن زاذان. وصححه أبو نعيم والحاكم وغيرهما .

وأما ما ظنه أبو محمد بن حزم من معارضة هذا الحديث لقوله تعالى (٢ : ٢٨ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ـ الآية) وأنهما حياتان وموتتان لا غير .

فجوابه : أنه ليس فى الحديث أنه يحيا حياة مستقرة فى قبره ، والحياتان المذكورتان فى الآية : هما اللتان ذكرا فى قوله تعالى (٤٠ : ١١ قالوا : ربنا أمتنا اثنتين ، وأحييتنا اثنتين) وهاتان حياتان مستقرتان ، وأما رد الروح إليه فى البرزخ للسؤال فرد عارض لا يتصل به حياة بعد حياة ثالثة . فلا معارضة بين الحديث والقرآن بوجه من الوجوه ، وبالله التوفيق

---

(١) هو خصيف بن عبد الرحمن الجزرى ، أبوعون الحضرمى . قال أبو طالب عن أحمد : ضعيف ، وقال حنبل : ليس بحجة ولا قوى ، وقال عبد الله بن أحمد : شديد الاضطراب فى المسند . وقال ابن معين : ليس به بأس ، وقال مرة أخرى ثقة . توفي سنة ١٣٧ هـ .

قال : ثم يُقيَّضُ له أعمى أبْكَمُ ، معه مِرْزَبَّةٌ من حديد ، لو ضُرب بها جَبَلٌ لصار تُرَابًا . قال : فيضربه بها ضربة يسمعها مابين المشرق والمغرب ، إلا الثقلين فيصير ترابًا . قال : ثم تعاد فيه الروح » .

وأخرجه النسائى وابن ماجة مختصراً . وقد تقدم فى كتاب الجنائز مختصراً .

وفى إسناده : المنهال بن عمرو . وقد أخرج له البخارى فى صحيحه حديثاً واحداً . وقال يحي بن معين : ثقة . وقال الإمام أحمد : تَرَكه شعبة على عمد ،

وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك ، حتى يبعثك الله يوم القيامة » .

وفى صحيح مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر » .

وفى صحيحه أيضاً عن زيد بن ثابت قال « بينا النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ، ونحن معه ، إذ حادت به ، فكادت تلقيه . وإذا أقبر ستة أو خمسة ، أو أربعة . فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل : أنا . فقال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الإشراك . فقال : إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها . فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله عزوجل أن يسمعكم عذاب القبر الذي أسمع منه . ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار . فقالوا : نعوذ بالله من عذاب النار : قال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قالوا : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال » .

وفى الصحيحين عن أبى أيوب قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت الشمس . فسمع صوتاً ، فقال : يهود تعذب فى قبورها » .

وفي صحيح مسلم عن أم خالد : « أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعوذ من عذاب القبر » .

وقد تقدم حديث أبى هريرة المتفق عليه « إذا تشهد أحدكم فى صلاته فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب القبر ، وعذاب جهنم ـ الحديث » .

وغمزه يحيي بن سعيد . وحكى عن شعبة : أنه تركه . وقال ابن عدى : والمنهال بن عمرو : هو صاحب حديث القبر ـ الحديثَ الطويل . رواه عن زاذان عن البراء . ورواه عن مِنْهَال جماعة .

وفى الصحيحين عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين . فقال : إنهما ليعذبان ـ الحديث » .

وفى الصحيحين عن عائشة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يدعو بهذه الدعوات اللهم إنى أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ، وفتنة القبر وعذاب القبر ـ الحديث » .

وفى الصحيحين عن أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، ومن شر فتنة المحيا والممات » .

وفى الصحيحين عن عمرة « أن يهودية أتت عائشة تسألها . فقالت : أعاذك الله من عذاب القبر ، قالت عائشة : فقلت : يارسول الله ، يعذب الناس فى القبور ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عائذاً بالله ـ فذكر الحديث » .

وفيه « ثم رفع وقد تجلت الشمس . فقال : إني رأيتكم تفتنون فى القبور كفتنة الدجال فكنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يتعوذ من عذاب النار وعذاب القبر » .

وفى لفظ للبخارى « فرجع ضحى . فقال : ما شاء الله أن يقول ، ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر » .

وفى الصحيحين عن أسماء بنت أبى بكر قالت « خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدخلت على عائشة ، وهى تصلى ، فقلت : ماشأن الناس يصلون ؟ فأشارت برأسها إلى السماء ، فقلت : آية ؟ قالت : نعم . فأطال رسول الله صلى الله عليه وسلم القيام جداً ، حتى تجلانى الغشى(١) ، فأخذت قربة من ماء ، فجعلت أصب على رأسي ، أو على وجهى من الماء . قالت : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تجلت الشمس ، فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، ما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار ، وإنه قد أوحى إلى : أنكم تفتنون فى قبوركم قريباً أو مثل فتنة المسيح الدجال ـ لا أدرى أى ذلك قالت أسماء ؟ ـ فيؤتى أحدهم ، فيقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن ـ لا أدرى أى ذلك قالت أسماء ـ فيقول : هو محمد رسول الله

---

(١) الغشى ـ بفتح الغين المعجمة وسكون الشين ـ مصدر غشيه . أى اشتد عليها الهول والفزع مما رأت وسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليها .

وذكر أبو موسى الأصبهانى : أنه حديث حسن مشهور بالمنهال عن زاذان . وللمنهال حديث واحد فى كتاب البخارى حسبُ . ولزاذان فى كتاب مسلم حديثان .

جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وأطعنا ــ ثلاث مرات ــ فيقال له : قد نعلم أنك تؤمن به . فنم صالحاً ، وأما المنافق ــ أو المرتاب ــ لا أدرى : أى ذلك قالت أسماء ــ فيقول : لا أدرى ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت » .

وفى صحيح ابن حبان من حديث أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتانى القبر . فقال عمر رضى الله عنه : أترد علينا عقولنا يا رسول الله ؟ فقال : نعم كهيئتكم اليوم . قال بفيه الحجر [1] » .

وفى صحيحه أيضاً من حديث سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قبر أحدكم ، أو الإنسان ، أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المنكر ، والآخر النكير . فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ، لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ فهو قائل ما كان يقول . فإن كان مؤمناً قال : هو عبد الله ورسوله . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . فيقولان له : إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك . ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ذراعاً ، وينور له فيه . فيقال له : نم نومة العروس . لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال : لا أدرى ، كنت أسمع الناس يقولون شيئاً . فكنت أقوله ، فيقولان له : إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ، ثم يقال للأرض : التئمى عليه . فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه ، فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » .

وفى صحيحه أيضاً عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (٢٠ : ١٢٤ فان له معيشة ضنكاً) قال « عذاب القبر » .

وفى صحيحه أيضاً عن أبى سفيان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل الميت القبر مثلت له الشمس عند غروبها . فيقول : دعوني أصلى » .

وفى صحيحه أيضاً عن أم مبشر قالت « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا فى حائط من حوائط بنى النجار . فيه قبور منهم ، وهو يقول : استعيذوا بالله من عذاب القبر . فقلت : يا رسول الله ، وللقبر عذاب ؟ قال : وإنهم ليعذبون فى قبورهم تسمعه البهائم » .

---

(١) « بفيه الحجر » مثل يقال لمن أكره على السكوت وعدم التكلم .

وفى صحيحه أيضاً عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « إن المؤمن فى قبره لفى روضة خضراء ، ويرحب له فى قبره سبعين ذراعاً ، وينور له كالقمر ليلة البدر ، أتدرون فيما أنزلت هذه الآية (٢٠ : ١٢٤ فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى) أتدرون ما المعيشة الضنك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : عذاب الـكافر فى قبره ، والذى نفسى بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً . أتدرون ما التنين ؟ سبعون حية لـكل حية تسع رءوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون » .

فيه دراج أبو السمح [1] عن عبد الرحمن بن حجيرة عن أبى هريرة .

وذكر أبو حاتم أيضاً قصـة التسعة والتسعين تنيناً من حديث دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وفي صحيحه أيضاً من حديث محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت إذا وضع فى قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه . فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، وكان الصيام عن يمينه ، وكانت الزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه . فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلى مدخل . ثم يؤتى عن يمينه ، فيقول الصيام : ما قبلى مدخل . ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ماقبلى مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس : ما قبلى مدخل . فيقول له : اجلس ، فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب . فيقال له : أرأيتك هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : دعونى حتى أصلى . فيقولون : إنك ستفعل . أخبرنا عما نسألك عنه ، أرأيتك هذا الرجل الذى كان فيـكم ما تقول فيه ؟ وماذا شهدت عليه ؟ قال : فيقول محمد ؟ أشهد أنه رسول الله ، وأنه جاء بالحق من عند الله . فيقال له : على ذلك حييت . وعلى ذلك مت . وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة . فيقال : هذا مقعدك منها ، وما أعد الله لك فيها ، فيزداد غبطة وسروراً . ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه ، ويعاد الجسد لما بدىء منه فيجعل نسمته فى النسيم الطيب . وهى طير تعلق فى شجر الجنة . قال : فذلك قوله (١٤ :٢٧ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) قال : وإن الـكافر إذا أتى من قبل رأسه لم يوجد شىء . ثم أوتي عن يمينه فلا

---

(١) هو دراج بن سمعان القرشى السهمى مولاهم المصرى القاص . قال أحمد : منـكر الحديث . وكذا قال النسـائى . وقال أبو حاتم فى حديثه ضعف ، وقال الدارقطنى ضعيف ، وقال مرة : متروك . وقال ابن معين : ليس بثقة ولا كرامة ، وقال ابن‌عدى : عامة الأحاديث التى أمليتها عن دراج مما لا يتابع عليه . وقال عثمان الدارمى عن ابن معين : ثقة .

باب فى ذكر الميزان [٤ : ٣٨٥]

٤٥٨٧ ـ عن الحسن ـ وهو البصري ـ عن عائشة رضى الله عنها « أنها ذَكَرَتِ النارَ ، فبكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قالت : ذكرتُ النار ، فبكيتُ . فهل تَذْكُرُون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه

يوجد شيء . ثم أوتى عن شماله فلا يوجد شيء . ثم أوتى من قبل رجليه فلا يوجد شيء . فيقال له : اجلس . فيجلس خائفا مرعوباً . فيقال له : أرأيتك هذا الرجل الذى كان فيكم ، ماذا تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : أى رجل ؟ فيقال : الذى كان فيكم . فلا يهتدى لاسمه ، حتى يقال له : محمد . فيقول : ما أدرى ، سمعت الناس قالوا قولا . فقلت كما قال الناس . فيقال له : على ذلك حييت ، وعلى ذلك مت ، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ، ثم يفتح له باب من أبواب النار ، فيقال له : هذا مقعدك من النار ، وما أعد الله لك فيها . فيزداد حسرة وثبوراً . ثم يفتح له باب من أبواب الجنة ، فيقال له : ذلك مقعدك من الجنة ، وما أعد الله لك فيها لو أطعته ، فيزداد حسرة وثبوراً . ثم يضيق عليه قبره ، حتى تختلف فيه أضلاعه . وتلك المعيشة الضنك التى قال الله عز وجل (فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)(١).

٤٥٨٧ ـ قال الشيخ ابن القيم رحمه الله :

وقد أخرجا فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »

وفى جامع الترمذى من حديث النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال « سألت النبى صلى الله عليه وسلم : أن يشفع لى يوم القيامة ، فقال : أنا فاعل ، قال قلت : يارسول الله فأين أطلبك ؟ قال : اطلبنى أول ماتطلبنى على الصراط ، قال قلت : فان لم ألقك على الصراط ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان ، قال قلت : فان لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فاطلبنى عند الحوض ؛ فاني لا أخطىء هذه الثلاث المواطن » قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

---

(١) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب . فى باب بعض ماجاء فى عذاب القبر : رواه الطبرانى فى الأوسط وابن حبان فى صحيحه ـ واللفظ له ـ وزاد الطبراني : قال أبو عمر ـ يعنى الضرير ـ قلت لحماد بن سلمة : كان هذا من أهل القبله ؟ قال : نعم . قال أبو عمر : كان شهد بهذه الشهادة على غير يقين يرجع إلى قلبه . كان يسمع الناس يقولون شيئاً فيقول و « تعلق » بضم اللام تأكل . اه .

[illegible] حماد بن سلمة : المقلدين الذين دينهم دين الآباء والشيوخ بلا تبصر ولا فقه .

وسلم : أمَّا فى ثلاثة مواطِنٍ : فلا يذكرُ أحدُ أحداً : عند الميزان ، حتى يعلم : أَيَخِفُّ ميزانه أو يثقل ؟ وعند الكتاب حين يقال(٦٩: ١٩ هاؤُم اقرؤا كتابيه) حتى يعلم أين يقع كتابه : أفى يمينه ، أم فى شِماله ، أم من وراء ظهره ؟ وعند الصراط إذا وُضِعَ بين ظَهْرى جهنم » .

باب فى الدجال [٤ : ٣٨٥]

٤٥٨٨ ـ عن عبد الله بن سُراقة ، عن أبى عُبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه لم يكن نبىٌّ بعد نوح إلا وقد أنذر الدجال قومه ، وإنِّى أنذركموه ، فوصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لعله سَيُدْرِكُه مَنْ قد رآنى ، وسمع كلامى . قالوا : يا رسول الله ، كيف قلوبنا يومئذ ؟ أَمِثْلُهَا اليوم ؟ قال : أو خيرٌ » .

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن غريب من حديث أبى عبيدة بن الجرَّاح ، لا نعرفه إلا من حديث خالد الحذَّاء . هذا آخر كلامه .

وروى الليث بن سعد عن عامر بن يحيى المعافرى عن أبى عبد الرحمن الحبلى أنه قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يصاح برجل من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، ثم يقول الله تبارك وتعالى له : أتنكر من هذا شيئا ؟ فيقول : لا ، يارب ، فيقول عز وجل : بلى ، إن لك عندنا حسنات ، وإنه لاظلم عليك ، فيخرج له بطاقة فيها « أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله » فيقول : يارب ماهذه البطاقة ، مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» قال حمزة الكنانى : لا أعلم روي هذا الحديث غير الليث بن سعد ، وهو من أحسن الحديث

قال أبو طاهر السلفى : أخبرنا أبو الحسن على بن عمر بن محمد الحرانى قال « أنا حضرت رجلا فى المجلس ، وقد زعق عند هذا الحديث ومات ، وشهدت جنازته وصليت عليه » .

قال أبو القاسم الطبرانى : لايروى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد تفرد به عامر بن يحيى . آخر كلامه .

وذكر البخارى : أن عبد الله بن سراقة لا يعرف له سماع من أبي عبيدة .

٤٥٨٩ ـ وعن سالم ـ وهو ابن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهما ـ ، قال « قام النبي صلى الله عليه وسلم فى الناس ، فأثْنَي على الله بما هو أهلُه ، فذكر الدَّجَّال ، فقال : إِنِّى لَأُنْذِرُكُمُوهُ ، وما من نبى إلا قد أنذره قومَه ، لقد أنذره نوحٌ قومَه ، ولكنى سأقول لكم قولا لم يَقُلْه نبيٌّ لقومه : إنه أعور ، وإنَّ الله ليس بأعور » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

باب فى الخوارج [٤ : ٣٨٥]

٤٥٩٠ ـ عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فَارَقَ الجماعة شِبْراً فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عُنقه » .

٤٥٩٠ ـ قال الشيخ . « الربقة » مايجعل فى عنق الدابة ، كالطوق يمسكها لئلا تشرد ، يقول : من خرج عن طاعة الجماعة ، وفارقهم فى الأمر المجمع عليه ، فقد ضل وهلك .

ورواه أبو عبد الرحمن المقرى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو ، ورواه عن المقرى جماعة ، والحديث أخرجه ابن حبان فى صحيحه والترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

وروى حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش أن عبد الله بن مسعود « كان يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم سواكا من أراك ، وكان فى ساقيه دقة ، فضحك القوم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مايضحككم ؟ من دقة ساقيه ؟ والذى نفسى بيده إنهما أثقل فى الميزان من أحد » رواه أبو حاتم فى صحيحه

٤٥٩٠ ـ ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله : أحاديث الباب إلى آخرها ، ثم ذيل عليها بقوله :

وقد روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال « أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة منصرفه من حنين ، وفى ثوب بلال فضة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض منها ، ويعطى الناس . فقال : يا محمد ، اعدل ، فقال : ويلك ، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ لقد

٤٥٩١ ــ وعنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كَيْفَ أَنْتُمْ وأَئِمَّةُ من بعدى ، يستأثرون بهذا الفىء ؟ قلت : إذن والذى بعثك بالحق أَضَعُ سَيْفِى عَلَى عاتِقِى ، ثم أضربُ به حتَّى أَلْقاكَ ، أو ألحقك ، قال : أَوَلا أَدُلُّك على خيرٍ مِنْ ذلك ؟ تصبرُ حتى تلقانى » .

٤٥٩٢ ــ وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ ، يعرفون منكم وتُنكرون ، فمن أنكر ــ قال هشام ، وهو ابن حسان ــ بِلِسَانِهِ ، فقد برىء ،

وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التى هى محفوظة بها فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك الهلاك والضياع .

خسرت وخبت إن لم أكن اعدل ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : دعنى يا رسول الله أقتل هذا المنافق . فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى ، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » .

وروى البخارى هذا الحديث مختصراً ، قال « بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسم غنيمة بالجعرانة ، إذ قال له رجل : اعدل ، فقال : لقد شقيت ، إن لم أعدل » .

والصواب فى هذا : فتح التاء من « خبت » و « خسرت » .

والمعنى : أنك إذن خائب خاسر ، إن كنت تقتدى في دينك بمن لا يعدل ، وتجعله بينك وبين الله ، ثم تزعم أنه ظالم غير عادل .

ومن رواه بضم التاء لم يفهم معناه هذا .

وفى الصحيحين عن أبي سعيد قال « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو يقسم قسما ، أتاه ذو الخويصرة ــ وهو رجل من بنى تميم ــ فقال : يا رسول الله ، اعدل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويلك ، من يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت إن لم أعد فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، ائذن لى فيه أضرب عنقه ، قال رسول الله صلى وسلم : دعه ، فان له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون

ومن كَرِهَ فقد سَلِمَ ، ولـكن من رضى وتابع . فقيل : يا رسول الله ، أفلا نقتلهم ؟ ـ قال ابن داود ، وهو سليمان ـ أفلا نقاتلهم ؟ قال : لَا ، ماصَلَّوْا » .

وأخرجه مسلم والترمذى

٤٥٩٣ ـ وعنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمعناه ، قال « فمن كره فقد برىء ، ومن أنـكر فقد سلم »

القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء ــــ وهو القدح ــــ ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء ، سبق الفرث والدم ، آيتهم : رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة ، أو مثل البضعة ، تدردر ، يخرجون على حين فرقة من الناس ، قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم ، وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس ، فوجد ، فأتى به ، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نعت » .

زاد البخارى فنزلت (٩: ٥٨ ومنهم من يلمزك فى الصدقات) .

وفى رواية المستملى على « خير فرقة من الناس » .

وفى الصحيحين عن أبى سعيد أيضاً « أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوماً يكونون فى أمته يخرجون فى فرقة من الناس ، سيماهم التحليق ، قال : هم شر الناس ، أو من شر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق ، قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم مثلا ، أو قال قولا : الرجل يرمى الرمية ، أو قال الغرض ، فينظر فى النصل ، فلا يرى بصيرة ، وينظر فى النضى فلا يرى بصيرة ، وينظر فى الفوق فلا يرى بصيرة [1] »

وفى لفظ آخر عنـه فى هذا الحديث « يكون فى أمتى فرقتان ، فتخرج بينهما مارقة يلى قتلهم أولاهم بالحق » .

---

(١) قال النووى فى شرح الحـديث من أبواب الزكاة : أما « الرصاف » فبـكسر الراء وبالصاد المهملة ، وهو مدخل النصل من السهم ؛ و « النصل » هو حديد السهم ، و « القدح » عوده و «القذذ» بضم القاف وبذالين معجمتين : هو ريش السهم ، و «الفوق والفوقة» بضم الفاء : هو الحز الذى يجعل فيه الوتر . و « النضي » بفتح النون وكسر الضاد المعجمة وتشديد الياء : وهو القدح ، كذا جاء فى كتاب مسلم مفسرا ، وكذلك قال الأصمعى ، وأما « البصيرة » فبفتح الباء الموحدة وكسر الصاد المهملة ، وهى الشيء من الدم ، أى لا يرى شيئاً من الدم يستدل به علي إصابة الرمية .

قال قتادة : يعنى من أنكر بقلبه ، ومن كره بقلبه .

وهو طرف من الذى قبله .

٤٥٩٤ ـ وعن عَرْفَجَة ـ وهو ابن شُريح . وقيل : ضُريح الأشجعى ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ستكون فى أمتى هَنَاتٌ وهَنَاتٌ وهَنَاتٌ ، فمن أراد أن يُفرِّق أمرَ المسلمين وهم جميع ، فاضربوه بالسيف ، كائناً من كان»

وأخرجه مسلم والنسائى . وليس لعَرْفَجَة فى كتبهم سوى هذا الحديث

باب فى قتال الخوارج [٤ : ٣٨٦]

٤٥٩٥ ـ عن عَبِيدة ـ وهو السَّلْمانى « أن علياً ذكر أهل النَّهْروان ، فقال : فيهم رَجُلٌ مُودَنُ اليدِ ، أو مُخْدَجُ اليد ، أو مَثْدُونُ اليد ، لولا أن تبْطَروا لنبَّأْتكم

٤٥٩٥ ـ قال الشيخ : قال أبو عبيد عن الكسائى « المؤْدَن اليد » القصير اليد .

قال : وفيه لغة أخرى : وهو « المُوَدَّون » .

والمخدج : القصير أيضاً أخذ من إخداج الناقة ولدها ، وهو أن تلده وهو لغير تمام فى خلقه .

وفى أخرى « تمرق مارقة فى فرقة من الناس ، يلى قتلهم أولى الطائفتين بالحق » .

وفى أخرى « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين ، يقتلها أولى الطائفتين بالحق » .

وفى أخرى « يخرجون على فرقة مختلفة ، يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق » .

وفى صحيح البخارى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يخرج ناس من قبل المشرق ، يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، حتى يعود السهم إلى فوقه ، قيل : فما سيماهم ؟ قال : التحليق ، أو قال : التسبيل »

وفى الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ عن عبيد الله بن أبى رافع « أن الحرورية لما خرجت ـ وهو مع على بن أبى طالب ـ قالوا : لاحكم إلا لله ، قال على : كلمة حق أريد بها باطل ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف ناساً ، إنى لأعرف صفتهم فى هؤلاء ، يقولون الحق

ما وعدَ الله الذين يقتلونهم على لسانِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، قال : قلتُ : أنت سمعتَ هذا منه ؟ قال : إى وربِّ الكعبة »

وأخرجه مسلم وابن ماجة .

٤٥٩٦ - وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال « بعثَ عليٌّ رضى الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بِذُهَيْبةٍ فى تُرْبَتِها ، فقسَمها بين أربعة : بين الأقْرَعِ

و « المثدن » يقال : إنه شَبَّه يده فى قصرها بثندوة الثدى وهى أصله .

وكان القياس أن يقال : مُثَنَّد . لأن النون قبل الدال فى الثندوة إلا أنه قَلَبَ ، والمقلوب كثير فى الكلام .

٤٥٩٦ - قال الشيخ : « الضئضىء » الأصل : يريد : أنه يخرج من نسله الذى هو أصلهم أو يخرج من أصحابه وأتباعه الذين يقتدون به ، ويبنون رأيهم ومذهبهم على أصل قوله .

بألسنتهم ، لا يجاوز هذا منهم — وأشار إلى حلقه — من أبغض خلق الله إليه ، منهم أسود ، إحدى يديه طبي شاة [١] ، أو حلمة ثدى ، فلما قتلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : انظروا ، فنظروا ، فلم يجدوا شيئاً ، فقال : ارجعوا ، فوالله ما كذبت ولا كذبت [٢] — مرتين أو ثلاثاً — ثم وجدوه فى خربة ، فأتوا به ، حتى وضعوه بين يديه ، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم ، وقول على فيهم » .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن بعدى من أمتى ، أو سيكون بعدى من أمتى ، قوم يقرءون القرآن لايجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لايعودون فيه ؛ هم شر الخلق والخليقة . فقال ابن الصامت : فلقيت رافع بن عمرو الغفارى — أخا الحكم الغفارى — قلت : ما حديث سمعته من أبى ذر كذا وكذا ؟ فذكرت له هذا الحديث ، فقال : وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

---

(١) « الطبي » بضم الطاء المهملة وسكون الباء الموحدة : ثدى الشاة .

(٢) الثانية مبنية للمجهول . أى ما كذبنى رسول الله صلي الله عليه وسلم .

بن حابس الحَنْظَلى ، ثم المجاشِعِيِّ ، وبين عُيَيْنَةَ بن بَدْرٍ الفَزارى ، وبين زَيدِ الخيلِ الطائى ، ثم أحدِ بنى نَبْهان ، وبين عَلْقَمة بن عُلاثة العامِري ، ثم أحد بنى كلاب [١] قال : فغضبتْ قُرَيش والأنصار ، وقالت : يُعطى صناديد [٢] أهل نجْدٍ ويَدَعُنا

والمروق : الخروج من شيء ، والنفوذ إلى الطرف الأقصى منه .

والرميَّة : هى الطريدة التى يرميها الرامى .

وفي الصحيحين عن أسير بن عمرو [٣] قال « سألت سهيل بن حنيف سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الخوارج ؟ فقال : سمعتــه يقول ـ وأشار بيده إلى المشرق ـ قوم يقرءون القرآن بألسنتهم لايعدو تراقيهم ، يمرقون من الدين ، كما يمرق السهم من الرمية » .

وفى لفظ آخر عنه « يتيه قوم من قبل المشرق محلقة رءوسهم » .

وفى صحيح البخارى عن ابن عمر — وذكر الحرورية — فقال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية » .

قال الامام أحمد : صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الخوارج من عشرة أوجه . وهذه هى العشرة التى ذكرناها ، وقد استوعبها مسلم فى صحيحه ؛ والله أعلم .

---

(١) الأقرع : لقب ، واسمه فراس . وهو تميمى حنظلي دارمى مجاشعى . وهو أحد المؤلفة قلوبهم .

وعيينة : هو ابن حصن بن حذيفة بن بدر . نسبة إلى جد أبيه .

والأقرع وعيينة : شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف .

وزيد الخيل ـ وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد الخير ـ وهو زيد بن مهلهل . قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد طيء سنة تسع فأسلم .

وعلقمة بن علاثة : كان من المؤلفة قلوبهم .

وعلاثة : بضم العين المهملة والثاء المثلثة المفتوحة .

(٢) الصناديد : واحدها صنديد . وهو السيد الشجاع . وكل عظيم غالب : صنديد . ونجد ـ هذه ـ هى المشهورة . وفيها خلاف كثير . والأكثر : أنها اسم للأرض التى أعلاها تهامة واليمن ، وأسفلها العراق والشام . وأولها من ناحية الحجاز : ذات عرق إلى ناحية العراق . وثم مواضع أخر ، كل منها يسمى نجدا . اهـ من هامش المنذرى

(٣) ويقال : يسير بن عمرو المحاربى أو العبدى أو الكندى ، أبو الخيار . له رؤية . مات سنة ٨٥

فقال : إنما أنا أتألفهم . قال : فأقبل رجلٌ غائرُ العينين ، مُشْرِف الوجْنَتَين ، ناتِئ الجبين ، كثُّ اللِّحية مَحلوق ، قال : اتَّق الله يا محمد ، فقال : مَنْ يُطيعُ الله إذا عصيتُه ؟ أيأمَنُنى على أهلِ الأرض ولا تأمنوني ؟ ! قال : فسأل رجلٌ قتله ، أحسِبه خالدُ بن الوليد ، قال : فمنعه ، قال : فلما وَلَّى قال : إنَّ من ضِئْضِئ هٰذا ، أو فى عَقِبِ هذا ، قَوْمٌ يقرؤن القرآن لا يُجاوز حَناجرهم ، يَمْرُقُونَ من الإسلام مُرُوقَ السَّهم من الرَّمِيَّةِ ، يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُونَ أهلَ الأوثان ، لئن أنا أدركتُهم لأقتُلنَّهم قَتْلَ عادٍ »

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

٤٥٩٧ ـ وعن قتادة ، عن أبى سعيد الخدرى وأنس بن مالك رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيكون فى أمَّتى اختلاف وفُرقة ، قومٌ يُحسِنون القِيلَ ، ويُسيئون الفعل ، يَقْرؤُن القرآن لايُجاوز تَراقيهم ، يَمْرُقون من الدِّين مُروق السَّهم من الرمِيَّة ، لايرجعون حتى يَرْتَدَّ على فُوقِهِ ، هُمْ شَرُّ الخلْق والخَليقة ، طُوبَى لمن قَتَلَهم وقتلوه ، يَدْعون إلى كتابِ الله ، وليسوا منه فى شىء ، مَنْ قاتلهم كان أوْلَى بالله منهم . قالوا : يارسول الله ، ما سيماهم ؟ قال : التَّحْليق » .

قتادة : لم يسمع من أبى سعيد الخدرى ، وسمع من أنس بن مالك .

٤٥٩٨ ـ وعن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ نحوه ، قال « سِيماهم التحليقُ والتَّسْبِيد ، فاذا رأيتموهم فأنِيموهم [1] »

---

(١) « التسبيد » هو الحلق واستئصال الشعر . وقيل : هو ترك التدهن وغسل الرأس . ويكون المراد به ههنا . ترك التدهن وغسل الرأس ، لذكر التحليق معه . والله أعلم من هامش المنذرى .

والمعنى : أنهم يبالغون فى التخشن فى ظواهرهم زعما منهم أن ذلك هو الصلاح والتقوى أنيموهم : اقتلوهم ، يقال : نامت الشاة وغيرها : إذا ماتت . والنائمة : الميتة

[قال أبو داود : التسبيد استئصال الشعر]

٤٥٩٩ ـ وعن سويد بن غَفَلَة ، قال : قال علي رضى الله عنه « إذا حَدَّثتُكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فَلأَنْ أَخِرَّ من السماء أحبُّ إلَيَّ من أنْ أكذبَ عليه ، وإذا حَدَّثتُكم فيما بينى و بينكم ، فإن الْحَرْبَ خَدْعَة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يأتى فى آخرِ الزمانِ قوم حُدَثاءِ الأسْنان ، سُفَهَاءِ الأحلام ، يقولون من خير قول البَرِيَّة ، يَمرُقون من الإسلام كما يمرق السَّهم من الرمِيَّة ، لايجاوز إيمانُهُمْ حَنَاجِرَهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فانّ قتلهم أجرٌ لمن قتلهم يوم القيامة »

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

٤٦٠٠ ـ وعن زيد بن وهب الْجُهَنى « أنه كان فى الجيش الذين ساروا إلى الخوارج ، فقال على رضى الله عنه : أيها الناس ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يَخْرُجُ قومٌ من أمتى يقرؤُن القرآن ، ليست قراءتُكم إلى

٤٦٠٠ ـ قال الشيخ : « فوحشوا برماحهم » معناه : رموا بها على بعد ، يقال للانسان ، إذا كان فى يده شىء فرمى به على بعد : قد وَحَّش به . ومنه قول الشاعر[1] :

إن أنتمُ لم تطلبوا بأخيكمُ   فضعوا السلاحَ ووحِّشوا بالأبْرَق

وقوله « شجرهم الناس برماحهم » يريد : أنهم دافعوهم بالرماح ، وكفوهم عن أنفسهم بها . يقال : شجرت الدابة بلجامها : إذا كففتها به .

وقد يكون أيضاً معناه : أنهم شبكوهم بالرماح فقتلوهم ، من الاشتجار . وهو الاختلاط والاشتباك .

---

(١) فى اللسان « وحشوا بأسلحتهم » أى رموها ، قالت أم عمر بنت وقدان إن أنتم ـ البيت والأبرق هنا : الشديد اللمعان .

قراءتهم شيئاً ، ولا صلاتُكم إلى صلاتهم شيئاً ، ولا صيامُكم إلى صيامهم شيئاً ، يقرؤُن القرآن يَحسِبون أنه لهم،وهو عليهم ، لاتُجاوِزُ صَلاتهم تَراقِيَهُمْ ، يمرقون من الإسلام كما يمرقُ السهم من الرمية ، لو يعلمُ الجيشُ الذين يُصيبونهم ما قُضِيَ على لسانِ نَبيِّهم صلى الله عليه وسلم لنَكَلُوا عن العملِ ، وآيةُ ذلك : أَنَّ فيهم رجلاً له عَضُدٌ ، وليست له ذِرَاع . على عَضُده مثلُ حَلَمة الثَّدْى ، عليه شَعَرَات بيض . أفتذهبون إلى معاوية وأهلِ الشام ، وتتركونَ هٰؤلاء يَخلُفُونكم فى ذَراريكم وأموالِكم ؟ والله إنِّى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فإنهم قد سَفَكوا الدم الحرام ، وأغاروا فى سَرْح الناسِ ، فسيروا على اسم الله ، قال سَلَمَةُ بن كُهَيْلٍ : فَنَزَّلَنى زيدُ بن وَهْبٍ منزلاً منزلاً ، حتى مَرَّ بنا على قَنْطَرةٍ ، قال : فلما التقينا ، وعلى الخوارجِ عبد الله بن وَهْب الراسِبيُّ ، فقال لهم : أَلْقُوا الرماح ، وسُلُّوا السيوف من جُفونها ، فإنى أخافُ أَن يُناشِدوكم، كما ناشدوكم يومَ حَروراء قال : فوَحَّشوا رِماحهم ، وسَلُّوا السيوفَ ، وشَجَرَهم الناسُ برماحهم ، قال : وقُتلوا بعضُهم على بعضٍ ، قال : وما أُصيب من الناس يومئذٍ إلا رجلان ، فقال على رضى الله عنه : التمسوا فيهم الْمُخْدَج ، فلم يجدوا ، قال : فقام عليٌّ رضى الله عنه بنفسه ، حتى أَتَى أناساً قد قُتل بعضُهم على بعض ، فقال : أخرِجوهم ، فوجدوه مما يَلِي الأرضَ ، فكبَّر، وقال : صَدَقَ الله ، وبَلَّغَ رسوله ، فقام إليه عَبِيْدَةُ السَّلْمانى فقال : يا أمير المؤمنين ؛ والله الذى لا إلٰه إلا هو ، لقد سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إى ، والله الذى لا إله إلا هو ، حتى استحلفَه ثلاثاً ، وهو يحلفُ »

وأخرجه مسلم

٤٦٠١ ـ وعن أبى الوَضِيِّ ـ وهو عَبَّاد بن نُسَيب العَيْشِى البصرى ـ قال : قال

على رضى الله عنه « اطلبوا المُخْدَجَ - فذكر الحديث - واستخرجوه من تحت القَتْلَى فى طِين ، قال أبو الوَضِى : فكأنِّى أنظر إليه : حَبَشِىٌّ عليه قُرَيْطِقٌ ، له إحدى يديه مثل ثَدْي المرأة ، عليها شُعيرات مثل شعيرات التى تكون على ذَنَبِ اليَرْبوع »

٤٦٠٢ - وعن أبى مريم - وهو قيس الثقفي المدائنى - وقد سمع من علي رضى الله عنه - قال « إن كان ذلك المخدَجُ لمَعنا يومئذ فى المسجد ، نُجالسه بالليل والنهار ، وكان فقيراً ، ورأيتُه مع المساكين يَشْهَدُ طعامَ على رضى الله عنه مع الناسِ ، وقد كسوتُه بُرْنُساً لى »

قال أبو مريم : وكان المخدَج يُسَمَّى نافعاً ذا الثُّدَيَّةِ ، وكان فى يده مثلُ ثَدْى المرأة ، على رأسِه حَلَمة مثلُ حَلَمة الثدى ، وعليه شُعيرات مثل سِبالة السِّنَّور .

[قال أبو داود : هو عند الناس اسمه حرقوص]

باب فى قتل اللصوص [٤ : ٣٩١]

٤٦٠٣ - عن ابراهيم بن محمد بن طلحة ، عن عبد الله بن عمرو ، رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فقَاتَلَ ، فقُتِلَ ، فهُوَ شَهِيدٌ » .

وأخرجه الترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وأخرجه البخارى فى صحيحه من حديث عكرمة مولى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، ولفظه : « مَنْ قُتِلَ دُون ماله فهو شهيد » .

وخالف البخارى فى لفظ حديث عبد الله بن عمرو غيرُ واحد من الأثبات ، وقالوا فيه : « فله الجنة » وزاد فيه « مظلوما » .

٤٦٠٤ ـ وعن سعيد بن زيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دون أهله ، أو دونَ دَمِه ، أو دون دِينه : فهو شهيد » .

وأخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجة . وقال الترمذى : حسن صحيح .

آخر كتاب السنة

٤٦٠٤ ـ قال الشيخ : قد ندب الله سبحانه فى غير آية من كتابه إلى التعرض للشهادة .

وإذا سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا شهيداً ، فقد دل ذلك على أن من دافع عن ماله أو عن أهله أو دينه ، إذا أريد على شيء منها ، فأتى القتلُ عليه : كان مأجوراً فيه ، نائلا به منازل الشهداء .

وقد كره ذلك قوم ، زعموا أن الواجب عليه أن يستسلم ، ولا يقاتل عن نفسه . وذهبوا فى ذلك إلى أحاديث رويت فى ترك القتال فى الفتن ، وفى الخروج على الأئمة .

وليس هذا من ذاك فى شيء . إنما جاء هذا فى قتال اللصوص ، وقطاع الطريق ، وأهل البغى ، والساعين فى الأرض بالفساد . ومن دخل فى معناهم من أهل العَيْث والإفساد .

أول كتاب الأدب

باب فى الحلم وأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم [٤ : ٣٩٢]

٤٦٠٥ ـ عن إسحاق ـ يعنى ابنَ عبد الله بن طَلْحة ـ قال : قال أنس رضى الله عنه « كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أَحْسَنِ الناس خُلقاً ، فأرسلنى يوماً لحاجةٍ ، فقلت : والله لا أذهبُ ـ وفى نفسى أن أذهبَ لما أمرنى به نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : فخرجتُ ، حتى أَمُرَّ على صِبيان ، وهم يلعبون فى السُّوق فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضٌ بقفَاىَ من ورائى . فنظرتُ إليه ، وهو يضحكُ ، فقال : يا أُنَيْسُ ، اذهب حيثُ أمرتُك . قلت : نعم ، أنا أذهب يا رسول الله ، قال أنس : والله لقد خَدَمْتُهُ سبعَ سنين ، أو تِسْعَ سنين ، ماعامتُ قال لشىء صنعتُ : لِمَ فعلتَ كذا وكذا ؟ ولا لشىء تركتُ : هَلَّافعلت كذا وكذا ؟ » .

٤٦٠٥ ـ قال الشيخ ابن القيم رحمه الله :

وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث أنس قال « كنت أمشى مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى ، فجبذه بردائه جبذة شديدة ؛ فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أثرت بها حاشية الرداء ، من شدة جبذته ، ثم قال: يامحمد ، مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه ؛ فضحك ، ثم أمر له بعطاء » .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

وفى الصحيحين عن أبي هريرة « أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصنى ، قال : لا تغضب ؛ فردد مراراً ، قال : لا تغضب » .

وفى الصحيحين عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الحياء لا يأتى إلا بخير » .

وأخرجه مسلم . وفيه « تسع سنين » من غير شك .

قيل : أخبر مرة عن السنين الكاملة ، ولم يحسب الزيادة من الشهور عليها فحسب تسعاً ، ولم يحسب فيها السنة التى ابتدأ خدمتَه فيها بعد قدومه صلى الله عليه وسلم ، ومرة حسبها . إذ مدةُ مُقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، من حينِ قدومه إلى حين وفاته : عشرة أعوام ، لم تزد ساعة ، إذ تُوُفِّى من النهار فى مثله من اليوم الذى قدم فيه صلى الله عليه وسلم . وبعد استقراره بها كان استخدامُه لأنسٍ ، وهو ابن عشر ، وقيل : ابن ثمان . هذا آخر كلامه .

ويؤخذ من هذا تضعيف رواية من قال « ثمان سنين » .

وأما رواية « سبع » فلم يجزم الراوى بها . والله عز وجل أعلم .

٤٦٠٦ ـ وعن ثابت ـ وهو البُنانيُّ ـ عن أنس رضى الله عنه قال « خَدَمْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سنين بالمدينة ، وأنا غلامٌ ، ليس كل أمرِى كما يَشْتَهِى صاحبى : أن أكونَ عليه ، ما قال لى أُفٍّ قَطُّ ، وما قال لى : لِمَ فعلتَ هذا ؟ أم ألَّا فعلتَ هذا ؟ » .

٤٦٠٧ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلسُ معنا فى المجلِس[1] يُحَدِّثنا ، فإذا قام قُمنا قياماً ، حتى نَراه قد دخل بعض بيوت

وفيهما عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الحياء شعبة من الايمان » .

وفى الصحيحين عن أبى سعيد قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها ، فاذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه » .

وزاد الترمذى « وإن الله يبغض الفاحش البذى » .

وفى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم ؟ قال : البر : حسن الخلق ، والاثم : ماحاك فى نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس »

---

(١) فى نسخة بهامش المنذرى وبالسنن « فى المسجد » .

أزواجه ، فحدَّثنا يوماً ، فقمنا حين قامَ ، فنظرنا إلى أعرابيٍّ قد أدركَه ، فجبذَهُ بردائه ، فحمَّرَ رقبتَهُ ، قال أبو هريرة : وكان رداءً خشناً ، فالتفتَ ، فقال الأعرابي: احْمِلْ لى على بعيرىَّ هذين ، فإنك لا تحملُ لى من مالِك ، ولا مِن مالِ أبيك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، وأستغفرُ الله ، لا ، وأستغفر الله ، لا ، وأستغفر الله . لا أحملُ لك حتَّى تُقِيدَنى من جَبْذَتِكَ التى جَبَذْتَنى . فكلُّ ذلك يقول له الأعرابى : والله لا أقيدُكها ـ فذكر الحديث[1] ـ قال : ثم دعا رجلا ،

وروى الترمذى عن أبى هريرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال : الفم والفرج » وقال : حديث حسن صحيح.

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خيركم لنسائهم » رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

وفى الترمذى أيضاً عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلساً : الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون ، قالوا يا رسول الله ، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون » قال الترمذى : جديث حسن . والثرثار : هو الكثير الكلام بتكلف ، والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه الذى يتكلم بملء فيه تفاصحاً وتفخماً وتعظيما لكلامه ، والمتفيهق : أصله من الفهق ، وهو الامتلاء ، وهو الذى يملأ فمه بالكلام ، ويتوسع فيه تكثراً وارتفاعاً وإظهاراً لفضله على غيره ، قال الترمذى : قال عبد الله بن المبارك « حسن الخلق : طلاقة الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى » .

وقال غيره « حسن الخلق قسمان ، أحدهما: مع الله عز وجل ، وهوأن يعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً ، وكل ما يأتى من الله يوجب شكراً ، فلا تزال شاكراً له ، معتذراً إليه ، سائراً إليه بين مطالعه منته ، وشهود عيب نفسك وأعمالك .

والقسم الثانى : حسن الخلق مع الناس .

---

(١) وتتمته عند النسائى « فلما سمعت قول الأعرابى أقبلنا إليه سراعاً . فالتفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : عزمت على من سمع كلامى : أن لا يبرح مقامه حتى آذن له » .

فقال له : أَحْمِل لَهُ عَلَى بَعِيرَيْهِ هذين : على بعيرٍ شعيراً ، وعلى الآخر تمراً . ثم التفت إلينا . فقال : انصرفوا على بركة الله تعالى » .

وأخرجه النسائى .

وقال الدارقطنى : تفرد به محمد بن هلال عن أبيه عن أبى هريرة ، وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن محمد بن هلال ـ الذى يروى عن أبيه عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ ؟ فقال : ثقة ، وقال مرة : ليس به بأس ، قيل : أبوه ؟ قال : لا أعرفه .

وسئل أبو حاتم الرازى عن محمد بن هلال ؟ قال : صالح ، وأبوه ليس بمشهور .

وجماعه أمران : بذل المعروف قولا وفعلا ، وكف الأذى قولا وفعلا .

وهذا إنما يقوم على أركان خمسة : العلم ، والجود ، والصبر ، وطيب العود ، وصحة الاسلام

أما العلم : فلأنه يعرف معالى الأخلاق وسفسافها ، فيمكنه أن يتصف بهذا ، ويتحلى به . ويترك هذا ويتخلى عنه .

وأما الجود : فسماحة نفسه وبذلها ، وانقيادها لذلك إذا أراده منها .

وأما الصبر : فلأنه إن لم يصبر على احتمال ذلك والقيام بأعبائها لم يتهيأ له .

وأما طيب العود : فأن يكون الله تعالى خلقه على طبيعة منقادة سهلة القياد ، وسريعة الاستجابة لداعى الخيرات .

والطبائع ثلاثة : طبيعة حجرية صلبة قاسية ، لا تلين ولاتنقاد ، وطبيعة مائية هوائية سريعة الانقياد مستجيبة لـكل داع ، كالغصن أى نسيم مَرَّ يعصفه ، وهاتان منحرفتان ، الأولى : لاتقبل ، والثانية لا تحفظ ، وطبيعة قد جمعت اللين والصلابة والصفاء ، فهى تقبل بلينهـا ، وتحفظ بصلابتها ، وتدرك حقائق الأمور بصفائها ، فهذه الطبيعة الـكاملة التى ينشأ عنها كل خلق صحيح .

وأما صحة الاسلام : فهو جماع ذلك ، والمصحح لـكل خلق حسن ، فانه بحسب قوة إيمانه وتصديقه بالجزاء . وحسن موعود الله وثوابه يسهل عليـه تحمل ذلك ، ويلذ له الاتصاف به . والله الموفق المعين .

باب فى الوقار [٤ : ٣٩٤]

٤٦٠٨ ـ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، أن نَبِيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الْهَدْىَ الصَّالِحَ ، والسَّمْتَ الصَّالِحَ ، والاقْتِصَادَ : جُزْءٌ مِن خمسة وعشرين جزءاً من النبوة » .

وفى إسناده : قابوس بن أبى ظبيان ، حُصَين بن جُنْدُب الْجَنْبى الكوفى ، ولا يحتج بحديثه .

وجَنْب : بطن من مَذْحَج ، وهو بفتح الجيم وسكون النون . وبعدها باء بواحدة .

وظبيان : بفتح الظاء المعجمة وكسرها ، وبعدها باء بواحدة ساكنة ، وياء آخر الحروف مفتوحة ، وبعد الألف نون .

٤٦٠٨ ـ قال الشيخ : هدى الرجل حاله ومذهبه ، وكذلك سمته .

وأصل « السمت » الطريق المنقاد .

و « الاقتصاد » سلوك القصد فى الأمر ، والدخول فيه برفق وعلى سبيل يمكن الدوام عليه ، كما روى أنه قال « خير الأعمال أدومها و إن قلَّ » .

يريد : أن هذه الخلال من شمائل الأنبياء صلوات الله عليهم ، ومن الخصال المعدودة من خصالهم ، وأنها جزء من أجزاء فضائلهم . فاقتدوا بهم فيها ، وتابعوهم عليها .

وليس معنى الحديث : أن النبوة تتجزأ ، ولا أن من جمع هذه الخلال كان فيه جزء من النبوة لأن النبوة ليست مكتسبة ، ولا مُجتلبة بالأسباب ، وإنما هى كرامة من الله سبحانه وخصوصية لمن أراد إكرامه بها من عباده و (٦ : ١٢٤ الله أعلم حيثُ يجعل رسالته) وقد انقطعت النبوة بموت محمد صلى الله عليه وسلم .

وفيه وجه آخر : وهو أن يكون معنى النبوة ههنا : ما جاءت به النبوة ودعت إليه الأنبياء . صلوات الله عليهم .

باب فيمن كظم غيظاً [٤ : ٣٩٤]

٤٦٠٩ ـ عن سَهْل بن مُعاذ ، عن أبيه ـ وهو معاذ بن أنس الجهنى له صحبة . كان بمصر وبالشام . وقد ذُكر فى أهلها ، رضى الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنفِذَهُ ، دَعَاهُ الله عَزَّ وجل عَلَى رُءوس الخلائق يوم القيامة ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ العين ماشاء » .

وأخرجه الترمذى وابن ماجة . وقال الترمذى : حسن غريب . هذا آخر كلامه .

وسهل بن معاذ بن أنس الجهنى : ضعيف . والذى روى عنه هذا الحديث : أبو مرحوم عبد الرحيم بن ميمون الليثى ، مولاهم المصرى ، ولا يحتج بحديثه .

٤٦١٠ ـ وعن رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، عن أبيه ، قال : قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نحوه ، قال « ملأه الله أمناً وإيمانًا » لم يذكر قصة «دعاه الله» زاد : «ومن ترك لُبْسَ ثوبِ جمالٍ ، وهو يقدر عليه ـ قال بشر ، وهو ابن منصور : أحسبه قال : تواضعاً ـ كساه الله حُلَّة الكرامة ، ومن زَوَّجَ لله تعالى تَوَّجَه الله تاجَ الملك » .

فيه رواية مجهول .

يريد : أن هذه الخلال جزء من خمسة وعشرين جزءاً مما جاءت به النبوات ، ودعا إليه الأنبياء صلوات الله عليهم .

وقد أُمرنا باتباعهم فى قوله عز وجل (٦ : ٩٠ فبهداهم اقْتَدِهْ) .

وقد يحتمل وجهاً آخر :

وهو أن من اجتمعت له هذه الخلال لقيه الناس بالتعظيم والتوقير ، وألبسه الله لباس التقوى الذى يُلبسه أنبياءه . فكأنها جزء من النبوة . والله أعلم .

٤٦١١ ــ وعن عبد الله ــ وهو ابن مسعود رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فيكم ؟ قالوا : الذى لا يَصْرَعُهُ الرجال . قال : لَا ، ولٰكِنَّه الذى يملك نفسه عند الغضَبِ » .

وأخرجه مسلم أتم منه .

٤٦١٢ ــ وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن معاذ بن جَبَل رضى الله عنه ، قال : « اسْتَبَّ رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فغضِبَ أحدُهما غضباً شديداً ، حتى خُيِّلَ إلىَّ أن أنفَهُ يتَمَزَّعُ[1] من شِدَّة غَضَبه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنِّي لَأَعْلَمُ كلمةً لو قالها لذَهَب عنه مايَجِدُ من الغضب . فقال :ماهى يارسول الله؟ قال : يقول : اللَّهُمَّ إنى أعوذُ بك من الشيطان الرجيم ، قال : فجعل معاذ يأمره ، فأبى ومَحَكَ[2] وجعل يزداد غضبا » .

٤٦١١ ــ قال الشيخ : « الصرعة » مفتوحة الراء : هو الذى يصرع الرجال ويغلبهم فى الصراع . ومثله رجل خُدَعة : إذا كان خَدَّاعاً للناس ، ولُعَبة : إذا كان كثير اللعب .

فأما اللعبة ساكنة العين : فهو اسم الشيء الذى يُلعب به ، واللِّعبة مكسورة اللام : الحال والهيئة فى اللعب ، كالجِلسة ، والقِعدة ، والرِّكبة ، ونحوها .

٤٦١٢ ــ قال الشيخ : قوله « يتمزع » أى يتشقق ويتقطع .

والمِزعة : القطعة من الشئ .

---

(١) يتمزع ــ بالزاى معناه : يتشقق ويتقطع غضبا . والمزعة : القطعة من الشيء . وذكر أبوعبيد : أن الصواب «يترمع» براء مهملة بعد التاء . وهو الذى تراه كأنه يرعد من الغضب . اهـ من هامش المنذرى .

(٢) المحك : اللجاج . وقد محك ــ بكسر الحاء ــ وقد محك يمحك ، وأمحكه غيره . وهو رجل مماحك . والمماحَكة : الملاجَّة .

وفيه أن الغضب فى غير ذات الله : من نزغ الشيطان . ومما يحمل عليه ، مع موافقة هوى النفس وطبعها المركب فيها . وأن من استعاذ من الشيطان كفيه ، وسكن غضبه . من هامش المنذري .

وأخرجه الترمذى والنسائى . وقال الترمذى : هـذا حديث مرسل . عبد الرحمن بن أبى ليلى : لم يسمع من معاذ بن جبل . مات معاذ فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقتل عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبى ليلى غلامٌ ابن ست سنين .

وما قاله الترمذى : ظاهر جدا . فان البخارى ذكَر مايدل على أن مولد عبد الرحمن بن أبى ليلى سنة سبع عشرة ، وذكر غير واحد : أن معاذ بن جبل تُوفِّى فى الطاعون ، سنة ثمان عشرة . وقيل : سنة سبع عشرة .

وقد أخرج النسائى هذا الحديث من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بن كعب . وهذا متصل .

٤٦١٣ ـ وعن سليمان بن صُرَدٍ رضى الله عنه ، قال « اسْتَبَّ رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل أحدُهما تَحْمَرُّ عيناه ، وتَنْتَفِخُ أوْدَاجُه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعرِفُ كلمةً لو قالها هذا لذهب عنه الذى يَجِدُ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . فقال الرجل : هل تُرى بى من جُنون ؟ »

وأخرجه مسلم والنسائى .

٤٦١٤ ـ وعن أبى حَرْب بن أبى الأسود ، عن أبى ذَرّ رضى الله عنه ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا « إذَا غَضِبَ أحدُكم ، وهو قائمٌ ، فليجْلِسْ ، فإن ذهبَ عنه الغضب وإلا فليَضْطَجِع »

٤٦١٤ ـ قال الشيخ : القائم متهيئ للحركة والبطش ، والقاعد دونه فى هـذا المعنى . والمضطجع ممنوع منهما .

فيشبه أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم إنما أمره بالقعود والاضطجاع لئلا تَبْدُر منه فى حال قيامه وقعوده بادرة يندم عليها فيما بعد . والله أعلم .

٤٦١٥ ـ وعن داود ـ وهو ابن أبى هند ـ عن بكر «أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث أبا ذر ـ بهذا الحديث »

قال أبو داود : هذا أصحّ الحديثين .

يريد : أن المرسل أصحّ .

وقال غيره : إنما يروى أبو حرب عن أبى الأسود عن عمه عن أبى ذر رضى الله عنه . ولا يُحفظ له سماع من أبى ذر رضى الله عنه .

٤٦١٦ ـ وعن أبى وائل القاصّ ، قال « دخلنا على عُروة بن محمدٍ بن السَّعْدِى فكلَّمه رجلٌ ، فأغضَبَه ، فقام فتوضأ ، فقال : حدثنى أبى ، عن جَدِّى عطية [(١)] ، قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الغضبَ من الشيطانِ ، وإن الشيطان خُلق من النارِ ، وإنما تُطْفَأ النارُ بالماء ، فإذا غضبَ أحدُكم فليتوضأ »

باب التجاوز فى الأمر [٤ : ٣٩٦]

٤٦١٧ ـ عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « ما خُيِّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أمرين إلا اختارَ أيْسَرهما ، ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا : كان أبعدَ الناسِ منه ، وما انتقمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ، إلا أن تُنْتَهك حُرْمةُ الله تعالى ، فينتقمَ لله بها »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

٤٦١٨ ـ وعنها رضي الله عنها ، قالت « ماضربَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خادمًا ، ولا امرأةً قطُّ »

---

(١) عطية ــ هذا ــ هو ابن سعد . ويقال : ابن قيس . ويقال : ابن عروة . ويقال : ابن عمرو بن عروة ، سعدى من بني سعد بن بكر بن هوازن . نزل بالشام ، وكان ولده بالبلقاء وله صحبة ، وكنيته : أبو محمد .

وأخرجه مسلم والنسائى .

٤٦١٩ ـ وعن عبد الله ـ يعنى ابنَ الزبير ـ رضى الله عنهما فى قوله تعالى (٧ : ١٩٩ خُذِ العفوَ) قال «أُمِرَ نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذَ العفوَ من أخلاقِ الناس»

وأخرجه البخارى والنسائى[1] .

باب فى حسن العشرة [٤ : ٣٩٧]

٤٦٢٠ ـ عن عائشة رضى الله عنها ، قالت « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغَه عن الرجلِ الشيء لم يَقُلْ : ما بالُ فلان؟ ولكن يقول :ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ؟ »

وأخرجه النسائى بمعناه .

٤٦٢١ ـ وعن سَلْمٍ العَلَوى ، عن أنس رضى الله عنهما « أن رجلا دخلَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه أَثَرُ صُفْرَةٍ ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَلَّمَا يُواجِهُ رجلاً فى وجْهِهِ بشىءٍ يكرهه ، فلما خرج قال : لو أمرتُمْ هذا أن يغسلَ ذَاعَنْهُ »

وأخرجه الترمذى والنسائى .

وقال أبو داود : سَلْم ليس هو علويا ، كان ينظر فى النجوم ، وشهدَ عند عَدِىٍّ بن أرطاة على رُؤْية الهلال فلم يُجِزْ شهادتَه . هذا آخر كلامه .

وسلم ـ هذا ـ هو ابن قيس . بصرى لايحتج بحديثه .

٤٦٢٢ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ . والْفَاجِرُ خَبٌّ لَئيم »

٤٦٢٢ ـ قال الشيخ : معنى هذا الكلام : أن المؤمن المحمود هو من كان طبعه وشيمته

---

(١) بهامش المنذرى : حديث ابن الزبير فى البخارى .

وأخرجه الترمذى ، وقال : غريب ، لانعرفه إلا من هذا الوجه ، هذا آخر كلامه .

وفى إسناده : بشر بن رافع الحارثى اليمامى ، ولا يحتج بحديثه .

٤٦٢٣ ـ وعن عروة ، وهو ابن الزبير رضي الله عنهما ، عن عائشة رضى الله عنها قالت « استأذنَ على النبى صلى الله عليه وسلم رجلٌ ، فقال : بِئْسَ ابنُ العشيرة ـ أو بئس رجلُ العشيرة ـ ثم قال : ائذَنوا له . فلما دخلَ ألانَ له القولَ ، فقالت عائشة : يارسول الله ، أَلَنْتَ له القول ، وقد قلتَ ما قلتَ ؟ قال : إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَنْ وَدعَهُ الناس ـ أو تركه ـ النَّاسُ ـ اتقَّاءَ فُحْشِهِ » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

وهذا الرجل : هو عُيينة بن حِصْن بن حذيفة بن بَدْر الفزارى .

وقيل : هو مَخْرَمة بن نوفل الزُّهرى والد المِسْوَر بن مَخرمة .

٤٦٢٤ ـ وعن أبى سلمة ـ وهو ابن عبد الرحمن بن عوف ـ عن عائشة رضى الله عنها « أن رجلا استأذنَ على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : بئسَ أخو العشيرة . فلما دخَل انبَسَطَ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

الغرارة ، وقلة الفِطنة للشر ، وترك البحث عنه ، وأن ذلك ليس منه جهلاً ، لكنه كرم وحسن خلق ، وأن الفاجر مَنْ كانت عادته الخبُّ والدهاء ، والوغول فى معرفة الشر . وليس ذلك منه عقلاً ، لكنه خَبٌّ ولؤم .

٤٦٢٤ ـ قال الشيخ : أصل الفحش : زيادة الشيء على مقداره .

ومن هذا قول الفقهاء : « يصلى فى الثوب الذى أصابه الدم إذا لم يكن فاحشاً » أى كثيراً مجاوزاً للقدر الذى يتعافاه الناس فيما بينهم .

وكلَّمه ، فلما خرجَ قلت : يارسولَ الله ، لمَّا استأذن قلتَ : بئس أخو العشيرة . فلما دخل انبسطتَ إليه ؟ فقال : يا عائشة ، إن الله لا يُحِبُّ الفاحش المتفحِّش »

٤٦٢٥ ـ وعن مجاهد ، عن عائشة ـ فى هذه القصة ـ قالت : فقال ـ تعنى النبي صلى الله عليه وسلم ـ «ياعائشةُ ، إنَّ شِرارَ الناس الذين يُكْرَمُون اتقاءَ ألسنتهم »

ذكر يحيي بن سعيد القطان : أن مجاهداً لم يسمع من عائشة .

وقد أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما حديث مجاهد عن عائشة .

٤٦٢٦ ـ وعن أنس رضى الله عنه ، قال « ما رأيتُ رجلاً الْتقَمَ أُذُنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيُنَحِّى رأسَه : حتى يكونَ الرجلُ هو الذى يُنَحِّى رأسَه ، وما رأيتُ رجلاً أخذ بيده ، فترك يده ، حتى يكونَ الرجلُ هو الذى يَدَعُ يدَه »

فى إسناده : مبارك . وهو ابن فَضالة . أبو فَضالة القرشى العدوى ، مولاهم ، البصرى . قال عفان بن مسلم : ثقة . وضعفه الامام أحمد بن حنبل ويحيي بن معين والنسائى وغيرهم .

باب فى الحياء [٤ : ٣٩٩]

٤٦٢٧ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ على رجلٍ من الأنصار ، وهو يَعِظُ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دَعْهُ . فإنَّ الْحَيَاءَ من الإيمان »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة .

يقول صلى الله عليه وسلم : إن استقبال المرء صاحبه بعيوبه إفحاش . والله لا يحب الفحش ، ولكن الواجب أن يتأنَّى له ، ويرفُق به ، ويَكْنِى فى القول ، ويُوَرِّى ، ولا يصرح .

وفيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكره بالعيب الذى عرفه به قبل أن يدخل .

٤٦٢٨ — وعن أبى قتادة — وهو تميم بن نُذير العدوى البصرى . وقيل فى إسمه غير ذلك ، والأول أشهر . ونُذير : بضم النون وفتح الذال المعجمة . وسكون الياء آخر الحروف ، وراء مهملة ، رضى الله عنه — قال « كنا مع عِمْران بن حُصين ، وثَمَّ بُشَيْرُ بن كَعْب ، فحدث عمرانُ بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحياء خيرٌ كُلُّه — أو قال : الحياء كُلُّه خير . فقال بُشير بن كعب : إنا نجدُ فى بعض الكتبِ : أن منه سَكينة ووقاراً ، ومنه ضَعْفاً ، فأعاد عمران الحديثَ ، فأعاد بُشير الكلامَ ، قال :فغضبَ عمرانُ ، حتى احْمَرَّت عيناه ، وقال: ألا أرانى أُحَدِّثُك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتُحَدِّثني عن كُتبك ؟ قال قلنا : يا أبا نُجَيد ، إنه وإنه [١] »

وأخرجه مسلم بمعناه .

٤٦٢٩ — وعن أبى مسعود — وهو عقبة بن عمرو البدرى رضى الله عنه ، قال :

وهذا من النبى صلى الله عليه وسلم لا يجري مجرى الغِيبة ، وإنما فيه تعريف الناس أمره ، وزجرهم عن مثل مذهبه ، ولعله قد تجاهر بسوء فعاله ومذهبه . ولا غيبة لمجاهر . والله أعلم .

٤٦٢٩ : — قال الشيخ : معنى قوله « النبوة الأولى » أن الحيــاء لم يزل أمره ثابتاً واستعماله

---

(١) « إنه إنه » كذا فى أصل المنذرى . وفى نسخة عون المعبود « إيه إيه » وقال فى القاموس «إيه إيه» بكسر الهمزة واسكان الهاء : زجر بمعنى حسبك ، وإيه مبنية على الكسر فاذا وصلت نونت . وأيها بالفتح والنصب : أمر بالسكوت ، والمعنى — والله أعلم — يا أبا نجيد حسبك ماصدرمنك من الغضب والانكار على بشير . فانه منا ولابأس به ، فاسكت ، ولاتزدد غضبا ، ومعنى « إنه إنه » أى إنه صادق ، وإنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذا وكذا .

وفى رواية مسلم : يا أبا نجيد « إنه لا بأس به »

وقال النووى : يعنى ليس هو ممن يتهم بنفاق ولا زندقة أو بدعة أو غيرها مما يخالف به أهل الاستقامة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ »

وأخرجه البخارى وابن ماجة .

باب فى حسن الخلق [٤ : ٤٠٠]

٤٦٣٠ ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن المؤمن لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقه دَرَجَة الصائم القائم » .

٤٦٣١ ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال « ما مِنْ شيءٍ فى الميزان أثقلُ من حُسْنِ الخلق »

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن صحيح .

٤٦٣٢ ـ وعن أبى أمامة ـ وهو صُدَىُّ بن عجلان رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا زعيمٌ ببَيْتٍ فى رَبَض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان مُحِقًّا

واجباً منذ زمان النبوة الأولى . وأنه ما من نبى إلا وقد نَدَب إلى الحياء ، وحث عليه ، وأنه لم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم ، ولم يبدَّل فيما بدل منها .

وذلك أنه أمر قد علم صوابه وبانَ فضلُه ، واتفقت العقول على حسنه . وما كان هـذا صفته : لم يجز عليه النسخ والتبديل .

وقوله « فافعل ماشئت » فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يكون معناه الخبر ، وإن كان لفظه لفظ الأمر . كأنه يقول : إذا لم يمنعك الحياء فعلت ماشئت ، أى ما تدعوك إليه نفسك من القبيح ، وإلى نحو من هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلّام رحمة الله عليه .

وقال أبو العباس أحمد بن يحيي : معناه الوعيد . كقوله تعالى (اعملوا ماشئتم)

وقال أبو إسحاق المروزى : فقيه الشافعية : معناه أن ينظر فإذا كان الشيء الذى يريد أن يفعله مما لا يستحي منه فافعله ، يريد أن مايستحى منه فلا يفعله .

٤٦٣٢ ـ قال الشيخ : « الزعيم » الضامن والكفيل ، والزعامة : الكفالة ، ومنه قول الله

وببيت فى وَسَط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحا ، وببيت فى أعلَى الجنة لمن حَسَّن خُلقَه »

٤٦٣٣ ـ وعن حارثة بن وَهْب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاَ يَدْخُلُ الجنةَ الْجَوَّاظُ ، وَلاَ الْجَعْظَرِيُّ »

قال : الجواظ الغليظ الفظ .

وأخرجه البخارى ومسلم بنحوه أتم منه . وليس فى حديثهما «الْجَعْظَرِي» وقد قيل « الجوَّاظ » الكثير اللحم المختال فى مشيه . وقيل : الجَموع المنوع . وقيل : القصير البَطِنُ . وقيل : الجافى القلب . وقيل : الفاجر . وقيل : الأكول

والجعظرى : الفَظُّ الغليظ المتكبر . وقيل : هو الذى لا يُصَدَّع رأسه . وقيل : هو الذى يتمدَّح وينتفخ بما ليس عنده . وفيه قِصَرٌ .

باب فى كراهية الرفعة فى الأمور [٤ : ٤٠١]

٤٦٣٤ ـ عن ثابت ـ وهو البُنانى ـ عن أنس ، رضى الله عنهما قال « كانت العَضْباء لاَ تُسْبَقُ ، فجاء أعرابىٌّ على قَعُودٍ له ، فسابقها . فسبقها الأعرابى ،

سبحانه (١٢ : ٧٢ وأنا به زعيم) والبيت ههُنا القصر .

أخبرنى أبو عمر أخبرنا أبو العباس عن ابن الأعرابى ، قال « البيت القصر » يقال : هذا بيت فلان ، أى قصره .

٤٦٣٣ ـ قال الشيخ « الجعظرى » فسره أبو زيد ، فقال : هو الذى يتنفَّجُ بما ليس عنده وهو إلى القصر ماهو .

قال الأصمعى : وهو الجِعظار أيضاً .

قال أبو زيد : والجواظ الكثير اللحم المختال فى مشيه .

قلت : وهو معنى ماجاء من تفسيره فى الحديث ، أو قريب منه .

فكأنَّ ذلك شَقَّ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : حَقٌّ على الله عز وجل : أنْ لا يُرْفَعَ شيءٌ إلاّ وضَعَهُ »

وَأخرجه البخارى تعليقا .

« العضباء » هو علم لها ، منقول من قولهم : ناقة عضباء ، أى مشقوقة الأذن ولم تكن مشقوقةَ الأذن .

وقال بعضهم : كانت مشقوقة الأذن. والأول أكثر .

وقال الزمخشرى : وهو منقول من قولهم : ناقة عضباء . وهى القصيرة اليد .

وقال الحربى : الجَدْع ، والعَضْب ، والخَرْم ، والقَصْو ، والخضْرمة : كله فى الأذن .

فقيل فى الحديث : كان اسمها ، وإن كانت عضباء الأذن . فقد جعل اسما لها فهى معضوبة الأذن ، وتسمى العضباء مرة ، والقصواء ، والجدعاء ، والخرماء ، والمخضرمة . وهى ناقة واحدة . لأنه وقف عليها فى حجة الوداع . وهي الموصوفة بهذه الصفات . وكذلك بالحديبية ، خلاف القصواء .

وقال بعض الناس : إنها نوق بعدد هذه الصفات . والأحاديث ترد قوله ، إذ لم يقف إلا مرة واحدة .

وقيل : سميت قصواء ، أى عندها أقصَى السير ، وغايةُ الجري .

القعود — من الإبل — ما يقتعده الإنسان للركوب والحمل .

وقال الأزهرى : لا يكون القعود إلا الذكر ، ولا يقال للأنثى قعودة .

وقال غيره : القعود والقعودة — من الإبل — ما يقتعدها الراعى ويركبها ويحمل عليهما .

وقال الجوهرى : القعود من الإبل : هو البَكْر ، حين يركب ، ويمكِّن

ظهره من الركوب . وأدنى ذلك : أن يأتى عليه سنتان إلى أن يُثنى . فاذا أثنى سمى جملا ، يعنى : فيدخل فى السنة السادسة . قال : ولا تكون البكرة قعودا . وإنما تكون قلوصا .

٤٦٣٥ ـ وعن حُميد ـ وهو الطويل ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه ـ بهذه القصة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قال «إنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أنْ لاَ يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إلاّ وَضَعَهُ »

وأخرجه البخارى والنسائى .

[قال بعضهم : فيه بيان مكان الدنيا عند الله من الهوان والضَّعة . ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم « إن حقا على الله أن لا يُرفع شىء من الدنيا إلا وضعه » فنبَّه بذلك أمته صلى الله عليه وسلم على ترك المباهاة والفخر بمتاع الدنيا ، وأن ما كان عند الله فى منزلة الضعف ، فحق على كل ذى دين وعقل الزهد فيه وترك الترفع والغبطة بنَيْله . لأن المتاع به قليل ، والحساب عليه طويل] .

باب فى كراهية التمادح [٤ : ٤٠١]

٤٦٣٦ ـ عن همام ـ وهو ابن الحرث ـ قال «جاء رجل ، فأثْنَى على عثمان فى وجهه فأخذ المقدادُ بنُ الأسود تُرابًا ، فحَثَا فى وجهه ، وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحثُوا فِى وُجوههم التُّرابَ »

٤٦٣٦ ـ قال الشيخ : « المداحون » هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة ، وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح و يفتنونه .

فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن والأمر المحمود يكون منه ترغيباً له فى أمثاله ، وتحريضاً للناس على الاقتداء به فى أشباهه ، فليس بمداح ، و إن كان قد صار مادحاً بما تكلم به من جميل القول فيه .

وأخرجه مسلم والترمذى وابن ماجة .

٤٦٣٧ ـ وعن عبد الرحمن بن أبى بَـكْرة ، عن أبيه رضى الله عنهما « أن رجلا أثنَى على رجلٍ عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : قَطَعْتَ عُنُقَ صاحبِكَ ـ ثلاث مرات ـ ثم قال : إذَا مَدَحَ أَحَدُكُمْ صاحِبَهُ ، لاَ مَحَالَةَ ، فَلْيَقُلْ : إنِّى أحسِبُه ، كما تُرِيد أنْ تقول ، ولا أزَكِّيه على الله »

وأخرجه البخارى ومسلم وابن ماجة .

٤٦٣٨ ـ وعن مُطَرِّف ـ وهو ابن عبد الله بن الشِّخِّير ـ قال : قال أبى « انطلقتُ فى وَفد بنى عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أنت سيدنا ، فقال :

وقد استعمل المقداد الحديث على ظاهره ، وحمله على وجهه فى تناول عين التراب بيده ، وحَثْيه فى وجه المادح .

وقد يتأوَّل أيضاً على وجه آخر ، وهو أن يكون معناه : الخيبة والحرمان ، أى من تعرض لـكم بالثناء والمدح فلا تعطوه ، واحْرموه . كَنَى بالتراب عن الحرمان كقولهم « ماله غير التراب » و « مافى يده غير التيْرب » وكقوله صلى الله عليه وسلم « إذا جاءك يطلب ثمن الـكلب فاملأ كفه تراباً » وكقوله « وللعاهر الحجر » ومثله كثير فى الـكلام .

٤٦٣٨ ـ قال الشيخ : قوله « السيد الله » ويريد : أن السؤدد حقيقة لله عز وجل . وأن الخلق كلهم عبيد له .

وإنما منعهم ـ فيما نرى ـ أن يدعوه سيداً ، مع قوله « أنا سيد ولد آدم » وقوله لبنى قريظة [1] « قوموا إلى سيدكم » يريد سعد بن معاذ ـ من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بالإسلام ، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة ، كهى بأسباب الدنيا ، وكان لهم رؤساء يعظمونهم ، وينقادون لأمرهم ، ويسمونهم السادات ، فعلمهم الثناء عليه وأرشدهم إلى الأدب فى ذلك ، فقال « قولوا بقولـكم » يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتـكم

---

(١) هكذا فى النسختين الأحمدية والطرطوشية والصواب لبنى الخزرج قبيلة سعد اهـ م

السيد : الله تبارك وتعالى . قلنا : وأفضلُنا فضلاً ، وأعظمنا طَوْلاً ، فقال : قولوا بقولكم ، أو بعضِ قولكم ، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ »

وأخرجه النسائي .

الشخير : بكسر الشين المعجمة ، وبعدها خاء معجمة مشددة مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة ، وراء مهملة.

باب فى الرفق [٤ : ٤٠٢]

٤٦٣٩ ـ عن عبد الله بن مُغَفَّل رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنَّ الله رَفيق : يُحبُّ الرِّفق ، ويُعطِى عليه مالا يُعْطِي على العُنْفِ »

وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث عَمْرة عن عائشة .

ومغفل : بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء وفتحها ولام .

٤٦٤٠ ـ وعن المقدام بن شُريح ، عن أبيه ، قال « سألتُ عائشة عن البَداوة ؟ فقالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَبْدُو إلى هذه التِّلاع ، وإنه أراد

وادعونى نبياً ورسولاً ، كما سمانى الله عز وجل فى كتابه فقال (ياأيها النبى) (ياأيها الرسول) ولا تسمونى سيداً ، كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم . ولا تجعلونى مثلهم ، فإنى لست كأحدهم إذ كانوا يَسُودونكم بأسباب الدنيا ، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة فسمونى نبياً ورسولاً .

وقوله « بعض قولكم » فيه حذف واختصار ، ومعناه : دعوا بعض قولكم واتركوه . يريد بذلك الاقتصار فى المقال ، قال الشاعر :

فبعضَ القول عاذلتى ، فإنى سيكفينى التجارب وانتسابى

وقوله « لا يستجرينكم الشيطان » معناه : لا يتخذنكم جَريًّا .

والجرى : الوكيل . ويقال : الأجير أيضاً .

٤٦٤٠ ـ قال الشيخ : « البداوة » الخروج إلى البادية والمقام بها .

البداوة مَرَّةً ، فأرسلَ إليَّ ناقة مُحَرَّمَة من إبل الصدَقة ، فقال لى : ياعائشة ، ارْفُقِي ، فإن الرفق لم يكنْ قَطّ فى شيء إلا زَانَهُ ، ولا نُزِع من شيء قَطُّ إلا شانَهُ »

٤٦٤١ ـ وفى رواية « محرَّمة : يعنى لم تركب »

وأخرجه مسلم . وقد تقدم فى كتاب الجهاد .

وشريح : بضم الشين المعجمةوآخره حاء مهملة . والمقدام : آخرُه : ميم .

٤٦٤٢ ـ وعن جرير ـ وهو ابن عبد الله البَجَلى رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ : يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ »

٤٦٤٣ ـ وعن مُصْعَب بن سعد ـ وهو ابن أبى وقاص ـ عن أبيه رضى الله عنه قال الأعمش : ولا أعلمه إلا عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قال « التُّؤَدَةُ فى كلِّ شيء ، إلاَّ فى عملِ الآخرة » .

لم يذكر الأعمش فيه من حدثه . ولم يجزم برفعه . وذكر محمد بن طاهر الحافظ : هذا الحديث بهذا الإسناد ، وقال : فى روايته : انقطاع ، وشَكٌّ .

باب فى شكر المعروف [٤ : ٤٠٣]

٤٦٤٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال « لاَ يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لاَ يشكرُ الناسَ »

وفيها لغتان : فتح الباء وكسرها .

و « التلاع » مجارى الماء من فوق إلى أسفل . واحدتها تَلْعة .

و « المحرمة » هى التى قد امتنعت عن ركوبها ، لم تذلل ولم تُرَضْ ، ومن هذا قولهم أعرابى محرم ، إذا كان أول مايدخل المصر لم يخالط الناس ، ولم يجالسهم .

٤٦٤٤ : ـ قال الشيخ : هذا الكلام يتأول على وجهين .

وأخرجه الترمذى، وقال : صحيح .

٤٦٤٥ ـ وعن أنس رضى الله عنه « أن المهاجرين قالوا : يارسول الله ، ذهبتِ الأنصارُ بالأجر كُلِّه ، قال : لا ، مَا دَعَوْتُمُ اللهَ لهُمْ ، وأثْنَيتُمْ عليهم »

وأخرجه النسائى .

٤٦٤٦ ـ وعن عُمارة بن غَزِيَّة ، قال : حدثنى رجل من قومى ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ أُعْطِىَ عَطاءً فوَجَدَ ، فليَجْزِ بِهِ ، فَإنْ لمْ يجِدْ ، فلْيُثْنِ به . فمَنْ أَثْنَى بِهِ فقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ فقَدْ كَفرَهُ »

قال أبو داود : رواه يحيي بن أيوب عن عُمارة بن غَزِيَّة عن شُرحْبيل عن جابر رضى الله عنه .

قال أبو داود : وهو شرحبيل ـ يعنى رجلا من قومى ـ كأنهم كرهوه ، فلم يسموه . هذا آخر كلامه .

وهو شرحبيل بن سعد الأنصارى الَخطْمى ، مولاهم ، المدنى . كنيته : أبو سعد . وقد ضعفه غير واحد من الأئمة .

وغزية : بفتح الغين المعجمة ، وكسر الزاى ، وتشديد الياء آخر الحروف وفتحها ، وتاء تأنيث .

أحدها : أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس ، وترك الشكر لمعروفهم ، كان من عادته كفران نعمة الله ، وترك الشكر له سبحانه .

والوجه الآخر : أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ، ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر .

٤٦٤٧ ـ وعن أبي سفيان ـ وهو طلحة بن نافع ـ عن جابر ـ وهو ابن عبد الله رضي الله عنهم ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « مَنْ أُبْلِيَ بَلاَءً فَذَكَرَه ، فَقَدْ شَكَرَهُ ، ومن كَتَمَهُ فقَدْ كَفَرَهُ [(١)] »

باب في الجلوس بالطرقات [٤ : ٤٠٤]

٤٦٤٨ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بالطرُقات . قالوا : يارسول الله ، مالنا بُدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنْ أَبَيْتُمْ ، فأعطوا الطريقَ حقه ، قالوا : وما حقُّ الطريق يا رسول الله ؟ قال : غضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الأذى ، وَرَدُّ السَّلامِ ، والْأَمْرُ بالمعرُوفِ ، والنهي عن المنكر »

وأخرجه البخاري ومسلم .

٤٦٤٩ ـ وعن سعيد المقبُري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ في هذه القصة ـ قال « وإرشادُ السبيل »

٤٦٤٧ ـ قال الشيخ :« الإبلاء » الأنعام . ويقال : أبليت الرجل ، وأبليت عنده بلاء حسنًا . قال زهير :

فأبلاهما خير البلاء الذى يبلوا

---

(١) قوله « من أبلى بلاء » أي من أنعم عليه نعمة . والبلاء : في الخير والشر . لأن أصله الاختبار ، وأكثر ما يستعمل في الخير مقيداً . قال الله سبحانه وتعالى (٧ : ١٨ وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً) وأما في الشر : فقد يطلق . قال صاحب الأفعال : بلاه الله بالخير والشر وقال ابن قتيبة : أبلاه الله بلاء حسناً . وبلاه يبلوه : أصابه بشر .

وقال أبو الهيثم : البلاء يكون حسناً ، ويكون سيئاً . وأصله : المحنة ، والله يبلي عبده بالجميل ليمتحن شكره ، ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره . فقيل للحسن بلاء ، وللسيء بلاء . من هامش المنذري .

٤٦٥٠ ـ وعن ابن حُجَيْر [١] العَدَوى : قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه القصة ـ قال « وَيُغِيثُوا المَلْهُوفَ ، وَيَهْدُوا الضالَّ »

ابن حُجير العدوى : مجهول . وقال البزار : وهذا الحديث لا يعلم أسنده إلا جرير بن حازم عن إسحاق بن سُويد ، ولا رواه عن جرير مسنداً إلا ابن المبارك . وروى هذا الحديث حماد بن زيد عن إسحاق بن سويد مرسلا .

٤٦٥١ ـ وعن حميد ـ وهو الطويل ـ عن أنس رضى الله عنه قال « جاءت امرأة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إن لى إليكَ حاجةً ، فقال لها : يا أمَّ فلان ، أجلسى فى أىِّ نواحى السِّكك شئتِ ، حتى أجلسَ إليك ،قال: فجلست ، فجلس النبىُّ صلى الله عليه وسلم إليها ، حتى قضَتْ حاجتَها »

وأخرجه الترمذى .

٤٦٥٢ ـ وعن ثابت ، عن أنس « أن امرأة كان فى عَقْلها شىء ـ بمعناه »

وأخرجه مسلم .

٤٦٥٣ ـ وعن عبد الرحمن بن أبى عَمْرَة الأنصارى ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خَيْرُ المَجَالِسِ أَوْسَعُهَا »

قال أبو داود : هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبى عمرة الأنصارى .

باب فى الجلوس بين الظل والشمس [٤ : ٤٠٥]

٤٦٥٤ ـ عن محمد بن المنكَدِر ، قال : حدثنى من سمع أبا هريرة رضى الله عنه ، يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فى الشَّمْسِ ـ وقال

---

(١) ويقال فيه : ابن حجيرة : وهو بضم الحاء المهملة وفتح الجيم وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها راء مهملة مفتوحة وتاء تأنيث .

مخلد ، وهو ابن خالد ـ فى الفَىْءِ : فَقَلَصَ[1] عَنْهُ الظِّلُّ : وَصَارَ بَعْضُهُ فى الشَّمسِ وَبَعْضُهُ فِى الظِّلِّ ، فَلْيَقُمْ »

فيه : رواية مجهول .

٤٦٥٥ ـ وعن قيس ـ وهو ابن أبى حازم ـ عن أبيه ـ وهو عبد عوف بن الحرث . وقيل : عوف بن الحرث البجلى ـ رضى الله عنهما « أنه جاء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبُ ، فقامَ فى الشمس ، فأمر به ، فحُوِّل إلى الظِّلِّ »

وفى اسم والد قيس بن أبى حازم خلاف مشهور .

باب فى التحلق [٤ : ٤٠٥]

٤٦٥٦ ـ عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه ، قال « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجدَ ، وهم حِلَقٌ . فقال : مَالِى أَرا كُمْ عِزِينَ »

وأخرجه مسلم بمعناه أتم منه .

٤٦٥٧ ـ وفي رواية لأبى داود بهذا ، قال « كأنه يُحِبُّ الجماعة » .

٤٦٥٨ ـ وعنه رضى الله عنه ، قال « كُنَّا إذا أتينا النبيَّ صلى الله عليه وسلم جَلَسَ أحدُنا حيثُ يَنتهى »

وأخرجه الترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن غريب . هذا آخر كلامه وفي إسناده : شريك بن عبد الله القاضى ، وفيه مقال .

٤٦٥٦ ـ قال الشيخ : قوله « عزين » يريد فِرَقًا مختلفين ، لا يجمعكم مجلس واحد . وواحد العزين : عِزَة . يقال : عزة وعزون . كما قالوا : ثبة وثبون ، ويقال أيضاً : ثبات ، وهى الجماعات المتميزة بعضها عن بعض .

---

(١) يقال : قلص الشىء تقلص قلوصاً : ارتفع . ويقال : قلص الظل وقلص الماء : إذا ارتفع فى البئر . من هامش المنذرى .

٤٦٥٩ ـ وعن حذيفة ـ وهو ابن اليمَان رضى الله عنه ـ « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَعَنَ من جلس وَسْطَ الحَلْقة »

وأخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح .

٤٦٦٠ ـ وعن أبى عبد الله ، مولًى لآل أبى بُرْدة ، عن سعيد بن أبى الحسن ، قال « جاءنا أبو بَكْرة فى شَهادة ، فقام له رجلٌ من مجلسه ، فأبَى أن يجلس فيه ، وقال : إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم نهى عن ذا ، ونهي النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أن يمسَحَ الرجل يَدَهُ بِثَوْبِ مَنْ لَمْ يَكْسُهُ » .

قال أبو بكر البزار : وهذا الحديث لانعلم أحدا يرويه إلا أبو بكرة . ولا نعلم له طريقا إلا هذا الطريق . ولا نعلم أحدا سمى هذا الرجل ـ يعنى أبا عبد الله مولى قريش ـ وإنما ذكرناه على مافيه . لأنه لايروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه . هذا آخر كلامه .

وقال فيه « مولى قريش » ووقع ههنا « مولًى لآل أبى بردة »

وقال فيه أبو أحمد الكرابيسى « مولى أبى موسى الأشعرى »

وإذا قيل فيه « مولى أبى بردة » و « مولى أبى موسى الأشعرى » فهو صحيح . لأن أبا بردة إما أن يكون أخا أبى موسى ، أو ولد أبى موسى . وأيًّما كان : فهو صحيح .

٤٦٥٩ ـ قال الشيخ : هذا يُتَأوَّل فيمن يأتي حلقة قوم ، فيتخطى رقابهم ، ويقعد وسطها ، ولا يقعد حيث ينتهى به المجلس . فلعن للأذى .

وقد يكون فى ذلك : أنه إذا قعد وسط الحلقة حال بين الوجوه وحجب بعضهم من بعض ، فيتضررون بمكانه وبمقعده هناك .

وإذا قيل فيهِ « مولى قريش » لايصح إلا أن يكون الولاء انجرَّ إليه والله عز وجل أعلم .

وذكر الحافظ أبو محمد بن طاهر المقدسى هذا الحديث وقال : رواه أبو عبد الله ـ مولًى لآل أبى بردة ـ عن سعيد . وهو غير معروف .

باب الرجل يقوم للرجل عن مجلسه [٤ : ٤٠٦]

٤٦٦١ ـ عن أبى الخصيب ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : « جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام له رجلٌ عن مجلسه ، فذهبَ ليجلس فيه ، فنهاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم »

قال أبو داود : أبو الخصيب : زياد بن عبد الرحمن . هذا آخر كلامه .

وهو بفتح الخاء المعجمة وكسر الصاد المهملة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها باء بواحدة .

باب من يؤمَر أن يجالَس [٤ : ٤٠٦]

٤٦٦٢ ـ عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَثَلُ المؤمنِ الَّذِى يَقْرَأ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ : رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، ومَثَلُ

٤٦٦١ ـ قال الشيخ ابن القيم رحمه الله : وقد أخرج الترمذى من حديث حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايقيم أحدكم أخاه من مجلسه ، ثم يجلس فيه ، قال : وكان الرجل يقوم لابن عمر ، فما يجلس » قال هذا حديث حسن صحيح .

وحديث ابن عمر هذا فى الصحيحين ، ولفظه « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقام الرجل من مجلسه ، ويجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » .

وفى صحيح مسلم عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالفه إلى مقعده ، ولكن ليقل : افسحوا » .

المؤمنِ الذى لا يقرأ القرآن ، كمثلِ التَّمْرة : طَعْمُهَا طَيِّبٌ ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة : ريحها طيب وطَعْمُهَا مُرٌّ ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحَنْظَلة : طعمُها مُرٌّ ولا ريح لها ، ومثل جليس الصالح : كمثل صاحب المِسْك ، إنْ لَمْ يُصِبْكَ منهُ شَىْءٌ أَصَابَكَ مِنْ ريحه ، ومثلُ جليسِ السوءِ كمثل صاحب الكِير[1] إنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أصابك من دُخَانِهِ » .

وأخرجه النسائى .

٤٦٦٣ ـ وعن أنس ، عن أبى موسى ـ وهو الأشعرى رضى الله عنهما ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام الأول إلى قوله : « وطعمها مر » .

وزاد ابن معاذ ـ وهو عبيد الله ـ قال : قال أنس : « وكُنَّا نتحدثُ أنَّ مَثَل جَليس الصالح ـ وساق بقية الحديث » .

وأخرجه البخاري ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة . وليس فيه كلام أنس .

٤٦٦٤ ـ وعن شُبَيل بن عَزْرة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ ـ فذكر نحوه » .

٤٦٦٥ ـ وعن أبى سعيد ـ وهو الخدرى رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تُصَاحِبْ إلَّا مؤمناً ، وَلَا يأْكُلْ طَعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ » .

٤٦٦٥ ـ قال الشيخ : هذا إنما جاء فى طعام الدعوة ، دون طعام الحاجة ، وذلك أن الله سبحانه قال (٧٦ : ٩ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) .

---

(١) بهامش الأصل : الكير : كير الحداد . وهو زق أوجلد غليظ ذوحافات . وأما المبنى من الطين : فهو الكور .

وأخرجه الترمذى . وقال : إنما نعرفه من هذا الوجه .

٤٦٦٦ ـ وعن موسى بن وَرْدان ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الرَّجُلُ على دِينِ خَليلِهِ . فلينظرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ »

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن غريب . هذا آخر كلامه .

وفى إسناده : موسى بن وردان . وقد ضعفه بعضهم . وقال بعضهم : لا بأس به . ورجح بعضهم فى هذا الحديث الإرسال .

٤٦٦٧ ـ وعن يزيد ـ يعنى ابنَ الأصمِّ ـ عن أبى هريرة ، يرفعه ، قال « الأرْوَاحُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فما تعارَفَ منْهَا ائْتلَفَ ، وما تناكَرَ منها اخْتَلف »

وأخرجه مسلم .

وأخرج مسلم أيضا من حديث سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة

ومعلوم أن أسراهم كانوا كفاراً . غير مؤمنين ، ولا أتقياء .

وإنما حذر من صحبة من ليس بتقى ، وزجر عن مخالطته ومؤاكلته ، فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة فى القلوب .

يقول : لا تؤالف من ليس من أهل التقوى والورع . ولا تتخذه جليساً تطاعمه وتنادمه .

٤٦٦٧ ـ قال الشيخ : معنى الحديث : الإخبار عن مبدأ كون الأرواح ، وتقدمها الأجساد التى هى ملابستها ، على ما روى فى الحديث « إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بكذا كذا عاماً » .

فأعلم النبى صلى الله عليه وسلم أنها خلقت أول ما خلقت على قسمين من ائتلاف ، أو اختلاف ، كالجنود المجندة إذا تقابلت وتواجهت .

ومعنى تقابل الأرواح : ماجعلها الله عليه من السعادة والشقاوة فى مبدأ الكون

باب فى كراهية المراء [٤ : ٤٠٨]

٤٦٦٨ ـ عن أبى موسى ـ وهو الأشعرى رضى الله عنه ـ قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعثَ أحداً من أصحابه فى بعضِ أَمْرِه قال : بَشِّرُوا ، وَلاَ تُنفِّرُوا ، وَيَسِّرُوا ، وَلاَ تُعَسِّرُوا »

وأخرجه مسلم .

٤٦٦٩ ـ وعن قائد السائب ، عن السائب ـ وهو ابن أبى السائب المخزومى العابدى ـ قال «أتيْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فجعلوا يُثْنُونَ علىَّ ويذكرونى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أعلمكم ـ يعنى به ـ قلت : صدقْتَ بأبى وأمى : كُنتَ شريكى ، فنِعْمَ الشريكُ ، كنت لا تُدَارِى ، ولا تُمَارِى »

وأخرجه النسائى وابن ماجة .

والخلقة ، كما روى فى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الملك إذا أراد أن ينفخ الروح فى النسمة ، قال : يارب أسعيد أم شقى ، أكافر أم مؤمن ؟ » .

يقول صلى الله عليه وسلم : إن الأجساد التى فيها الأرواح تلتقى فى الدنيا ، فتأتلف وتختلف ، على حسب ماجعلت عليه من التشاكل ، أو التنافر فى بدء الخلقة ، ولذلك ترى البرَّ الخيِّر يُحب شكله ، ويحن إلى ترْبه ، وينفر عن ضده ، وكذلك الرَّهِق الفاجر يألف شكله ، ويستحسن فعله ، وينحرف عن ضده .

وفى هذا دليل : على أن الأرواح ليست بأعراض ، وأنها كانت موجودة قبل الأجساد ، وأنها تبقى بعد فناء الأجساد .

ويؤيد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم « أرواح الشهداء فى صور طير خضر تعلَّق من ثمر الجنة » .

والسائب ـ هذا ـ قد ذكَر بعضهم أنه قتل كافرا يوم بدر . قتله الزبير بن العوام . وذكر بعضهم : أنه أسلم وحسن إسلامه . وهذا هو المعول عليه .

وقد ذكره غير واحد من الأئمه فى كتب الصحابة .

وهذا الحديث قد اختلف فى إسناده اختلافا كثيرا .

وذكر أبو عمر يوسف بن عبد البر النَّمَرى : أن هذا الحديث مضطرب جدا . منهم : من يجعله للسائب بن أبى السائب . ومنهم : من يجعله لأبيه . ومنهم : من يجعله لقيس بن السائب ، ومنهم : من يجعله لعبد الله ـ يعنى عبد الله بن السائب ـ وهذا اضطراب لاتقوم به حجة .

والسائب بن أبى السائب : من المؤلفة قلوبهم .

باب الهدْى فى الكلام [٤ : ٤٠٨]

٤٦٧٠ ـ عن يوسف بن عبد الله بن سَلَام ، عن أبيه رضى الله عنهما ، قال « كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا جلسَ يَتحَدَّثُ يُـكْثِرُ أنْ يرفعَ طَرْفَه إلى السماء » .

فى إسناده : محمد بن إسحاق ، وقد تقدم الاختلاف فيه .

وسلام : بفتح السين المهملة وتخفيف اللام.

٤٦٧١ ـ وعن مِسْعر ـ وهو ابن كُدام ـ قال : سمعت شيخاً فى المسجد يقول :

٤٦٦٩ ـ قال الشيخ : قوله « لا تدارى » يعنى لا تخالف ولا تمانع .

وأصل الدرء : الدفع .

يصفه صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق ، والسهولة فى المعاملة .

وقوله « لا تمارى » يريد المراء والخصومة .

سمعت جابر بن عبد الله يقول « كان فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْتِيلٌ ، أو تَرْسِيل [(١)] »

الراوى عن جابر : مجهول .

٤٦٧٢ ـ وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : « كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كَلاَماً فَصْلًا ، يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَه » .

٤٦٧٣ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلُّ كَلاَمٍ لا يُبْدَأ فِيهِ بِالْحَمْدُ لِلّهِ فهُوَ أَجْذَم »

قال أبو داود : رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا .

وقال فيه : زعم الوليد عن الأوزاعى . وذكر جماعةٌ رووه عن الزهرى مرسلا .

وأخرجه النسائى مسنداً ومرسلا.

٤٦٧٣ ـ قال الشيخ : قوله « أجذم » معناه : المنقطع الأبتر ، الذى لا نظام له .

وفسره أبو عبيد فقال : الأجذم المقطوع اليد .

وقال ابن قتيبة : الأجذم بمعنى المجذوم ، فى قوله صلى الله عليه وسلم « من تعلم القرآن ثم نسيه لقى الله وهو أجذم » .

٤٦٧٣ ـ ثم ذكر الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله حديث « كل كلام لايبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم » ثم قال :

وأخرجه ابن حبان فى صحيحه .

وفى الترمذى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما أكرم شاب شيخاً بشيبة إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه » قال : هذا حديث غريب .

---

(١) ترتل الرجل فى مشيته وكلامه . إذا لم يعجل ، والترسيل والترتيل : واحد .

وأخرجه ابن ماجة وقال فيه « أقطع »

وفى إسناده : قرة ، وهو ابن عبد الرحمن بن حَيْوِيل المعافرى المصرى . كنيته : أبو محمد . ويقال : أبو حيويل . قال الإمام أحمد : منكر الحديث جداً .

باب فى الخطبة [٤ : ٤٠٩]

٤٦٧٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ فَهِىَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ » .

وأخرجه الترمذى ، وقال : حسن غريب ـ هذا آخر كلامه ـ .

باب فى تنزيل الناس منازلهم [٤ : ٤١١]

٤٦٧٥ ـ عن ميمون بن أبى شَبيب : « أن عائشة عليها السلام مَرَّ بها سائل ، فأعْطَتْهُ كِسْرَة ، ومَرَّ بها رجل عليه ثياب وهَيْئة ، فأقعدته فأكل ، فقيل لها فى ذلك ، فقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » .

وقال أبو داود : ميمون لم يدرك عائشة . هذا آخر كلامه .

وقيل لأبى حاتم الرازى : ميمون بن أبى شبيب عن عائشة : متصل؟ قال : لا

٤٦٧٦ ـ وعن أبى كِنانة ، عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ : إِكْرَامَ ذِى الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِى فِيهِ ولاالجافى عنه[1] ، وإِكْرَامَ ذِى السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ » .

---

(١) بهامش المنذرى : الجافى عنه : هو التارك لتلاوته ، البعيد عنها ، والجفاء ترك الصلة والبر . وجفاه : أبعده وأقصاه .

و « الغالى فيه » قيل : إنما قال ذلك : لأنه كان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم وآدابه التى أمر بها : القصد فى الأمور ، وخير الأمور أوساطها . اه

وأقول : إن الغلو : هو مجاوزة الحد ، وذلك نحو ما صنعت الخوارج الذين تشددوا وغلوا ...

أبو كنانة ـ هذا ـ هو القرشي . ذكر غير واحد : أنه سمع من أبي موسى الأشعرى .

باب فى الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما [٤ : ٤١٢]

٤٦٧٧ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يُجْلَسْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا » .

وأشار الترمذى إليه .

٤٦٧٨ ـ وعنه : عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا » .

وأخرجه الترمذى ، وقال : حسن .

وقد تقدم الاختلاف فى الاحتجاج بحديث عمرو بن شعب .

باب فى جلوس الرجل [٤ : ٤٢٢]

٤٦٧٩ ـ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا جلسَ احْتَبَى بيده »

وأخرجه الترمذى

= حتى أعرضوا عن الأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بها واتباعها ، فضلوا ضلالا بعيداً ، لأنهم غلبتهم أهواؤهم فحكموها فى القرآن ، وزعموا أن ذلك حرص على القرآن وتعظيم له ، وفى الواقع هو هدم للقرآن ومحادة له ، ومشاقة لله وللرسول ، واتباع لغير سبيل المؤمنين .

وأما الجافى عنه : فهو التارك للعمل بمقاصده من العقائد والشرائع والعبادات والأحكام . وهو الذى يقدم على هدى الله : قال فلان ورأى فلان ، وما عليه الجماهير ، وإنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . فهؤلاء مهما قرءوا القرآن وجودوا قراءته ، وحفظوا حروفه وجودوها ، فهم جفاة لايستحقون أى احترام ، بل ينبغى للأمة العاقلة الرشيدة أن تهينهم ، فان الله أهانهم ، ومن يهن الله فما له من مكرم ، حتى يقلعوا عن اتخاذهم آيات الله هزوا ، ويرجعوا مؤمنين بالقرآن يتلونه حق تلاوته ، متدبرين آياته متفقهين فيها ، فيهتدون به إلى الطريق التى هى أقوم .

وقال أبو داود: عبد الله بن إبراهيم:شيخ منكر الحديث . هذا آخر كلامه.

وفى إسناده أيضا : رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، قال الإمام أحمد : ربيح ليس بالمعروف .

٤٦٨٠ ـ وعن عبد الله بن حسان العَنْبَرى ،قال : حدثتنى جَدَّتاىَ صَفيةُ ودُحَيْبة ابنتا عُلَيْبة ـ وكانتا رَبِيبَتَيْ قَيْلَةَ بنتِ مَخْرَمة ، وكانت جَدَةَّ أبيهما ـ أنهما أخبرتهما «أنها رأت النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وهو قاعد القُرْفُصَاءَ ، فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الْمُخْتَشِعَ ـ وقال موسى ، وهو ابن اسماعيل ـ : الْمُتَخَشِّعَ فى الجِلْسَة أُرْعِدْت مِنَ الْفرَقِ »

وأخرجه الترمذى ، وقال : لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن حسان . هذا آخر كلامه .

وعبد الله بن حسان ، كنيته : أبو الُجْنيد ، تميمى عَنْبَرى ، حديثه فى البصريين .

ودُحَيبة : بضم الدال، وفتح الحاء والمهملتين ، وسكون الياءَ آخر الحروف وبعدها باء بواحدة مفتوحة ، وتاء تأنيث .

وقد تقدم طرف من هذا الحديث فى كتاب الخراج . وهو حديث طويل وقد ذكر أبو عمر يوسف بن عبد البر النَّمَرى . قيلة بنت مخرمة ، وقال : قد شرح حديثها أهل العلم بالغريب . وهو حديث حسن[١] .

٤٦٨٠ ـ «القرفصاء» جلسة المحتبى ، وليس هو الذى يحتبي بثوبه ولكن الذى يحتبى بيديه

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة .

« قيلة » بنت مخرمة التميمية ، ثم من بنى العنبر . ومنهم من نسبها غنوية . هاجرت

إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع حريث بن حسان ـ وقيل : الحارث بن حسان ـ من بكر بن وائل من بنى ذُهل ، وكان وافد بكر بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى حديثها عبد الله بن حسان العنبرى عن جدتيه صفية ودُحَيبة ابنتى عُليبة ـ وكانتا ربيبتى قَيلة ، وكانت قيلةُ جدةَ أبيهما ـ أنها قالت « قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث بطوله » أخرجه الطبرانى مطولا . وأخرج البخارى فى الأدب المفرد طرفا منه ـ فى باب القَرفُصاء ـ وأخرج أبو داود طرفا منه أيضا ـ فى باب اقطاع الأرضين من كتاب الخراج ـ ، والترمذى من أول المرفوع إلى قوله « يتعاونان » ـ فى باب ماجاء فى الثوب الأصفر من أبواب الاستئذان ـ قال الترمذى : فذكر الحـديث بطوله ، وقال : لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن حسان .

وقال ابن عبد البر : هو حديث طويل فصيح حسن . وقد شرحه أهل العلم بالغريب .

قال ابن حجر : وقال أبو على بن السكن : روى عنها حديث طويل ، فيه كلام فصيح ـ وساقه من طريق عبد الله بن حسان مختصراً . وقال : لم يروه غير عبد الله بن حسان ،وقال فيه : إن أمَّ قيلة : صيفية بنت صيفى ، أخت أكتم بن صيفى .

وقد روى حديثها أيضا الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ٦ ص ٩ ـ ١٣) وذكر منه الجاحظ فى الحيوان (ج ٥ ص ٤٨٧) المثلَ الذى قاله حريث البكرى وذكر أخونا المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر ما يتعلق منه بصلاة الفجر فى تعليقاته على جامع الترمذى (ج ١ ص ٢٨٨) وذكر طرفا منه ابن الأثير فى أسد الغابة ، فى ترجمة قيلة .وساقه بطوله ـ إلا جُملا من أوله ومن آخره ـ الزمخشرى فى الفائق (ج ٢ ص ١٨٢) .

قال الحافظ : ساقه الطبرانى وابن منده بطوله ، وهذا لفظ ابن منده من طرق ثلاثة عن عبد الله بن حسان بهذا السند : أنها أخبرتهما ، وساق الحديث .

و إنى أسوق الحديث معتمدا مجمع الزوائد على مابه من التحريف . لأن نسخته أقرب إلى الصواب من الإصابة لرداءة طبعها وتحريفها،على أنى سأجمع بينهما.لأن ألفاظهما متقاربة «أنها كانت تحت حبيب بن أزهر ، أحد بنى جناب ، فولدت له النساء ، ثم توفى عنها فانتزع بناتها منها أخوه أثوب بن أزهر ـ وفى أسد الغابة:عمر بن أثوب بن أزهر ـ فخرجت

تبتغى الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول الإسلام ، أى إسلام قومها، فبكت جويرية من بناتها حُدَيباء ـ وفى أسد الغابة : حديثة ـ كانت قد أخذتها الفُرْصَة ، وهى أصغرهن ، عليها سُبَيِّج[1] من صوف . فرحمتها فاحتملتها معها . فبينما هما تُرْتِكان الجمل ، إذ انتفجت الأرنب. فقالت الحديباء : الفَصْيَة ، لا والله لا يزال كعبك أعلى من كعب أثوب بن أزهر فى هذا الحديث أبدا . ثم سنح الثعلب ، سمته اسما غير الثعلب ـ نسيه عبد الله بن حسان ـ فقالت فيه ماقالت فى الأرنب . فبينما هما تُرْتِكان الجمل[2] إذ برك ، وأخذته رِعْدة ، فقالت الحديباء : أدركتك والأمانة أخذة أثوب . قالت : فقلت ـ واضطرب إليها ـ ويحك ، فماأصنع ؟ قالت : قَلِّبى ثيابك ظهورها لبطونها ، وتدحرجى ظهرك لبطنك ، وقلبى أحلاس جملك ، ثم خلعت سُبَيِجها فقلبتها ، ثم دحرجت ظهرها لبطنها ، ففعلت ما أمرتنى به ، فانتفضَ الجمل ، فقام فتفاجَّ ، فقالت : أعيدى عليه أداتك ، ففعلتُ ، ثم خرجنا نرتك ، فاذا أثوب يسعى على آثارنا بالسيف صلتا . فوَألْنـا إلى حِواء ضخم ، قد أراه حيث ألقى الجمل إلى رواق البيت الأوسط . وكان جملا ذلولا . ثم اقتحمت داخله، فأدركنى أثوب بالسيف فأصابت ظُبَتُه طائفة من قرون رأسى . فقال : ألقى إلىَّ ابنة أخى يا دَفارِ[3] ، فرميت بها إليه ، فجعلها على منكبيه ، فذهب بها . وكنت أعلم به من أهل البيت . فمضيت إلى أخت لى ناكح فى بنى شيبان ، أبتغى الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبينما أنا عندها ذات ليلة من الليالى ، تحسب عَنِّى نائمة ، إذ جاء زوجها من السامر فقال : وأبيك لقد أصبت لقيلة صاحب صدق ، فقالت أختى : من هو ؟ فقال: هو حريث بن حسان الشيبانى عاديا ذا صباح ، وافد بكر بن وائل . فقالت أختى : الويل لى ، لا تخبر بهذا أختى . فتذهب مع أخى بكر بن وائل بين سمع الأرض و بصرها ، ليس معها

(١) فى النهاية : فى حديث قيلة « وعليها سبيج لها » هو تصغير سبيج ، كرغيف ورغيف وهو معرب « شبى » للقميص بالفارسية .

(٢) فى النهاية « ترتكان بعيريهما » أى تحملانهما على السير السريع . يقال : رتك يرتك رتكا ورتكانا .

(٣) « يادفار » أى يامنتنة . والدفر : النتن . وهى مبنية على الكسر بوزن قطام . وأكثر ما يرد فى النداء . نهاية

من قومها رجل. قال : لا ذكرته لها . قالت : وأنا غير ذاكرة لهـا ذا ، فسمعت ما قالا ، فغدوت وشددت على جملي ، وسمعت قائلا يقول ، فنشدت عنه ، فوجدته غير بعيد . وسألته الصحبة . فقال : نعم وكرامة ، وركابه مناخة عنده . فخرجتُ معه ، صاحب صدق ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى بالناس صلاة الغداة ،وقد أقيمت حين انشق الفجر ، والنجوم شابكة فى السماء ، والرجال لاتكاد تعارف ، مع ظلمة الليل ،فصففت مع الرجال ، وأنا امرأة حديثة عهد بالجاهلية . فقال لى الرجل الذى يلينى من الصف : امرأة أنت أم رجل ؟ فقلت : لا ، بل امرأة ، فقال : إنك كدت تفتنينى ، فصلى وراءك فى النساء فاذا صفٌّ من النساء قد حدث عند الحجرات ، لم أكن رأيته حين دخلت . فكنت معهن . فلما طلعت الشمس دنوت . فكنت إذا رأيت رجلا ذا رُوَاء ، وذا قِشْر طمح إليه بصرى.لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الناس.فلما ارتفعت الشمس جاء رجل فقال السلام عليك يارسول الله.فقال رسول الله : وعليك السلام ورحمة الله،وعليه أسمالُ مُلَيَّتَين(١) قد كانتا مزعفرتين ، وقد نفضتا ، و بيده عسيب نخلة مَقْشُوٌّ ، غير خوصتين من أعلاه ، وهو قاعد القرفصاء . فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع فى الجلسة أُرْعِدتُ من الفرَق. فقال له جليسه : يارسول الله ، أُرْعِدتِ المسكينة . فقال بيده ــ ولم ينظر إلى ، وأنا عند ظهره ــ يا مسكينة ، عليك السكينة ، فلما قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم أذهب الله ما كان فى قلبى من الرعب ، وتقدم صاحبى ، حريث بن حسان ، أول رجل فبايعه على الإسلام ، وعلى قومه ، ثم قال : يارسول الله ، اكتب بيننا و بين بنى تميم بالدهناء ، لا يجاوزوها منهم إلينا إلا مسافر ، أو مجاور ، فقال : اكتب له يا غلام بالدهناء ، فلما رأيته قد أمر له بها شُخص بى ، وهى وطنى ودارى . فقلت : يارسول الله . إنه لم يسلك السوية من الأمر إذ سلك ، إنما هى الدهناء مقيد الجمل ومرعى الغنم ، وهذه نساء بني تميم وأبناؤها وراء ذلك . فقال : أمسك ياغلام ، صدقت المسكينة : المسلم أخو المسلم، يسعهما الماء والشجر ، و يتعاونان على الفتان ، فلما رأى حريث أنه قد حيل دون كتابه ضرب بيديه إحداهما على الأخرى . ثم قال : كنت أنا وأنت كما قال القائل « حتفها حائن تحمل بأظلافها » فقلت : والله ما علمتُ إن كنتَ لدليلا فى الظلماء ، مدولا لدى الرحْل ، عفيفا عن الرفيقة ، حتى

قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولـكن لاتلمنى أن أسأل حظى إذ سألت حظك. فقال: وما حظك فى الدهناء ، لا أبالك ؟ فقلت : مقيد جملى . تسأله لجمل امرأتك ، فقال : لاجرم أُشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى لك لا أزال أخا ماحييت ، إذ أثنيت علىَّ هذا عنده . فقلت : أما إذ بدأتها فلن أضيعها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيلامُ ابن هذه أن يفصل الخُطَّة ؟ وينتصر من وراء الحُجْزَة ، قالت : فبـكيت ، فقلت : قد والله يا رسول الله ولدته حراما ، فقاتل معك يوم الرَّبَذَة ، ثم ذهب يمترى من خيبر . فأصابته حُمَّاها فمات . فترك على النساء . فقال : والذى نفس محمد بيده لو لم تـكونى مسكينة لجررناك على وجهك ، أو لجررت على وجهك ـ شك عبد الله بن حسان، أى الحرفين حدثته المرأتان ـ أتغلب إحداكن أن تصاحب صويحبها فى الدنيـا معروفا ، فاذا حال بينها و بينه من هو أولى به منها استرجع ، ثم قال: رب آسِنى لما أمضيت ، فأعنى على ما أبقيت ، فوالذى نفس محمد بيده ، إن إحداكن لتبكى فتستعبر إليه صويحبها . فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانـكم ، ثم كتب لها فى قطعة أديم أحمر: لقيلة والنسوة من بنات قيلة : لا يظلمن حقا ، ولا يكرهن على منكح ، وكل مؤمن مسلم لهن نصير . أحسِنَّ ، ولا تُسِئْنَ » .

قال الزمخشرى فى الفائق (ج ٢ ص ١٢٨)

« الفرصة ، والفَرْسة » ريح الحدَب ، كأنها تفرِس الظهر ، أى تدقه . وتفرصه : أى تشقه ، وأما قولهم « أنزل الله بك الفرسة » فقال أبو زيد : هى قرحة فى العين .

« السُّبَيج » تصغير السَّبيج ، وهو كسـاء أسود ، ويقال له : السَّبِيجة والسَّبَجة ، وعن ابن الأعرابى : السِّبيج ـ بكسر السين، وفتح الباء الموحدة ـ قال: وأراه معربا ، وأنشد:

كانت به خُوْد صَموت الدُّمْلج لَفَّاء ما تحت الثياب السِّبَج

« تُرْتِـكان » تحملان بعيرهما على الرَّتـكان .

« انتفجت » ارتفعت وثارت من مجثمها .

قال الأخفش : « القَصْيـة » الفرَج ، يقال : قد أدركتك القَصْيَة : أى الخروج من أمرك الذى أنت فيه ، وانفراجه عنك : وقد انفصَى الصيد من حُبالتـه : أى انفصل وتخلص ، تفألت بانتفاج الأرنب : أنها تتفصَّى من الغم الذى كانت فيه من قبل عَمِّ البنات

[باب فى الجلسة المكروهة [1]] [٤ : ٤١٣]

٤٦٨١ ـ عن الشَّريد بن سُويد ، قال « مَرَّ بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا جالس هكذا ، وقد وضعتُ يَدى اليسرى خلف ظَهْرى ، واتكأتُ على

« ظُبةُ السيف » حده مما يلى الطرف منه .

« دفار » من الدَّفَر ، وهو النتن .

« الصلت » المصلت من الغمد .

« وأل » ووءل : إذا لجأ .

« الحواء » بيوت مجتمعة على ماء .

« عنى » تميمية فى « أنى » وهى العنعنة .

« بين سمع الأرض و بصرها » تمثيل ، أى لا يسمع كلامها ولا يبصرها إلا الأرض .

« نشدت عنه » أى سألت عنه ، من نشدان الضالة .

« القشر » اللباس .

« القرفصاء » قعدة المحتبى بيديه دون الثوب .

« الأسمال » الأخلاق ، جمع سَمل « ملية » تصغير ملاءة على الترخيم .

« العسيب » جريدة النخل « المقشو » المقشور .

« فشخص بى » ازعجت وازدهيت « الفتان » الشياطين . والفتان : الواحد . والتعاون على الشيطان : أن يتناهيا عن اتباعه والافتتان بخدعه ، وقيل : الفتان اللصوص

« يفصل الخطة » أى إن نزل به مشكل فصل برأيه ، و إن ظلم بظلامة ثم هَمَّ بانتصار من ظلمه ، فتعرض له أعوان الظالم ليحجزوه عن صاحبهم لم يُثبِّطوه ومضى على انتصاره واستيفاء حقه غير محتفل بهم ، و« الحجزة » جمع حاجز ، أراد : أن ابن هذه المرأة حقه أن يكون على هذه الصفة لمكان أمومته .

المثل الذى حاضر به حريث بن حسان : أراد بضربه اعتراضها عليه بالدهناء .

« آسِنى » اجعل لى أسوة بما تعظنى به .

(١) العنوان زيادة من عون المعبود .

أَلْيَةِ يدى ، فقال : أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ (١) » ؟!!

باب النهى عن السمر بعد العشاء [٤ : ٤١٣]

٤٦٨٢ ـ عن أبى بَرْزَةَ الأسلمى رضى الله عنه ، قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْهَى عن النوم قبلها والحديث بعدها (٢) »

وأخرجه البخارى والترمذى وابن ماجة .

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى بنحوه فى أثناء حديث أبى بَرْزة الطويل فى المواقيت .

باب فى التناجى [٤ : ٤١٤]

٤٦٨٣ ـ عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله

٤٦٨٣ ـ قال الشيخ : إنما يحزنه ذلك لأحد معنيين .

أحدهما : أنه ربما يتوهم أن نجواهما إنما هو لتبييت رأى فيه ، أو دسيس غائلة له .

---

(١) القعدة ـ بكسر القاف ـ للهيئة ـ والقعدة ـ بفتح القاف ـ المرة الواحدة . و « ألية اليد » بفتح الهمزة ، وسكون اللام : هى اللحمة التى فى أصل الابهام . والضرة ـ بفتح الضاد المعجمة، وتشديد الراء المهملة وفتحها ـ التى تقابلها . وقال الأصمعى « الألية » أصل الابهام . والضرة : أصل الخنصر . هذا آخر كلامه ، ومنه حديث البراء « السجود على أليتى الكف» قال الزمخشرى : أراد ألية الابهام وضرة الخنصر . فغلب ، كقولهم : العمران والقمران .

(٢) قيل : كراهية النوم قبلها لئلا يذهب بصاحبه ويستغرق نوما فتفوته الصلاة ويفوته فضل وقتها المستحب . ويترخص الناس فى ذلك فيناموا عن إقامة جماعتها . كرهه عمر وابن عباس وغيرهما من السلف . ورخص فيه بعضهم ، منهم على وأبو موسى الأشعرى . وشرط بعضهم : أن يجعل معه من يوقظه . وروى عن ابن عمر مثله .

وأما كراهية الحديث بعدها : فإنه يؤدى إلى السهر ومخافة غلبة النوم فتفوته صلاة الصبح فى وقتها . ولأن الحديث والسمر يوجب الكسل بالنهار عن واجب الحقوق فيه ومصالح الدنيا والدين وإن كان الحديث بعدها مذاكرة علم أو فى مصلحة وبر لحاجة الأهل والضيف والعرس ونحوها فذلك جائز .

صلى الله عليه وسلم « لَا يَنْتَجِى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ . فإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ[1] »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة .

٤٦٨٤ ـ وعن أبى صالح ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثله

وقال أبو صالح ـ وهو ذَكوان السَّمانى ـ فقلت لابن عمر « فأربعة ؟ قال : لا يضرك » .

والمعنى الآخر : أن ذلك من أجل الاختصاص بالكرامة ، وهو مُحزن صاحبه .

وسمعت ابن أبى هريرة يحكى عن أبى عبيد بن حرب أنه قال : هذا فى السفر ، وفى الموضع الذى لا يأمن الرجل فيه صاحبه على نفسه . فأما فى الحضر و بين ظَهْرَانى العمارة . فلا بأس به . والله أعلم .

---

(١) قيل : إنما المراد بهذا الحديث فىالسفر وفى المواضع التى لايأمن الرجل فيها صاحبه، ولا يعرفه ، ولا يثق به ، ويخشي غدره . وأما فى الحضر وبين ظهرانى العمارة فلا بأس . وقد روى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة أن يتناجى اثنان منهم دون صاحبها » غير أنه لا يثبت .

وقيل : بل كان هذا فى أول الاسلام . فلما نشأ الإسلام وأمن الناس : سقط هذا الحكم . وذلك ما كان يفعله المنافقون بحضر المؤمنين . قال تعالى (٥٨ : ١٠إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ـ الآية) وقد ذكر فى الآية غير هذا

ومذهب عبد الله بن عمرو بن العاص : حمله على عمومه . وهو مذهب مالك وجماعة من العلماء .

وقال بعض أصحاب مالك : الجماعة عندنا لايتناجون دون واحد لوجود العلة . ويجوز إذا شاركه جماعة . لأنه يزول عنه الحزن بالمشاركة .

وقوله «فان ذلك يحزنه » قيل : يحزنه لأحد معنيين . أحدهما : أنه ربما يتوهم أن نجواهما عائدة له . والآخر : أن ذلك من أجل الاختصاص بالكرامة . من هامش المنذرى

وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما بنحوه

باب إذا قام من مجلس ثم رجع [٤ : ٤١٤]

٤٦٨٥ ـ عن سهيل بن أبى صالح ، قال « كنتُ عند أبى جالساً ، وعنده غلام ، فقام ، ثم رَجَعَ ، فحدَّثَ أبى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا قَامَ الرَّجُلُ من مجلِسٍ ، ثم رجع إليه فهُوَ أحقّ به[1] »

وأخرجه مسلم وابن ماجة .

٤٦٨٦ ـ وعن كعب ـ وهو ابن ذُهْلٍ الإيادِىّ ـ قال « كنتُ أختلفُ إلى أبى الدرداء ، فقال أبو الدرداء ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس ، وجلسْنا حولَه ، فقام ، فأراد الرجوعَ نزعَ نَعْلَيه ، أو بعضَ مايكون عليه ، فعرف ذلك أصحابه ، فيثبتون »

فى إسناده : تمام بن نَجيح الأسدى ، قال يحيى بن معين : ثقة .

وقال ابن عدى : غير ثقة . وعامة مايرويه لايتابعه الثقات عليه .

وقال أبو حاتم الرازى : منكر الحديث ذاهب .

وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا ، يروى أشياء موضوعة عن الثقات ، كأنه المتعمد لها ، وانْتُقِد عليه أحاديث هذا من جملتها .

٤٦٨٧ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ذهب بعضهم إلى أن ذلك على الندب . وذلك إذا كانت أوبته قريبة . وأن بعد ذلك حتى يذهب ويبعد : فلا أرى ذلك . وأنه لحسن من محاسن الأخلاق .

وقال غيره : الحديث فى معنى مجلس العالم ، هو أولى به إذا قام لحاجة . فإذا قام تاركا له . فليس هو بأولى . من هامش المنذرى .

وسلم ، « مَامِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ إلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً »

وأخرجه النسائى .

٤٦٨٨ ـ وعنه رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعاً لاَ يَذْكُرُ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ (١) »

وأخرجه النسائى .

وفى إسناده : محمد بن عجلان . وفيه مقال .

باب الرجل يجلس متربعا [٤ : ٤١٣]

٤٦٨٩ ـ عن جابر بن سَمُرَةَ رضى الله عنه ، قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلَّى الفجرَ تَرَبَّعَ فى مجلسه حتَّى تَطْلُعَ الشمسُ حَسَناً (٢) »

٤٦٨٨ ـ قال الشيخ : أصل « الترة » النقص . ومعناها ههنا : التبعة .

يقال : وترت الرجل « تِرة » على وزن ـ وعدته عِدة ـ ومنه قول الله سبحانه

---

(١) « ترة » بكسر التاء ثالث الحروف ، وبعدها راء مهملة مفتوحة ، وتاء تأنيث . أى نقص . والتاء فيه عوض عن الواو المحذوفة .وقيل:أراد بالترة ههنا التبعة . من هامش المنذرى

(٢) « حسنا » بفتح الحاء والسين المهملتين ، أى طلوعا حسنا . يعنى بينا . وهو الأكثر فى الرواية . ورواه بعضهم « حينا » بكسر الحاء وسكون الياء آخر الحروف ، أى زمنا ، كأنه يريد مدة جلوسه .

ورواه بعضهم « حسناء » بفتح الحاء المهملة وبعدها سين ساكنة على وزن فعلاء ممدودة . قال : وانما يظهر حسنها إذا أخذت فى الارتفاع . فحينئذ يتكامل ضوؤها ويحسن .

قيل : وفى فعله هذا فائدتان . احداهما : الجلوس للذكر . فانه وقت شريف . وقدجاءت أحاديث فى الذكر فى ذلك الوقت .

والثانية : أنه لمـا تعبد الانسان لله عز وجل قبل طلوع الشمس لازم مكان التعبد إلى أن تنتهى حركات الساجدين للشمس إذا طلعت . اهـ من هامش المنذرى .

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى .

باب فى كفارة المجلس [٤ : ٤١٥]

٤٦٩٠ ـ عن سعيد بن أبى سعيد المقبُرى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، أنه قال « كلماتٌ لا يتكلم بهنَّ أحدٌ فى مجلسه عند قيامه ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إلا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ ، ولا يقولهن فى مجلس خيرٍ ، ومجلس ذكرٍ إلا خُتِمَ له بِهِنَّ عليه ، كما يُخْتَم بالخاتَم على الصحيفة : سُبْحانَك اللهمَّ وبحمدِك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوبُ إليك » .

(٤٧ : ٣٥ ولن يَتِرَكم أعمالكم) .

وقد روى فى هـذا الحديث من طريق آخر « مامن قوم يقومون عن مجلس لايذكرون الله إلا قاموا عن مثل جيفة حمار . وكان لهم حسرة » .

٤٦٩٠ ، ٤٦٩١ ، ٤٦٩٢ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

هذه ثلاثة أحاديث ذكرها أبو داود فى كفارة المجلس .

فأما حديث عبد الله بن عمرو : فموقوف عليه .

وأما حديث أبى هريرة : فهو معروف بموسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال الحاكم أبو عبد الله : هذا حديث من تأمله لم يشك أنه من شرط الصحيح ، وله علة فاحشة ، حدثنى أبو نصر الوراق قال : سمعت أبا أحمد القصار يقول : سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخارى ، فقبل بين عينيه ، وقال : دعنى حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين ، وطبيب الحديث فى علله: حدثنا محمد بن سلام حدثنا مخلد بن يزيد الحرانى أخبرنا ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كفارة المجلس فما علته ؟ .

قال محمد بن إسماعيل : هذا حديث مليح ، ولا أعلم فى الدنيـا فى هذا الباب غير هذا الحديث ، إلا أنه معلول ، حدثنا به موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن عوف ابن عبد الله من قوله .

٤٦٩١ ـ وعنه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال الترمذي : حسن صحيح غريب من هذا الوجه . لا نعرفه من حديث سهيل إلا من هذا الوجه .

٤٦٩٢ ـ وعن أبي بَرْزة الأَسْلَمي رضي الله عنه ، قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأَخَرَةٍ ، إذا أراد أن يقوم من المجلس : سُبْحَانَكَ اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . فقال رجل : يارسول الله ، إنك لتقولُ قولاً ما كنتَ تقوله فيما مضَى ، قال : كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ » ،

وأخرجه النسائي .

قال محمد بن إسماعيل : هذا أولى ، فإنه لا يذكر لموسى بن عقبة سماع من سهيل .

وأما الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي برزة الأسلمي : فإسناده حسن ، رواه عن عثمان بن أبي شيبة ، وأخرجه عن عبدة بن سليمان عن الحجاج بن دينار عن أبي هاشم عن أبي العالية عن أبي برزة ، والحجاج بن دينار صدوق ، وثقه غير واحد ، وأبو هاشم : هو الرماني ، من رجال الصحيحين .

وفي الباب حديث عائشة ، رواه الليث عن ابن الهاد ، عن يحيي بن سعيد عن زرارة عن عائشة . قالت « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس إلا قال : لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، فقلت : يارسول الله ، ما أكثر ما تقول هؤلاء الكلمات إذا قمت ؟ فقال : إنه لا يقولهن أحد حين يقوم من مجلسه إلا غفر له ما كان في ذلك المجلس » رواه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد .

ورواه النسائي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعبة عنه .

ولهذا الحديث أيضاً علة ، وهي أن قتيبة خالف شعيباً فيه ، فقال : عن الليث عن يحيي عن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري عن رجل من أهل الشام عن عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلس يكثر من أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا

[أبو برزة ـ بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الزاى وتاء تأنيث واسمه نضلة بن عبيد . ونضلة : بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وبعدها لام مفتوحة وتاء تأنيث . وقيل : إن اسمه غير ذلك . والصحيح : ما ذكرناه . أسلم قديما . وشهد فتح مكة]

باب فى رفع الحديث [٤ : ٤١٥]

٤٦٩٣ ـ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا يُبَلِّغُنِى أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِى عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا ، فَإِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ »

وأخرجه الترمذى ، وقال : غريب من هذا الوجه . هذا آخر كلامه .

وفى إسناده : الوليد بن أبى هاشم قال أبو حاتم الرازى: ليس بالمشهور .

باب فى الحذر [٤ : ٤١٥]

٤٦٩٤ ـ عن عبد الله بن عمرو بن الفَغْواء الْخُزاعى ، عن أبيه رضى الله عنه ، قال

٤٦٩٤ ـ قال الشيخ : « الإيضاع » الإسراع فى السير .

أنت ـ وساق الحديث » ذكره النسائى. ورواه من حديث خالد بن أبى عمران عن عروة عن عائشة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس مجلساً أو صلى صلاة تكلم بكلمات . فسألت عائشة عن الكلمات ؟ فقالت : إن تكلم بخير ، كان طابعاً عليهن إلى يوم القيامة ، وإن تكلم بغير ذلك كان كفارة له : سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » رواه عن أبى بكر بن إسحاق حدثنا أبو سلمة الخزاعى عن خالد به .

ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث خالد بن أبى عمران أيضاً عن عائشة قالت « ما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قط ، ولا تلا قرآناً ، ولا صلى ، إلا ختم ذلك بكلمات ، قال نعم ، من قال خيراً ، ختم له طابع على ذلك الخير ، ومن قال شراً كن له كفارة : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » .

« دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أراد أنْ يَبْعَثني بمالٍ إلى أبى سفيان ، يُقَسِّمه فى قُريش بمكة بعد الفتح ، فقال: الْتَمِسْ صاحِباً .قال : فجاءنى عمرو بن أُمَيَّه الضَّمْرى ، فقال : بلغنى أنك تريدُ الخروج ، وتلتمسُ صاحباً ، قال : قلتُ : أَجَلْ قال : فأنا لك صاحبٌ ، قال : فجئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : قد وجدت صاحباً ، قال : فقال : مَنْ ؟ قلت : عمرو بن أُمية الضَّمْرى ، قال : إذَا هَبَطْتَ بِلَادَ قَوْمِهِ فَاحْذَرْهُ ، فإِنهُ قدْ قَالَ الْقَائِلُ : أَخُوكَ الْبَكْرِيُّ ، وَلَا تأْمَنْهُ. فخرجنا ، حتى إذا كنتُ بالأَبْواء قال : إنى أريدُ حاجة إلى قومي بوَدَّان ، فتَلَبَّثْ لى ، قلت : راشداً ، فلما وَلّى ذكرتُ قولَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فشَدَدْتُ على بعيرى ، حتى خرجتُ أُوضِعُهُ ، حتى إذا كنتُ بالأصافِرِ ، إذا هو يُعارضنى فى رَهْطٍ ، قال : وأَوْضَعتُ ، فسبقته ، فلما رآنى قد فُتُّهُ انصرفوا ، وجاءنى فقال كانت لى إلى قومي حاجة ، قال : قلت :أجل ! ومضينا ، حتى قدمنا مكة ،فدفعت المال إلى أبى سفيان »

فى إسناده : محمد بن إسحاق بن يسار . وقد تقدم الكلام عليه .

[الفغواء ــ ممدود ، بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة وبعدها واو مفتوحة وهى أم عمرو . وعمرو ــ هذا ــ هو أخو علقمة بن الفغواء . وذكر أبو القاسم البغوى هذه القصة عن علقمة بن الفغواء . والأول : هو المشهور]

قوله « أخوكَ البَكْرى ، فلا تأمنه » مثل مشهور للعرب .

وفيه : إثبات الحذر ، واستعمال سوء الظن ، وأن ذلك إذا كان على وجه طلب السلامة من شرِّ الناس : لم يأثم به صاحبه ، ولم يحرج فيه .

٤٦٩٥ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ »

وأخرجه البخارى ومسلم وابن ماجة .

باب فى هدى الرَّجُلِ [1] [٤ : ٤١٧]

٤٦٩٦ ـ عن أنس رضى الله عنه قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا مَشَى كأنَّه يَتَوَكَّأُ »

٤٦٩٧ ـ وعن أبى الطّفيل ـ وهو عامر بن واثلة رضى الله عنه ـ قال « رأيت

٤٦٩٥ ـ قال الشيخ : هذا يروى على وجهين من الإعراب .

أحدهما : بضم الغين [2] على مذهب الخبر ، ومعناه : أن المؤمن الممدوح : هو الكيس الحازم ، الذى لا يُؤْتَى من ناحية الغَفْلَة ، فيخدع مرة بعد أُخرى . وهو لا يفطن بذلك ولا يشعر به ،

وقيل : إنه أراد به الخداع فى أمر الآخرة دون أمر الدنيا .

والوجه الآخر : أن تكون الرواية بكسر الغين ، على مذهب النهى .

يقول : لا يخدعن المؤمن ، ولا يُؤْتَيَنَّ من ناحية الغفلة ، فيقع فى مكروه أو شرٍّ ، وهو لا يشعر ، وليكن متيقظاً حذراً .

وهذا قد يصلح أن يكون فى أمر الدنيا والآخرة معاً . والله أعلم .

٤٦٩٧ ـ قال الشيخ : « الصبوب » إذا فُتحت الصاد : كان اسما لما يُصَبُّ على الإنسان من ماء ونحوه ، ومما جاء على وزنه : الطَّهور ، والغَسول ، والفَطور لما يفطر به .

---

(١) الرجل ـ بفتح الراء وسكون الجيم ـ جمع راجل . وهو خلاف الراكب . كذا فى عون المعبود . وقد ضبطها فى أصل المنذرى بضم الجيم .

(٢) كان حقه أن يقول بالرفع . لأنه فعله مضارع ، يرفع بالضمه . وكسر الغين فى الوجه الآخر : لأن الغين حركت بها للتخلص من التقاء الساكنين . وأصلها مجزومة بلا الناهية .

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : كيف رأيته ؟ قال : كان أبيضَ مَليحا ، إذا مشَى كأنَّما يهْوِى فى صَبُوب [1] »

وأخرجه مسلم والترمذى بنحوه .

باب فى الرجل يضع إحدى رجليه على الأخرى [٤ : ٤١٨]

٤٦٩٨ ـ وعن جابر ـ وهو ابن عبد الله رضى الله عنهما ـ ، قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يَضَعَ ـ وقال قتيبة : يَرْفَعَ ـ الرجلُ إحدى رجليه على الأخرى ـ زاد قتيبة : وهو مُسْتَلقٍ على ظَهْره »

وأخرجه مسلم والترمذى مختصراً ومطولا .

ومن رواه « الصُّبوب » بضم الصاد: على أنه جمع الصَّبَب ، وهو ماانحدر من الأرض ، فقد خالف القياس ، لأن باب فَعل لا يجمع على فعول ، وإنما يجمع على أفعال ، كسبب وأسباب ، وقَتَب وأقتاب .

وقد جاء في أكثر الروايات « كأنه يمشى فى صَبَب » وهو المحفوظ .

وقوله « يهوى » معناه ينزل و يتدلى . وذلك فى مِشْية القوى من الرجال .

يقال : هوى الشيء يهوى : إذا نزل من فوق إلى أسفل . و يقال : هو يهوى : بمعنى صعد ، و إنما يختلفان فى المصدر .

فيقال : هوى هَوِيًّا ـ بفتح الهاء ـ إذا نزل ، وَهُوِيًّا ـ بضمها ـ إذا صعد .

أنشدني أبو رجاء الغنوى ، قال أنشدنى أبو العباس أحمد بن يحيى :

والدَّلْو فى إصعادها عَجْلَ الهُوِى

٤٦٩٨ ـ قال الشيخ : يشبه أن يكون إنما نهى عن ذلك من أجل انكشاف العورة إذ

٤٦٩٨ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

وأما الحديث الذى رواه الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصغانى عن إبراهيم بن

---

(١) قال ابن الأثير « يروى بالفتح والضم ، فالفتح اسم لما يصب على الانسان من ماء وغيره ، كالطهور والغسول . والضم جمع صبب » اه

٤٦٩٩ ـ وعن عَبَّاد بن تميم ، عن عمه ـ وهو عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصارى المازنى [١] ـ أنه « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَلْقِياً ـ قال القَعْنبي : فى المسجد ـ واضعاً إحْدَى رجليه على الأخرَى »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

٤٧٠٠ ـ وعن سعيد بن المسيَّب « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعثمان بن عفان كانا يفعلان ذلك »

وذكره البخارى عقب حديث عباد بن تميم . فقال : وعن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ، قال « كان عمر وعثمان يفعلان ذلك » هذا آخر كلامه ،

كان لباسهم الأزر ، دون السراويلات . والغالب: أن أزرهم غير سابغة ، والمستلقى إذا رفع إحدى رجليه على الأخرى مع ضيق الإزار : لم يسلم أن ينكشف شىء من فخذه . والفخذ عورة .

فأما إذا كان الإزار سابغاً ، أو كان لابسه عن التكشف متوقِّيًا ، فلا بأس به ، وهو وجه الجمع بين الخبرين . والله أعلم .

المنذر الحرامى عن محمد بن فليح عن أبيه عن سعيد بن الحارث عن عبيد بن حنين قال « بينما أنا جالس فى المسجد إذ جاءه قتادة بن النعمان ، فجلس ، فتحدث ، فثاب إليه أناس ، ثم قال : انطلق بنا إلى أبى سعيد الخدرى ، فإنى قد أخبرت أنه قد اشتكى ، فانطلقنا حتى دخلنا على أبى سعيد الخدرى ، فوجدناه مستلقياً ، واضعاً رجله اليمنى على اليسرى ، فسلمنا ، وجلسنا . فرفع قتادة يده إلى رجل أبي سعيد الخدرى ، فقرصها قرصة شديدة . فقال أبو سعيد : سبحان

---

(١) مازن الأنصار : منهم عبد الله هذا ، وأخوه تميم وابن أخيه عباد بن تميم . وهم كثير ومازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، أخو سليم . وهو إذن منهم ، غير واحد من الصحابة وغيرهم ، ومازن شيبان . منهم أبو عثمان المازني بكر بن محمد . ومازن تميم وفيهم كثرة . وقد قيل : إن أبا عثمان المازني من مازن تميم . من هامش المنذرى .

وسعيد بن المسيب : لم يصح سماعه من عمر ، وأدرك عثمان . ولا يحفظ له عنه رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب فى نقل الحديث [٤ : ٤١٨]

٤٧٠١ ـ عن عبد الملك بن جابر بن عَتيك ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بالحديثِ، ثُمَّ الْتَفَتَ[1] فَهِيَ أَمَانَةٌ » .

وأخرجه الترمذى وقال : حسن ، إنما نعرفه من حديث ابن أبى ذئب . هذا آخر كلامه .

وفى إسناده : عبد الرحمن بن عطاء المدنى . قال البخارى : عنده مناكير . وقال أبو حاتم الرازى : شيخ . قيل له : أدخله البخارى فى كتاب الضعفاء ؟ قال : يُحَوَّل من هناك .

وقال الموصلى : عبد الرحمن بن عطاء عن عبد الملك بن جابر : لا يصح .

الله ياابن أم أوجعتنى ، قال : ذلك أردت — فذكر حديث الاستلقاء — وقال فيه : لا ينبغى لأحد من خلقى أن يفعل مثل هذا » .

فهذا الحديث له علتان .

إحداهما : انفراد فليح بن سليمان به ، وقد قال عباس الدورى : سمعت يحيى بن معين يقول: فليح بن سليمان لا يحتج بحديثه ، وقال فى رواية عثمان الدارمى : فليح بن سليمان ضعيف . وقال النسائى : ليس بالقوى .

والعلة الثانية : أنه حديث منقطع ، فإن قتادة بن النعمان مات فى خلافة عمر ، وصلى عليه عمر . وعبيد بن حنين ، مات سنة خمس ومائة ، وله خمس وسبعون سنة فى قول الواقدى ، وابن بكير ، فتكون روايته عن قتادة بن النعمان منقطعة ، والله أعلم .

---

(١) فى التفاته : إعلام لمن يحدثه : أنه يخاف أن يسمع حديثه أحد . وأنه قد خصه بسره فكان الالتفات قائماً مقام قوله : اكتم هذا عنى ، وهو أمانة عندك .اهـ من هامش المنذرى

٤٧٠٢ ـ وعن ابن أخى جابر بن عبد الله، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المجَالِسُ بالْأَمَانات [١]، إلاَّ ثَلاثة مَجالِسٍ : سَفْكُ دم حرام، أو فرجٌ حرام، أو اقتطاعُ مالٍ بغير حق »

ابن أخى جابر : مجهول .

وفى إسناده : عبد الله بن نافع الصائغ مولى بنى مخزوم، مدنى . كنيته : أبو محمد . وفيه مقال .

٤٧٠٣ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ من أعظم الأمانةِ عندَ الله يوم القيامةِ : الرجلَ يُفضى إلى امرأته وتُفضِى إليه، ثم يَنْشُر سِرَّها » .

وأخرجه مسلم .

وفى لفظ لمسلم « إن من أشَرَّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة : الرجل يُفضى إلى امرأته، وتفضى إليه، ثم ينشر سرها [٢] »

---

(١) والأمان والأمانة : واحد . وقيل : إن البـاء : تتعلق بمحذوف . والتقدير : أن المجالس تحسن بالأمانة، أو ترض بالأمانة وما أشبه ذلك . فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : ليكن صاحب المجلس أمينا، لا ينم ما عسى أن يجلب على صاحبه شراً . وفائدة الحديث، النهي عن النميمة التى ربما تؤدى إلى القطيعة . من هامش المنذرى

(٢) قيل ذلك : من وصف ما يفعله معها، وكشف حالها فيه . فإنه من كشف العورة . ولا فرق بين كشف العورة بالنظر أو بالوصف . وأما ذكر مجرد المجامعة والخبر عنـه على الجملة : فغير منكر . إذا كان لفـائدة ومعنى، كما قال صلى الله عليه وسـلم « إنى لأفعله أنا وهذه » يشير إلى عائشة . وقوله صلى الله عليه وسلم لأبى طلحة حين شكا إليه أم سليم زوجته :

« هل أحرستم الليلة ؟ » وذكر ذلك لغير فائدة ليس من مكارم الأخـلاق، ولا من حديث أهل المروءات والسمت . اهـ من هامش المنذرى .

باب فى القَتَّات [٤ : ٤١٩]

٤٧٠٤ ـ عن حذيفة ـ وهو ابن اليمان رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

باب فى ذى الوجهين [٤ : ٤١٩]

٤٧٠٥ ـ عن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مِنْ شَرِّ النَّاسِ : ذُو الْوَجْهَيْنِ ، الذِى يَأْتِى هٰؤُلاَء بِوَجْهٍ ، وهٰؤُلاَء بِوَجْهٍ[1] » .

وأخرجه مسلم .

وأخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن أبى هريرة .

٤٧٠٤ ـ قال الشيخ : « القتات » النمام ، وهو القساس أيضاً .

والنميمة : نقل الحديث على وجه التضرية[2] بين المرء وصاحبه .

قلت : وإذا كان الناقل لما يسمعه آثماً ، فالكاذب القائل ما يسمعه : أشد إثماً وأسوأ حالاً

---

(١) قال بعضهم : هـذا ليس فيما طريقه الإصلاح والخير ، بل فى الباطل والكذب وتزيينه لكل طائفة عملها وتقبيحه عند الأخرى ، وذم كل واحدة عند الأخرى ، بخلاف الإصلاح المرغب فيه ، وأن يأتى كل طائفة بكلام فيه صلاح للأخرى ، ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى . وينقل لها الجميل عنها .

(٢) التضرية : من الضراوى ، بمعنى التحريش .

٤٧٠٦ ـ وعن عمار ـ وهو ابن ياسر رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ »

فى إسناده : شريك بن عبد الله القاضى . وفيه مقال .

باب فى الغيبة [٤ : ٤٢٠]

٤٧٠٧ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه قيل « يارسول الله ، ما الغيبة ؟ قال : ذِكْرُكَ أَخاكَ بما يَكرَهُ . قيل : أفرأيتَ إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إنْ كانَ فيهِ ما تقولُ : فقدِ اغتبْتَهُ ، وإنْ لم يكنْ فيهِ ماتقول : فقد بَهَتَّه[1] »

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى .

٤٧٠٨ ـ وعن أبى حُذيفة ـ وهو سلمة بن صُهيبة ـ عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : « حَسْبُكَ من صَفِيَّةَ كذا وكذا ـ قال غير مُسَدَّد : تعنى قَصيرةً ـ فقال : لقدْ قلتِ كلمةً لو مُزِجتْ بماء البحر لمزجَتْهُ . قالت : وحكيتُ له إنسانًا ، فقال : ما أحبُّ أنى حكيتُ إنسانا وأنَّ لى كذا وكذا[2] » .

---

(١) أى قلت فيه البهتان . وهو الباطل . وقيل . واجهته بما لم يفعل . وقيل : قلت فيه من الباطل ما حيرته به . يقال . بهت الرجل بفتح الباء وكسر الهاء : إذا تحير . وبهت ـ بضم الهاء ـ مثله . وأفصح منها : بهت ـ بضم الباء وكسر الهاء . قال الله تعالى (٢ :٢٨٥ فبهت الذى كفر)

وقال بعضهم : الاغتياب محرم : والغيبة : ذكر الإنسان بما يكره فى غيبته . والبهت : وجهه . وكلاهما مذموم ، كان بحق أو بباطل ، إلا أن يكون بوجه شرعى ، فيقول ذلك فى وجهه على طريق الوعظ والنصيحة . ويستحب فيمن كانت منه . وله التعريض دون التصريح . من هامش المنذرى

(٢) قال بعضهم : الحكاية حرام . إذا كانت على سبيل السخرية والاستهزاء

وأخرجه الترمذى ، وقال : حسن صحيح هذا آخر كلامه .

وصهيبة ـ بضم الصاد المهملة وفتح الهاء وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها باء بواحدة وتاء تأنيث .

٤٧٠٩ ـ وعن سعيد بن زيد رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال « إِنَّ مِنْ أَرْبَي الرِّبا : الاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ المسلمِ بِغَيْرِ حَقٍّ »

٤٧١٠ ـ وعن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ مِنْ أكبر الكبائر : استطالةَ المرء فى عِرْض رَجلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ،ومنَ الكبائر السَّبّتَانِ بالسَّبَّةِ [1] »

٤٧١١ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما عُرِجَ بى مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ منْ نُحاسٍ ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ،فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لُحوم الناس ويَقَعُون فى أعراضهم » .

وذكر أن بعضهم رواه مرسلا .

٤٧١٢ ـ وعن سعيد بن عبد الله بن جُريج ، عن أبى بَرْزَة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ ولَمْ يَدْخُلِ

والاحتقار ، لما فيها من العجب بالنفس والاحتقار للخلق والأذية لهم . وهذا فيما لا كسب فيه من خلق الله عز وجل . فإذا كان مما يكسبون . فإن كان فى معصية جازت حكايتهم على طريق الزجر فيما لا يذهب بالوقار والحشمة . وإن كان فى الطاعة : جازت الحكاية فيه ، إلا أن يتوب العاصى . فلا يجوز ذكر المعصية له . من هامش المنذرى .

(١) هذا الحديث ليس فى رواية اللؤلؤى . ولذا لم يذكره المنذرى ، وقال المزى فى الأطراف : هذا الحديث فى رواية ابن العبد وابن داسة ولم يذكره أبو القاسم الدمشقى .

الإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لاَ تَغْتَابُوا المسلمين، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبع اللهُ عَوْرَتَهُ ، ومن يَتَّبِعِ الله عورتَه يَفْضَحْهُ فى بيته »

سعيد بن عبد الله بن جريج : مولى أبى برزة ، بصرى . قال أبو حاتم الرازى : هو مجهول . وقال ابن معين : ماسمعت أحداً روى عنه إلا الأعمش من رواية أبى بكر بن عيّاش .

٤٧١٣ ـ وعن المستورد ـ وهو ابن شدَّاد القرشى الفِهْرى رضى الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ أَكَلَ بِرَجُل مُسْلِمٍ أَكْلَة(١) ، فإنّ اللهَ يُطْعِمُهُ مِثْلهاَ من نار جَهَنم ، ومن كُسِيَ ثوباً برجل مسلم ، فان الله يَكْسُوه مثله من جهنم ، ومن قام برجُلٍ مَقام سُمْعة ورِياء ، فان الله يقوم به مقام سُمعة ورياء يوم القيامة » .

فى إسناده : بقية بن الوليد ، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان . وهما ضعيفان

٤٧١٤ ـ وعن أبى صالح ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : مَالُهُ ، وَعِرْضُهُ ، وَدَمه ، حَسْبُ(٢) امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ : أَنْ يَحقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ »

---

(١) معناه : الرجل يذهب إلى عدو الرجل ، فيتكلم فيه بغير الجميل يجيزه عليه بجائزة . وهى بالضم : اللقمة و بالفتح : المرة الواحدة مع الاستيفاء . من هامش المنذرى

(٢) « حسب » بسكون السين ، أى يكفيه . ومعناه : المبالغة فى تكثير ما حصل له من الشر بذلك . والصواب ههنا : أن يكون يحقره بالحاء المهمله والقاف ـ أى لا يتكبر عليه ولا يستصغره ، ولا يذله ، ويقل فيه : ولا يخفره ـ بضم الياء وسكون الخاء المعجمة وكسر الفاء وضم الراء المهملة ـ يقال : خفرت الرجل إذا أجرته . وأخفرته : إذا غدرت به وأسلمته . ولم تف بذمته . وأما قوله « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يخفره» فالخلاف فيه أشهر منه فى هذا . وقيد بالوجهين المذكورين . من هامش المنذرى

وأخرجه الترمذى ، وقال : حسن غريب . هذا آخر كلامه .

وقد أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد ، مولى أبى صالح ، عن عامر بن كُريز عن أبى هريرة .

باب من رد عن مسلم غيبة [1] [٤ : ٤٢٢]

٤٧١٥ ـ عن سهل بن معاذ بن أنس الُجهنى ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ حَمَى مُؤْمِناً من مُنَافِقٍ ـ أُراه قال : بَعَثَ اللهُ مَلَكا يَحْمِي لحمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ مِن نارِ جَهنم ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِماً بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ : حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهنم [2] حَتى يَخْرجَ مِمَّا قَال » .

سهل بن معاذ الُجهنى : يكنى أبا أنس ، مصرى ضعيف .

وأخرج هذا الحديث أبو سعيد بن يونس فى تاريخ المصريين من رواية عبد الله بن المبارك عن يحيي بن أيوب باسناد مصرى .

وهكذا أخرجه أبو داود من حديث ابن المبارك أيضاً عن يحيي بن أيوب .

وقال ابن يونس : ليس هذا الحديث فيما أعلم بمصر .

يريد : أنه إنما وقع له من حديث الغُرباء . والله عز وجل أعلم .

٤٧١٦ ـ وعن جابر بن عبد الله ، وأبى طَلحة بن سَهْل الأنصارى رضى الله عنهم ، قالا « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مَا مِن امْرِىءٍ يَخْذُلُ امْرءًا مُسْلِماً فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ ، وَيُنْتَقَصُ فيه مِنْ عِرْضِهِ ، إلاَّ خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ

---

(١) فى عون المعبود « باب الرجل يذب عن عرض أخيه »

(٢) الجسر بفتح الجيم وكسرها : لغتان . وهو ههنا الصراط . وأصله . القنطرة يعبر عليها . من هامش المنذرى

يُحِبُّ فيه نُصْرَتَهُ ، وَمَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِماً فِى مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، وَيُنْتَهَكُ فيه مِنْ حُرْمَتِهِ إِلاَّ نَصَرَهُ اللهُ فِى مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ »

[باب من ليست له غيبة [1]] [٤ : ٤٢٢]

٤٧١٧ ـ وعن أبى عبد الله الْجُشَمى ، عن جُنْدُب ـ وهو ابن عبد الله البجَلى رضى الله عنه ـ قال « جاء أعرابى ، فأناخَ راحلته ثم عَقَلها ، ثم دخل المسجدَ ، فصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم،فلما سَلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أَتَى راحلتَه ، فأطلقها ، ثم ركبَ ، ثم نادى : اللهم ارحمنى ومحمداً ، ولا تُشْرِكْ فِى رَحْمتنا أحداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتقولون هو أضلُّ ، أم بعيرُه ؟ ألم تسمعوا إلى ما قال ؟ قالوا : بلى » .

٤٧١٧ ـ قال الشيخ ابن القيم رحمه الله :

وإدخال أبى داود هذا الحديث هنا يريد به : أن ذكر الرجل بما فيه فى موضع الحاجة ليس بغيبة مثل هذا ، ونظيره ما تقدم من حديث عائشة المتفق عليه « ائذنوا له ، فبئس أخو العشيرة » بوب عليه البخارى « باب غيبة أهل الفساد والريب » وذكر فى الباب عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان من ديننا شيئاً » .

وفى الباب حديث فاطمة بنت قيس لما خطبها معاوية وأبو جهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أما معاوية : فصعلوك ، وأما أبو جهم : فلا يضع العصا عن عاتقه » .

وقالت هند للنبى صلى الله عليه وسلم « إن أبا سفيان رجل شحيح » .

وقال الأشعث بن قيس للنبى صلى الله عليه وسلم فى خصمه « إنه امرؤ فاجر » .

وقال الحضرمى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خصمه « إنه رجل فاجر لا يبالى ماحلف عليه ، وليس يتورع من شىء » رواه مسلم .

---

(١) العنوان زيادة من عون المعبود .

أبو عبد الله ـ هذا ـ هو عباس الجشمى ، ذكره النسائى فى كتاب الكنى

وقد أخرج الترمذى والنسائى وابن ماجة نحواً منه من حديث أبى هريرة . وليس فيه الفصل الأخير .

وأخرجه البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك. وقد تقدم فى الطهارة

باب ما جاء فى الرجل يحل الرجل قد اغتابه [1] [٤ : ٤٢٣]

٤٧١٨ ـ عن قتادة ، قال « أَيَعْجِزُ أحدُكم أن يكون مثلَ أبى ضَيْغم ، أو ضَمْضَم

وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم غيبة مالك بن الدخشم [2] وقال للقائل « إنه منافق لايحب الله ورسوله » : « لا تقل ذاك » .

ورد معاذ بن جبل غيبة كعب بن مالك لما قال الرجل فيه عند النبي صلى الله عليه وسلم « حبسه النظر فى برديه ، والنظر فى عطفيه [3] فقال معاذ : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ماعلمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم » والحديثان متفق عليهما .

وقد أخرج الترمذى عن أبى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » وقال : هذا حديث حسن .

---

(١) هذا الباب بحديثيه ليس من رواية اللؤلؤى . ولذا لم يذكره المنذرى . وقال المزى فى الأطراف : هو من رواية أبى الحسن بن العبد .

(٢) مالك بن الدخشم بن مالك بن غنم ، قيل : شهد بيعة العقبة ، وشهد بلا شك بدراً . وهو الذى أسر يوم بدر سهيل بن عمرو ؛ وهو الذى قال فيه عتبان بن مالك « إنه منافق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ فقال : بلى ، ولا شهادة له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس يصلى ؟ قال : بلى ، ولا صلاة له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولئك الذين نهانى الله عن قتلهم » ولا يصح عنه النفاق ، وقد ظهر من حسن إسلامه : ما يمنع من اتهامه ، وهو الذى أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحرق مسجد الضرار هو ومعن بن عدي . اه من أسد الغابة .

(٣) كان ذلك حين سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طريقه إلى تبوك ، وقصة تخلف كعب وتوبة الله عليه فى سورة التوبة .

ـ شك ابن عبيد ، وهو محمد بن عُبيد بن حساب ـ كان إذا أصبح قال : اللهم إنى قد تَصَدَّقتُ بعِرْضِى على عبادك »

٤٧١٩ ـ وعن عبد الرحمن بن عَجْلان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبى ضمضم ؟ قالوا : ومن أبو ضمضم ؟ قال : رَجُل فيمن كَانَ قَبْلَكُمْ ـ بمعناه ـ قال : عرضى لمن شتمنى »

قال أبو داود : رواه هاشم بن القاسم ، قال : عن محمد بن عبد الله العمى عن ثابت قال : حدثنا أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ بمعناه ـ قال أبو داود : وحديث حماد أصح

باب فى النهى عن التجسس [٤ : ٤٢٣]

٤٧٢٠ ـ عن معاوية ـ وهو ابن أبى سفيان رضى الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنَّكَ إن اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الناسِ أفْسَدْتَهُم أوْ كِدْتَ أنْ تُفْسِدَهُمْ »

قال أبو الدرداء : كلمةً سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها .

٤٧٢١ ـ وعن شُريح بن عُبيد ، عن جُبير بن نُفَير ، وكَثير بن مُرَّة عن عمرو بن الأسود ، والمِقدامِ بن مَعْدِ يكرب ، وأبى أمامة رضى الله عنهم ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنَّ الْامِيرَ إذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِى النَّاسِ أفْسَدَهَمْ »

فى إسناده : إسماعيل بن عَيَّاش . وفيه مقال .

وشريح بن عبيد : حضرمى . شامى . كنيته : أبو الصلت . سمع من معاوية

بن أبى سفيان ، وجبير بن نُفَير . أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنه أسلم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وهو معدود فى التابعين .

وكَثير بن مرة : ذكره عبدان فى الصحابة ، وذكر له حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والحديث مرسل . والذى نص عليه الأئمة : أنه تابعى .

وعمرو بن الأسود : عَنْسِيٌّ حِمْصِى . أدرك الجاهلية ، وروى عن عمر بن الخطاب وغيره ، كنيته : أبو عياض ، ويقال : أبو عبد الرحمن .

والمقدام وأبو أمامة : صحبتهما مشهورة .

٤٧٢٢ ـ وعن زيد ـ وهو ابن وَهْب الجهنى قال « أُتى ابنُ مسعود فقيل : هذا فلانٌ ، تَقْطرُ لحيته خمراً ، فقال عبد الله : إنّا قد نُهينا عن التجَسُّس ، ولٰكن إنْ يظهرْ لنا شيء نأخُذ به »

باب فى الستر على المسلم [٤ : ٤٢٤]

٤٧٢٣ ـ عن أبى الهيثم ـ وهو كثير المصرى ، مولى عُقْبة بن عامر رضى الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « مَنْ رَأَى عَوْرَة فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءودَة »

وأخرجه النسائى .

٤٧٢٤ ـ وعن أبى الهيثم أنه سمع دُخَيْناً[1] كاتبَ عُقْبةَ بن عامر ، قال « كان لنا

---

(١) دخين ـ بالخاء المعجمة وسكون الياء آخر الحروف ، و بعدها نون .

سموا الشرط . لأن لهم علامات وملابس ، يعرفون بهـا من هيئتهم . وقيل : سموا الشرط : من الشرط . وهو رذال المال . لأنهم استهانوا أنفسهم وقيل : سموا شرطاً : لأنهم أعدوا . يقال : أشرط من إبله وغنمه : إذا أعرضها شيئاً للبيع . من هامش المنذرى

جيرانٌ يَشْرَبُونَ الخمر ، فنهيتُهم ، فلم ينتهوا ، فقلت : لعقبة بن عامر : إنَّ جِيرَانَنَا هؤُلاَءِ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ ، وإنى نَهَيْتُهُمْ فَلَمْ ينتَهُوا ، فأنا داعى لهم الشُّرَطَ ، فقال : دَعْهُمْ ثم رجعتُ إلى عُقبة مرَّةً أخرى ،فقلت : إن جيرانَنا قد أَبَوْا أن ينتهوا عن شُرْب الخمر ، وأنا داعى لهم الشُّرَطَ ، قال : وَيْحَكَ دَعْهُم . فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكر معنى حديث مسلم »

يعنى ابنَ ابراهيم الذى قبل هذا .

وأخرجه النسائى .

قال أبو داود : قال هاشم بن القاسم عن ليث ـ يعنى ابن سعد ـ فى هذا الحديث ، قال « لاتفعلْ ، ولكن عظهم وتَهَدَّدهم »

قال ابن شاهين : غريب من حديث إبراهيم بن نَشيط . وذكر أبو سعيد بن يونس : أنه حديث معلول . هذا آخر كلامه .

وقد اختلف فيه على إبراهيم بن نَشيط اختلافا كثيرا .

فروى عنه عن كعب بن عَلقمة عن أبى الهيثم عن عقبة

وروى عنه عن كعب بن علقمة عن أبى الهيثم عن دُخَين عن عقبة ، كما تقدم .

وروى عنه عن كعب بن علقمة عن أبى الهيثم كثير عن مولى القَعنبي عن عقبة .

٤٧٢٥ ـ وعن سالم ـ وهو ابن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهم ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المسْلِم أخُو المسلم ، لا يَظْلِمُهُ ، وَلا يُسْلِمُهُ ، مَنْ كانَ فى حَاجَةِ أخيه ، كانَ اللهُ فى حاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بها كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القيامة»

وأخرجه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر .

وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة بعضه بمعناه .

باب المستبَّان [٤ : ٤٢٥]

٤٧٢٦ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المُستبَّانِ مَا قَالا ، فَعَلَى الْبَادِى مِنْهُمَا ، مَالَمْ يعْتَدِ المَظْلُومُ [(١)] »

---

(١) قيل : ما لم يعتد : أى يجاوز القدر الذى قال له الآخر ، قال الله تعالى (٢: ٦٥ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) قيل : جاوزوا المقدار الذى حُدَّ لهم فيه . وفى الحديث : جواز الانتصار من الظالم ، وقد قال الله تبارك وتعالى (٤٢: ٤١ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل) وقال تبارك وتعالى (٤٢ : ٣٩ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون) . وقد قيل : إن هذا على ظاهره ، وأن الآية محكمة ، والانتصار من الظالم محمود حسن . وقيل : نسختها آية السيف . واستبعد بعضهم النسخ فى مثل هذا ، قال : لأنه خبر . وقيل : ولا يبعد النسخ فيه ، لأنه وإن كان خبراً بمدح من هو بهذه الصفة ، فقد حض على العمل بها . ثم نسخ ذلك .

وأما الخبر الذى لا يدخله النسخ فما كان خبراً عن شىء وقع وأمر كان لامثل هذا ، ومع هذا كله ، فالعفو والصفح أفضل ، قال الله تبارك وتعالى (٢ : ١٠٩ فاعفوا واصفحوا) وقال صلى الله عليه وسلم « ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً » و « سِباب المسلم فسوق » كما قال صلى الله عليه وسلم ، وجعل الإثم ههنا على البادى إذا لم يتعد كثيراً .

ومعناه : أن الثانى رد عليه من سبه مثله ما لا يتعدى إلى غيره من سلف ، وإنما سبه فى نفسه مثل ماسبه به ونحوه مما هو أيضاً غير بهتان ولا كذب ، وقد يكون التعدى الذى منع منه هذا : ذكر مالايباح له ذكره بحال من سبه بكذب أو ببهتان ، وإن كان الأول قد رماه به ، أو من ذكر سلفه وغير نفسه ، أو بالزيادة فى نوع سبه ، وإن كان مما قد يجوز سب المرء به عند التأديب ، كالأحمق والجاهل والظالم ، لأن أحداً لاينفك من بعض =

وأخرجه مسلم والترمذى .

[باب فى التواضع [1]] [٤ : ٤٢٥]

٤٧٢٧ ـ عن عِياض بن حِمار رضى الله عنـه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ أَوْحَى إلَىَّ : أَنْ تَوَاضعُوا ، حَتَّى لايَبغِى أحدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلاَ يَفْخَرْ أحدٌ عَلَى أَحدٍ » .

وأخرجه ابن ماجة .

باب فى الانتصار [٤ : ٤٢٥]

٤٧٢٨ ـ عن سعيد بن المسيب رضى الله عنهما ، أنه قال « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، ومعه أصحابه ، وَقَع رجلٌ بأبى بكر ، فآذاه ، فصَمَت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثانية ، فصَمَت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة ، فانتصرَ منه أبو بكر ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين انتصر أبو بكر ، فقال أبو بكر : أَوَجَدْتَ عليَّ يارسول الله ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نزلَ ملكٌ من السماء يُكذِّبُهُ بما قال لك ، فلما انتصرتَ وقَع الشيطان ، فلم أكُن لأجلسَ إذ وقَعَ الشيطانُ »

هذا مرسل .

= هذه الصفات إلا الأنبياء والأولياء ، فهو إذا كافأه فسبه فلا حرج عليه ، و بقى الإثم على الأول بابتدائه وتعرضه لذلك .

وقد يقال : إنما يرتفع عنه حق صاحبه وتباعته ، و يبقى حق الله فى تعديه لعرض صاحبه وقد يقال : إن الإثم لايرتفع بانتصاف هذا منه ، و يكون قوله : « على البادىء » أى اللوم والذم لتعرضه لذلك ، اه من هامش المنذرى .

(٢) العنوان من عون المعبود .

٤٧٢٩ ـ وعن سعيد بن أبى سعيد ـ وهو المقبُرى ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رجلا كان يسبُّ أبا بكر ـ وساق نحوه » .

وذكر البخارى فى تاريخه : المرسل والمسند بعده . وقال : والأول أصح .

٤٧٣٠ ـ وعن ابن عون ـ وهو عبد الله ـ قال « كنت أسألُ عن الانتصار (٤٢ : ٤١ ولمن انتصرَ بعدَ ظُلْمِهِ فأولٰئكَ ماعليهم مِنْ سَبيلٍ) فحدثنى على بن زيد بن جُدعان ، عن أم محمد ، امرأة أبيه ـ قال ابن عون : وزعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين ـ يعنى عائشة رضى الله عنها قالت : قالت أم المؤمنين : دخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندنا زينبُ بنتُ جَحْش ، فجعل يصنع شيئاً ، فقلت بيده ، حتى فَطَّنته لها ، فأمسَكَ ـ وأقبلتْ زينبُ تَقَحَّم لعائشة رضى الله عنها فنهاها ، فأبتْ أن تنتهيَ ، فقال لعائشة : سُبِّيها . فسبَّتها ، فغلَبتْها فانطلقتْ زينبُ إلى على رضى الله عنه ، فقالت : إن عائشةَ رضى الله عنها وقعتْ بكم ، وفعلتْ ، فجاءت فاطمةُ ، فقال لها : إنها حِبَّةُ أبيك ، ورَبِّ الكعبة فانصرفت ، فقالت لهم : إنى قلتُ له كذا وكذا ، فقال لى كذا وكذا ، قال : وجاء على رضى الله عنه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فكلمه فى ذلك »

على بن زيد بن جُدْعان : لايحتج بحديثه .

وأم محمد ـ هذه ـ مجهولة .

٤٧٣٠ ـ قال الشيخ : قولها « تقحم » معناه تعرّض لشتمها ، وتتدخل عليها ، ومنه قولهم « فلان يتقحم فى الأمور » إذا كان يقع فيها من غير تثبت ولا رَوِيَّة .

وفيه من العلم : إباحة الانتصار بالقول ممن سبَّكَ من غير عدوان فى الجواب .

باب فى النهى عن سب الموتى [٤ : ٤٢٦]

٤٧٣١ ـ عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ ، لَا تَقَعُوا فِيهِ » .

٤٧٣٢ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُم ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ » .

وأخرجه الترمذى ، وقال : غريب . سمعت محمداً ـ يعنى البخاري ـ يقول : عمران بن أنس منكر الحديث . هذا آخر كلامه .

وقال أبو جعفر العُقَيلي : لا يتابع على حديثه ، وذكر له حديث الربا .

وقال أبو أحمد الكرابيسي : حديثه ليس بالمعروف . وذكر له حديث الربا أيضاً .

وحديث الربا هو : « لَدِرهمُ ربًا أعظم حَوْباً عند الله من سبعة وثلاثين زنية » .

وذكر البخارى حديثه فى الربا ، وقال : هذا لا يتابع عليه .

فى النهى عن البغي [٤ : ٤٢٧]

٤٧٣٣ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كَانَ رَجُلَانِ فِى بَنِى إِسرائيل مُتَوَاخِيَيْنِ ، فكان أحدُهما يُذْنِبُ ، والآخرُ مجتهد فى العبادة ، فكان لا يزالُ المجتهدُ يَرَى الآخرَ على الذنب .

٤٧٣١ ـ قال الشيخ ابن القيم رحمه الله :

وقد روى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تسبوا الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » .

وأخرج النسائى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا » وفى الحديث قصة ، وقدتقدم. والله أعلم

فيقول : أُقْصِرْ ، فوجدَهُ يوماً على ذنبٍ ، فقال له : اقصر ، فقال : خَلِّنِي وربِّى ، أَبعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا ؟ فقال : والله لايغفرُ الله لك ، أو لا يُدخلك الجنة ، فقبضَ أرواحَهما ، فاجتمعا عندَ رَبِّ العالمين ، فقال لهذا المجتهد : أ كنت بى عالماً ؟ أو كنتُ على ما فى يدي قادراً ؟ وقال للمذنب : اذهبْ ، فادخُلْ الجنة برحمتى ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار . قال أبو هريرة : والذى نفسى بيده لتَـكَلَّمَ بكلمة أوبقَتْ دنياه وآخرتَه » .

فى إسناده : على بن ثابت الجَزَرِى ، قالَ الأزدى : ضعيف الحديث .

وقال أبو حاتم : يكتب حديثه .

وقال ابن معين : ثقة . وقال أبو زرعة : ثقة ، لا بأس به .

٤٧٣٤ ـ وعن أبى بَكْرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْـدَرَ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تعالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ ما يَدَّخِرَه لهُ فِي الآخرة : مِثْلُ البَغْيِ ، وَقَطِيعَةِ الرَّحمِ » .

وأخرجه الترمذى وابن ماجة . وقال الترمذى : صحيح .

باب فى الحسد [٤ : ٤٢٧]

٤٧٣٥ ـ عن إبراهيم بن أَسِيد [1] ، عن جده ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن

٤٧٣٥ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

وفى سنن ابن ماجة من حديث أبى الزناد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

---

(١) يقال : ابن أبى أسيد . وقال الحافظ أبو القـاسم الدمشقى فى الأشراف : جد ابراهيم بن أبى أسيد : البراد ، وأظنه سالما ، عن أبى هريرة . هذا آخر كلامه .

فإن كان جده سالما البراد : فهو كوفى ، كنيته : أبو عبدالله . وهو ثقة . اه من هامش المنذرى . وفى التهذيب : ذكره ابن حبـان فى الثقات ، وذكر الخلاف فى « أسيد » هل هو بضم الهمز أو بفتحها » .

النبي صلى الله عليه وسلم قال « إيَّاكُم وَالْحَسَدَ ، فإنّ الحسدَ يأكُلُ الحسناتِ كما تأكُلُ النَّارُ الحطبَ ـ أو قال : العُشْب » .

جد إبراهيم : لم يُسمَّ ، وذكر البخارى إبراهيم هـذا فى التاريخ الـكبير . وذكر له هذا الحديث ، وقال : لا يصح .

٤٧٣٦ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يقول : لا تُشَدِّدُوا على أنفسكم ، فيُشدَّد عليكم . فإن قوماً شَدَّدُوا على أنفُسهم فشَدَّد الله عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديار (٥٧:٢٧ رهبانيةً

٤٧٣٦ ـ قال الشيخ : « فاذا هو يصلي صلاة خفيفة ذفيفة »[(١)] والذفيفة ، الخفيفة ، يقال : رجل خفيف ذفيف ، وخفاف ذفاف بمعنى واحد .

«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار، والصلاة نور المؤمن ، والصيام جنة من النار » .

ولما كان الحاسد يكره نعمة الله على عباده ، والمتصدق ينعم عليهم ، كانت صدقة هذا ونعمته تطفيء خطيئته وتذهبها ، وحسد هذا وكراهته نعمة الله على عباده : تذهب حسناته .

ولما كانت الصلاة مركز الإيمان ، وأصل الإسلام ، ورأس العبودية ، ومحل المناجاة والقربة إلى الله ، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو مصل ، وأقرب ما يكون منـه فى صلاته ، وهو ساجد : كانت الصلاة نور المسلم .

ولما كان الصوم يسد عليه باب الشهوات ، ويضيق مجارى الشيطان : ولا سيما باب الأخوفين: الفم والفرج ، اللذين ينشأ عنهما معظم الشهوات : كان كالجنة من النار ، فانه يتترس به من سهام إبليس .

وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » .

---

(١) هذا اللفظ فى رواية ابن داسة شيخ الخطابى ، وهى التى قد اعتمدها فى الشرح .

ابتدعوها ما كتبناها عليهم[1]) » .

---

(١) وفى نسخة عون المعبود : نص الحديث هكذا : عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء « أن سهل بن أبى أمامة حدثه : أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة ، فى زمان عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير المدينة ، فاذا هو يصلى صلاة خفيفة ذفيفة ، كأنها صلاة مسافر ، أو قريبا منها ، فلما سلم قال أبى : يرحمك الله ، أرأيت هذه الصلاة المكتوبة ، أو شيء تنفلته ؟ قال : إنها المكتوبة ، و إنها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماأخطأت إلا شيئاً سهوت عنه ، فقال : « إن رسول الله ـ الحديث ـ قال : ثم غدا من الغد ، فقال : ألا تركب لتنظر ولتعتبر ؟ قال : نعم ، فركبوا جميعاً ، فاذا هم بديار بادَ أهلُها وانقضوا وفنوا خاوية على عروشها ، فقال : أتعرف هذه الديار ؟ فقلت : ما أعرفنى بها و بأهلها ، هذه ديار قوم أهلكهم البغى والحسد ، إن الحسد يطفىء نور الحسنات ، والبغى يصدق ذلك أو يكذبه ، والعين تزنى والكف والقدم والجسد واللسان ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » .

قال فى عون المعبود : ومن قوله « ثم غدا من الغد ـ إلى قوله ـ والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » يوجد فى بعض النسخ ، ولم يوجد في بعضها ، ولذا لم يذكره المنذرى والله أعلم .

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله فى كتاب الصلاة له (ص٦٤٥ مجموعة الحديث النجدية طبع المنار) على هذا الحديث ، وهو كلام حسن نافع جداً . قال :

وأما حديث سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء ، ودخول سهل بن أبى أمامة على أنس بن مالك فاذا هو يصلى صلاة خفيفة — الحديث » فهذا مما تفرد به ابن أبى العمياء . وهو شبه المجهول ، والأحاديث الصحيحة عن أنس كلها تخالفه ، فكيف يقول أنس هذا ؟ وهو القائل « إن أشبه من رأى صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم : عمر بن عبد العزيز ، وكان يسبح عشراً عشراً » وهو الذى كان يرفع رأسه من الركوع حتى يقال : قد نسى ، وكذلك بين السجدتين ،و يقول « ما آلو أن أصلى بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهو الذي يبكى على إضاعتهم الصلاة ؟ و يكفى فى رد حديث ابن أبى العمياء ما تقدم من الأحاديث الصحيحة الصريحة التى لامطعن فى سندها ، ولا شبهة فى دلالتها ، فلو صح حديث ابن أبى العمياء ـ وهو بعيد عن الصحة ـ لوجب حمله على أن تلك صلاة رسول الله =

باب فى اللعن [٤ : ٤٢٩]

٤٧٣٧ ـ عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا ، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وشِمَالاً ، فإذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ ، فإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً ، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا » .

٤٧٣٨ ـ وعن الحسن ـ وهو البصرى ـ عن سَمُرة بن جُنْدُب رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تَلاعَنُوا بلعنة الله ، ولا بِغَضَب الله ، ولا بالنار »

٤٧٣٧ ـ قال الشيخ ابن القيم رحمه الله :

وفى الصحيحين عن ثابت بن الضحاك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن المؤمن كقتله » .

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا ينبغى لصديق أن يكون لعاناً » .

وفى الترمذى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذى » وقال : حديث حسن .

= صلى الله عليه وسلم للسنة الراتبة ، كسنة الفجر والمغرب والعشاء وتحية المسجد ونحوها ، لا أن تلك صلاته التى كان يصليها بأصحابه دائماً ، وهذا مما يقطع ببطلانه ، وترده سائر الأحاديث الصحيحة الصريحة ، ولا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخفف بعض الصلاة كما كان يخفف سنة الفجر ، حتى تقول عائشة أم المؤمنين « هل قرأ فيها بأم القرآن ؟ » وكان يخفف الصلاة فى السفر ، حتى كان ربما قرأ فى الفجر بالمعوذتين ، وكان يخفف إذا سمع بكاء الصبى ، فالسنة التخفيف حيث خفف ، والتطويل حيث طول ، والتوسط غالباً ، فالذى أنكره أنس : هو التشديد الذى لا يخفف صاحبه على نفسه ، مع حاجته إلى التخفيف ولا ريب أن هذا خلاف سنته وهديه صلى الله عليه وسلم .

وأخرجه الترمذى ، وقال : حسن صحيح . هذا آخر كلامه .

وقد تقدم اختلاف الأئمة فى سماع الحسن من سمرة .

٤٧٣٩ ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ[1] » .

وأخرجه مسلم .

٤٧٤٠ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أَنَّ رَجُلاً لَعَنَ الريح ـ وقال مسلم ، وهو ابن إبراهيم : إِنَّ رجلاً نازعته الريح رِدَاءه على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فَلَعَنَهَا ـ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تَلْعَنْهَا فإنها مأْمُورَةٌ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شيئًا ، لَيْسَ لَهُ بأهل ، رَجَعَت اللعْنَةُ عليه » .

وأخرجه الترمذى ، وقال : غريب ، لا نعلم أحداً أسنده عن بشر بن عمر . هذا آخر كلامه .

وبشر بن عمر ـ هذا ـ هو الزهرانى ، احتج به البخارى ومسلم .

---

(١) فيه ثلاثة أقوال : أصحها وأشهرها :لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات ، والثانى : لايكونون شهداء فى الدنيا ، أى لاتقبل شهادتهم بفسقهم والثالث : لايرزقون الشهادة بالقتل فى سبيل الله ، كذا قال النووى فى شرح مسلم .

وبهامش المنذرى : اللعن فى اللغة : الإبعاد والترك . وصار استعماله فى الدعاء : الإبعاد من رحمة الله . وليس هذا من خلق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر ، وأنهم كالجسد الواحد ، وكالبنيان يشد بعضه بعضا ، وأنه يحب لأخيه مايحب لنفسه . فإذا دعا على أخيه بالإبعاد من رحمة الله . فهو ضد الشفاعة والشهادة المقتضيين للإشفاق والرحمة . وهذا غاية مايوده الـكافر . وقد يكون هذا فى اللعانين عقابا لهم ونقصا فى منازلهم ، فحرموا الشفاعة والشهادة بفعلهم ضدها من اللعنة .

باب فيمن دعا على من ظلمه [٤ : ٤٣٠]

٤٧٤١ ـ عن عائشة رضى الله عنها ، قالت « سُرق لها شئ ، فجعلت تدعو عليه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُسَبِّخِي عَنْهُ[1] » .

وقد تقدم فى كتاب الصلاة .

باب فيمن يهجر أخاه المسلم [٤ : ٤٣٠]

٤٧٤٢ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ[2] » .

٤٧٤١ ـ قال الشيخ : قوله « لا تسبخى » معناه : لاتخفنى عنه العقوبة بدعائك عليه ، ومن هذا سبائخ القطن ، وهى القطع المتطايرة عن النَّدف .

وقال أعرابى فى كلامه : الحمد لله على تسبيخ العروق ، وإساغَة الريق .

٤٧٤٢ ـ قال الشيخ : قوله « لا تدابروا » معناه : التهاجر والتصارم ، مأخوذ من تولية الرجل دُبره أخاه إذا رآه وأعرضَ عنه .

---

(١) فى النهاية « لا تسبخى » بالخاء المعجمة ، أى لا تخففى عنه الإثم الذى استحقه بالسرقة ، بدعائك عليه . يقال : سبخ الله عنك الحمى : أى خففها .

(٢) بهامش المنذرى : قال بعضهم « لا تباغضوا » إشارة إلى النهى عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض والمخالفة و « لا تنافسوا » أى لا تتباروا فى الحرص على الدنيا والرغبة فى ذلك ، ولا فى غيرها من سبل الخير . وفى المنافسة : معنى من معانى التحاسد ـ ثم ذكر فى التدابر ما ذكر الخطابى ، ثم قال ـ : وقيل : لاتول أخاك دبرك استثقالا ، بل ابسط له وجهك . وقيل : لاتقاطعه الأبد . من قولهم : قطع الله دابره .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

٤٧٤٣ ـ وعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ : يَلْتَقِيَانِ ، فَيُعْرِضُ هٰذَا وَيُعْرِضُ هٰذَا ، وَخَيْرُهُمَا الذى يبدأ بالسلام [١] » .

وقال المؤرِّج : قوله « ولا تدابروا » معناه : آسوا ، ولا تستأثروا .

واحتج بقول الأعشى :

ومستدبر بالذى عنده عن العاذلات وإرشادها

وقال بعضهم : إنما قيل للمستأثر : مستدبر ، لأنه يولى أصحابه دُبُرَه إذا استأثر بشىء دونهم

وأما الهجران أكثر من ذلك : فإنما جاء ذلك فى هجران الرجل أخاه فى عتب وَمَوجِدة ، أو لنَبْوَة تكون منه ، فرخص له فى مدة ثلاث لقلتها ، وجعل ماوراءها تحت الحظر .

فأما هجران الوالد الولد ، والزوج الزوجة ، ومن كان فى معناهما : فلا يضيق أكثر من ثلاث ، وقد هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً .

قال بعضهم : مقتضاه من دليل الخطاب : أن الهجرة فى الثلاث معفو عنها . وإنما الحرج فيما بعد الثلاث . لأن البشر لا بد لهم من مغاضبة وسوء خلق ووجد لأمر يقع بينهم فعفى عن الثلاث .

وقيل يحتمل السكوت عن حكمها لتطلب فى الشرع ماوراءها ـ ثم ذكر كلام الخطابى فى الهجران ثم قال ـ : وذكر غير الخطابى : أن هجرة أهل البدع والأهواء دائمة على ممر الأوقات والأزمان ، مالم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق ، فأمر بهجرانهم نحو خمسين يوما . وقد هجرت عائشة ابن الزبير مدة . وقال بعضهم : ولعل أحد الأمرين منسوخ بالآخر . وفيما قاله نظر . فإن الجمع ممكن ومعرفة المتقدم والمتأخر متعذرة .

(١) بهامش المنذرى : وخيرهما أى أفضلهما وأكثرهما ثوابا . قال : احتج به من يرى أن السلام يقطع الهجرة ويزيل الحرج ، وإن لم يكلمه . وهو مذهب مالك وغيره . وقال أحمد بن حنبل وغيره : إن كان يرد به فلا يقطع السلام هجرته .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى

٤٧٤٤ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحلُّ لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاثٍ ، فإن مَرَّتْ به ثلاثٌ فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عليه ، فإن ردَّ عليه السلام فقد اشتركا فى الأجْرِ ، وإن لم يرُدّ عليه فقد باء بالإثم ـ زاد أحمد ، وهو ابن سعيد السَّرَخسى ـ وخَرَجَ الْمُسَلِّمُ من الهجرة ».

رواه عن أبى هريرة : هلال بن أبي هلال ، مولى بني كعب ، مدينى . قال الإمام أحمد : لا أعرفه .

وقال أبو حاتم الرازى : ليس بالمشهور .

٤٧٤٥ ـ وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يكون لمسلمٍ أن يَهْجُرَ مسلماً فوق ثلاثةٍ . فإذا لقيه سَلَّم عليه ثلاث مراتٍ ، كلُّ ذلك لا يرد عليه ، فقد باء بإثمه » .

٤٧٤٦ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يَحِلُّ لمسلمٍ أنْ يهجر أخاه فوق ثلاثٍ ، فمن هجر فوق ثلاث فماتَ دخلَ النارَ » .

وأخرجه النسائى .

٤٧٤٧ ـ وعن أبي خِراش السُّلمى رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ هَجَرَ أَخاه سَنَةً فهو كسَفْكِ دمه[1] » .

أبو خراش : بكسر الخاء المعجمة ، وفتح الراء المهملة ، وبعد الألف شين

---

(١) بهامش المنذرى : يحتمل أن معناه : أن عليه الاثم بهذه الهجرة كالإثم على قتله وقد قيل هذا فى الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم : وفيه « لعن المؤمن كقتله»

معجمة ـ اسمه : حَدْرَد بن أبى حدرد . ويقال فيه: الأسلمى أيضاً . يُعَدُّ فى المدنيين .
حديثه عند أهل مصر .

٤٧٤٨ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تُفْتَح أبوابُ الجنة كلَّ يومِ اثنين وخميسٍ ، فيُغفر فى ذلك اليومين لكلِّ عبدٍ لا يشرك بالله شيئاً ، إلا من بينه وبين أخيه شَحْنَاء ، فيقال : أَنْظِروا هٰذَيْن حتى يَصْطَلِحَا » .

[قال أبو داود : النبى صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه أربعين يوماً ، وابن عمر هجر ابناً له إلى أن مات] .

قال أبو داود : إذا كانت الهجرة لله ، فليس من هـذا بشىء ، وعمرُ بن عبد العزيز غَطَّى وجهه عن رجل .

وأخرجه مسلم والترمذى .

باب فى الظن [٤ : ٤٣٢]

٤٧٤٩ ـ عن أبى هريره رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ . فإن الظنَّ أكذبُ الحديث ، ولاتَحَسَّسُوا ، ولاتَجَسَّسُوا [1] »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذي .

٤٧٤٩ ـ قال الشيخ : قوله « إياكم والظن » يريد : إياكم وسوء الظن وتحقيقه ، دون مبادىء الظنون التى لا تملك .

---

(١) بهامش المنذرى : قيل التحسس ـ بالحاء ـ أن يطلبه لنفسه ـ وبالجيم ـ أن يطلبه لغيره . وقيل : بالجيم البحث عن العورات ، وبالحاء : الاستماع . وقيل : معناهما واحد فى تطلب معرفة الأخبار . وقيل بالجيم : التفتيش عن بواطن الأمور . وأكثر ما يقال ذلك فى الشر . والجاسوس : صاحب سر الشر والناموس : صاحب سر الخير . وقيل بالجيم =

باب فى النصيحة [٤ : ٤٣٢]

٤٧٥٠ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال « المؤمن مرآةُ المؤمن ، والمؤمنُ أخو المؤمن : يَكُفُّ عليه ضَيْعَتَه ، ويَحُوطه مِنْ ورائه [(١)] » .

وقوله « لا تجسسوا » معناه : لا تبحثوا عن عيوب الناس ، ولا تتبَّعُوا أخبارهم .
والتحسس ـ بالحاء ـ طلب الخبر . ومنه قوله سبحانه(١٢: ٨٧ يا بَنِيَّ اذهبوا فتَحَسَّسوا من يوسف وأخيه)

و يقال : تجسست الخبر ، وتحسست : بمعنى واحد .

= فى الشر خاصة ، و بالحاء فى الشر والخير جميعا . وقيل : بالجيم إذا تخبر الأخبار من غيره بالسؤال والبحث عن عورات الناس ، و بالحاء : إذا تولى ذلك بنفسه .

وكان أبو بكر بن مقسم يذهب بالجيم إلى الاجتهاد فى الطلب و يقع على جميع الجوارح و يذهب بالحاء إلى التسمع ومد العين من قولك : أحسست الشىء : إذا سمعت حسه .

وقوله « إياكم والظن » قيل : هو تحقيق الظن دون مايهجس فى النفس . فإن ذلك لا يملك . وقال سفيان : الظن الذى يأثم به : أن يظن ظنا و يتكلم به . فإن لم يتكلم لم يأثم . وقيل : يحتمل الحكم فى دين الله سبحانه بالظن المجرد ، دون بناء على أصل ولا تحقيق نظر واستدلال

(١) بهامش المنذرى : قيل « المرأة » بكسر الميم : مفعلة من الرؤية ، كأنها آلة الرؤية والمعنى : أن المؤمن يحكى لأخيه المؤمن جميع ما يراه منه . فإن كان حسنا زينه له ليزداد منه و إن كان قبيحاً نبهه عليه لينتهى عنه ، كما روى عن عمر رضى الله عنه « رحم الله من أهدى إلى عيو بى » وقوله « أخ المؤمن الأخ : المشارك للأخ فى الولادة من الطرفين ، أو أحدهما ، أو من الرضاعة . و يستعمل الأخ فى المشارك بغيره فى القبيلة أو الدين ، أو الضيعة أو المعاملة أو غير ذلك من المناسبات . =

في إسناده : كثير بن زيد ، أبو محمد المدنى ، مولى الأسلميين .

قال ابن معين : ليس بذاك القوى . وقال مرة : ثقة . وقال مرةً صدوق ، فيه لين . وقال مرةً : ليس بشيء .

وقال أبو حاتم الرازى : ليس بالقوى ، يكتب حديثه ، وقال النسأئى : ضعيف .

باب فى إصلاح ذات البين [٤ : ٤٣٢]

٤٧٥١ ـ عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بأفضل من درجةِ الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى ، قال : إصلاحُ ذاتِ البَيْن ، وفسادُ ذاتِ البَيْن : الحالِقَةُ » .

وأخرجه الترمذى . وقال : صحيح .

وقال أيضاً : ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال « هى الحالقة ، لا أقول : هي تَحْلِق الشعَرَ ، ولكن تحلق الدين » .

٤٧٥٢ ـ وعن حُميد بن عبد الرحمن ، عن أمه ـ وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبى مُعَيط القرشية الأُمَوية ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لم يَكْذِبْ من نَمَى بين اثنين ليُصْلح ـ وقال أحمد ، وهو ابن محمد بن شَبُّويَه ومسدد ، ـ : ليس

= ومعنى الحديث : أن المؤمن ينبغى أن يحافظ على المؤمن محافظته على أخيه ، فيسره ما يسره ، ويسوءه ما يسوءه ، ويعد جميع أحواله مثل أحوال أخيه المناسب .

وضيعة الرجل : ما يكون من معاشه : من صناعة أو غلة أو غير ذلك . قال شمر : ويدخل فيها الحرفة والتجارة .

بالكاذب من أصلح بين الناس ، فقال : خيراً ، أو نَمَى خيراً [(١)] » .

٤٧٥٣ ـ وعنه ، عن أمه أم كُلثوم بنتِ عُقْبة ، قالت : « ما سمعتُ رسول الله

٤٧٥٣ ـ قال الشيخ : هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ، ومجاوزة الصدق ، طلباً للسلامة ، ودفعاً للضرر عن نفسه .

وقد رخص فى بعض الأحوال فى اليسير من الفساد ، لما يؤمل فيه من الصلاح .

والكذب فى الإصلاح بين اثنين : هو أن يَنْمِي من أحدهما إلى صاحبه خيراً ، أو يُبلغه جميلاً ، وإن لم يكن سمعه منه ولا كان أذن له فيه ، يريد بذلك الإصلاح .

والكذب فى الحرب : هو أن يظهر من نفسه قوة ، ويتحدث بما يَشْحَذُ به بصيرة أصحابه ، ويقوى مُنَّتَهم ، ويكيد به عدوهم فى نحو ذلك من الأمور .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الحرب خدعة » .

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه كثيراً مايقول فى حروبه « صدق الله ورسوله » فيتوهم أصحابه أنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان يقول « إنما أنا رجل محارب » .

فأما كذب الرجل على زوجته : فهو أن يعدها ويُمنيها ويُظْهر لها من المحبة أكثر مما فى نفسه ، يستديم بذلك محبتها ، ويستصلح به خلقها .

---

(١) نميت الحديث : إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخيرة ، بتخفيف الميم ، فإذا بلغته على وجه إفساد ذات البين ، قلت : نميته ـ مشدد الميم ـ وقال إبراهيم الحربى : أكثر المحدثين يقولون « ونما خيراً » بتخفيف الميم . وهذا لا يجوز فى النحو . والنبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن . ومن خفف الميم لزمه أن يقول : « خير » بالرفع .

وهذا الذى قاله الحربى : خلاف ما قاله الأئمة فى ذلك . فقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة والأصمعى والهروى والجوهرى والزمخشرى وغيرهم : أنه مخفف فى الإصلاح ، مشدد فى الإفساد . وذكر بعضهم كلام الحربى . وقال : هذا ليس بشىء . فإنه ينتصب بنمى ، كما ينتصب بقال . وذكر أن نما متعد ؟ كما ذكره الأئمة .

صلى الله عليه وسلم يُرَخِّصُ فى شيءٍ من الـكذب، إلا فى ثلاثٍ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا أعدُّه كاذباً : الرَّجلُ يُصْلِح بين الناس يقول القول ، ولا يريدُ به إلا الإصلاحَ ، والرجلُ يقول فى الحرب ، والرجلُ يُحدِّث امرأته ، والمرأة تحدث زوجها [1] » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسأئى مختصراً ومطولا .

باب فى النهى عن الغناء [٤ : ٤٣٣]

٤٧٥٤ ـ عن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ بن عَفْرَاء رضى الله عنها قالت « جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلَ عليَّ صَبيحَةَ بُنِيَ بى [2] ، فجلس على فِراشي ، كمجلِسك مِنِّي ، فجعَلَتْ جُويرياتٌ يَضْرِبْنَ بدُفٍّ لهن ويَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ من آبائى يوم بَدْرٍ

(١) بهامش المنذرى : اختلف فى الجائز من هذا . فحمله قوم على الإطلاق ، وأجازوا قول من لم يكن فى ذلك لما فيه من الصلاح . وأن الـكذب المذموم : إنما هو ما فيه مضرة المسلمين .

وقال آخرون : لا يجوز الـكذب فى شيء من الأشيـاء ، ولا الخبر عن شيء بخلاف مخبره . وما جاء من هذا فانما هو من التورية وطريق المعاريض . فيعد زوجته ونيته فى ذلك إن قدر الله تعالى . أو إلى مدة . وكذلك فى الإصلاح بين الناس . وحديث المرأة زوجها . يحتمل أنه فيما يحدث أحدهما الآخر من وده له واغتباطه به وما يعد به الرجل زوجته و يمنيها يستصلح بذلك خلقها ، و يستديم صحبتها .

(٢) البناء : الدخول بالزوجة . وأصله : أن الرجل إذا تزوج امرأة بنى عليهـا قبة ، ليدخل بها فيها . فيقال : بنى الرجل على أهله . وقد جاء : بنى بامرأة . و بنى بى أحاديث صحاح بهذا اللفظ . وأنـكر ابن السكيت بنى بأهله . وهذه الأحاديث الصحيحة تدفع قوله

والدف ـ بضم الدال وفتحها ـ وهو الذى يلعب به الناس . والمراد : إعلان النكاح .

والندب : أن تذكر النـائحة الميت بأحسن أفعاله وأوصافه . والإسم : الندب ـ بضم النون .

ـ إلى أن قالت إحداهن : وفينا نَبِيٌّ يعلم ما فى الغـد ؟ فقال : دَعِى هٰذِهِ وَقُولِى الَّذِى كُنْتِ تقُولِينَ » .

وأخرجه البخارى والترمذى وابن ماجة .

والربيع : بضم الراء المهملة ، وفتح الباء الموحدة وتشديد الباء آخر الحروف وكَسرها وعين مهملة .

٤٧٥٥ ـ وعن أنس ، قال « لما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليـه وسلم المدينَة لَعِبَتِ الْحَبَشَةُ لِقُدُومِهِ فَرَحاً بذلك ، لَعبوا بحِرَابِهِم » .

باب كراهية الغناء والزمر[1] [٤ : ٤٣٤]

٤٧٥٦ ـ وعن نافع ـ وهو مولى عبدالله بن عمر ـ قال « سمع ابنُ عمر رضى الله عنهما مِزْماراً ، قال : فوضَع إصْبعيه على أُذنيه ، ونأى عن الطريق ، وقال : يا نافعُ ، هل تسمع شيئاً ؟ قال : فقلت : لا ، قال : فرفع إصبعيه من أذنيـه ، وقال : كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمع مثلَ هذا ، فصنعَ مثل هذا » .

قال أبو على اللؤلؤى : سمعت أبا داود يقول : وهو حديث منكر[2] .

٤٧٥٦ ـ قال الشيخ : « المزمار » الذى سمعه ابن عمر رضى الله عنهما : هو صفارة الرعاة .
وقد جاء ذلك مذكوراً فى هذا الحديث من غير هذه الرواية .

وهذا ـ وإن كان مكروهاً ـ فقد دلَّ هذا الصنع على أنه ليس فى غلاظ الحرمة ، كسائر الزمور والمزاهر ، والملاهى التى يستعملها أهل الخلاعة والمجون ، ولو كان كذلك لأشبه أن لا يقتصر فى ذلك على سَدِّ المسامع فقط ، دون أن يبلغ فيه من النكير مبلغ الردع والتنكيل . والله أعلم .

---

(١) العنوان زيادة من نسخة عون المعبود .

(٢) هكذا هو فى بعض النسخ : وظاهر أنها تعليقة لأبى اللؤلؤى أحد رواة الكتاب عن أبى داود مؤلفه ، وفى بعض النسخ ، قال أبو داود : وهذا حديث منكر .

٤٨٥٧ ـ وعن نافع ، قال « كنت رِدْفَ ابن عمر رضى الله عنهما إذ مرَّ براعٍ يَزْمُرُ ـ فذكر نحوه » .

قال أبو داود : أدخل بين مطعم ونافع سليمان بن موسى(١) .

٤٧٥٨ ـ وعن نافع ، قال « كنا مع ابن عمر ، فسمع صوت زامر ـ فذكر نحوه » .

قال أبو داود : وهذا أنكرها(٢)

٤٧٥٩ ـ وعن شيخ شهد أباوائل فى وَلِيمة ، فجعلوا يلعبون يتلعبون ، يُغنون ، فحلَّ أبو وائل حُبْوته ، وقال : سمعت عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغناءُ يُنْبِتُ النِّفاق فى القلبِ(٣) » .

باب فى الحكم فى المخنثين [٤ : ٤٣٨]

٤٧٦٠ ـ عن أبى يسار القرشى ، عن أبى هاشم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ،

(١) قال فى عون المعبود : رواية ميمون بن مهران ومطعم بن المقدام كلاهما عن نافع : هى موجودة عند أبى داود ، ولكن من رواية ابن داسة وابن الأعرابي وأبى الحسن بن العبد عن أبى داود دون اللؤلؤى .

(٢) قال فى عون المعبود : ولا يعلم وجه النكارة ، بل إسناده قوى ، وليس بمخالف لرواية الثقات.

(٣) قال الحافظ ابن القيم رحمه الله فى كتاب إغاثة اللهفان : أما تسميته منبت النفاق ، فثبت عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال « الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع ، والذكر ينبت الإيمان فى القلب كما ينبت الماء الزرع » وقد رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الملاهى مرفوعا ، والموقوف أصح .

قال ابن القيم : وهذا أدل دليل على فقه الصحابة فى أحوال القلوب وأدوائها وأدويتها وأنهم أطباء القلوب ، ثم أطال القول في التحذير من الغناء وآلات اللهو بكلام حسن جميل (ج ١ ص ٢٢٧ ـ ٢٦٧) .

أن النبي صلى الله عليه وسلم « أُتى بمخنَّثٍ قد خَضَب يديه ورجليه بالْحِنَّاء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما بال هذا ؟ فقيل : يارسول الله ، يُتَشَبَّهُ بالنساء ، فأمر به فَنُفِيَ إلى النَّقيع ، فقالوا : يارسول الله ، ألا نقتله ؟ فقال : إنى نُهيتُ عن قتل المصلين » .

قال أبو أسامة ـ وهو حماد بن أسامة ـ والنقيع ناحية عن المدينة ، وليس بالبقيع .

فى إسناده : أبو يسار القرشي . سئل عنه أبو حاتم الرازى ؟ فقال : مجهول .

وأبو هاشم قيل : هو ابن عم أبى هريرة .

٤٧٦١ ـ وعن أم سلمة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مُخَنَّث ، وهو يقول لعبد الله أخيها : إن يفتح الله الطائفَ غدًا دَلَلْتُك على امرأة تُقْبِل بأربع ، وتُدْبِر بثمانٍ [1] ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أخرجوهم من بيوتكم »

---

(١) بهامش المنذرى :وفى رواية أنه قال لعبد الله بن أبى أمية« إن افتتحتم الطائف ، فعليك ببادية بنت غيلان الثقفى ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، مع ثغر كالأقحوان ، إن جلست تثنت ، و إن تكلمت تغنت ، بين رجليها كالإناء المكفوء ، وهى كما قال قيس بن الحطيم :

تغترق الطرفَ وهى لاهية ... كأنما شَفَّ وجهها نَزَف

بين شكول النساء خلقتها ... قصْداً ، فلا عَبْلة ولا نَصف

تنام عن كُبْر شأنها ، فإذا ... قامت رويداً تكاد تنقصف

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لقد غلْغَلْت النظر إليها يا عدو الله ، ثم أجلاه عن المدينة إلى الحمَى ، قال : فلما افتتحت الطائف : تزوجها عبد الرحمن بن عوف ، فولدت له » فى قول الكلبى .

وقوله « تقبل بأربع » يعنى لها أربع عكن ، تقبل بهن ، ولهن أطراف أربعة من كل

[قال أبو داود : المرأة كان لها أربع عُكَن فى بطنها]
وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة .

والمخنث : اسمه هِيت ـ بكسر الهاء وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها تاء ثالث الحروف . هكذا ذكره البخارى وغيره .

وقيل : اسمه ماتِع ـ بالتاء ثالث الحروف .

وقيل : أنَّهْ .

وقيل : هِنْب ـ بالهاء المكسورة وبعدها نون ساكنة وباء موحدة .

وذكر بعضهم : أن هِيتًا وماتعا وَأَنَّهْ : أسماء لثلاثةٍ من المخنثين ؛ كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يكونوا يُزَنون بالفاحشة الكبرى ، إنما كان تأنيثهم : لينًا فى القول وخضابا فى الأيدى والأرجل ، كخضاب النساء ، ولَعبا كلعبهن .

والمرأة : بادية ـ بباء موحدة ، وبعد الألف دال مهملة ، وياء آخر الحروف مفتوحة وتاء تأنيث .

وقيل فيها : بادنة ـ بعد الدال المهملة نون ، والمشهور بالياء .

وأبوها : غيلان بن سلمة الثقفى الذى أسلم وتحته عَشْر نسوة .

٤٧٦٢ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المخنَّثين من الرجال ، والمترجّلاتِ من النساء ، وقال : أخرجوهم من بيوتكم ، وأخرجوا فلانا وفلانا ـ يعنى المخنثَين » .

جانب ، فتصير ثمانية تُدبر بهن ، وقال « بثمان » ولم يقل بثمانية . وواحد الأطراف : طرف وهو مذكر ، لأنه لم يذكرها ، فلو ذكر الأطراف لم يجد بداً من التذكير .

وأخو أم سلمة : هو عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، أسلم وشهد الفتح وحُنينا والطائف فرمى بسهم بالطائف ، فمات يومئذ رضى الله عنه .

وأخرجه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة .

وقد تقدم فى كتاب اللباس .

باب فى اللعب بالبنات [٤ : ٤٣٨]

٤٧٦٣ ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كُنْتُ ألعبُ بالبناتِ ، فرُبَّما دخلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى الجوارِى ، فاذا دخلَ خَرَجْنَ ، وإذا خرجَ دَخَلْنَ »

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة .

٤٧٦٤ ـ وعنها رضى الله عنها ، قالت « قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غَزْوة تَبُوكَ ، أو خيبرَ ، وفى سَهْوَتِهَا سِتْر ، فهبَّتْ ريحٌ ، فكشفتْ ناحيةَ السترِ عن بناتٍ لعائشة لُعَبٍ ، فقال : ما هَذَا يَاعَائِشَةُ ؟ قالت : بناتى ، ورأى بينهن فرساً له جَناحان من رِقاع ، فقال : مَا هَذَا الَّذِى أَرَى وَسَطَهُنَّ ؟ قالت : فرس ، قال : وما هذا الذى عليه ؟ قالت : جناحان ، قال : فَرَسٌ له جَنَاحانِ ؟ قالت : أما سمعتَ أنَّ لسليمان خَيْلاً لها أجنحةٌ ؟ قالت : فضحك ، حتى رأيتُ نواجِذه [(١)] »

وأخرجه النسائى .

٤٧٦٤ ـ قال الشيخ : « السهوة » عن الأصمعى : كالصفة ، تكون بين يدى البيت . وقال غيره « السهوة » شبيهة بالرَّف والطاق ، يوضع فيه الشىء .

---

(١) بهامش المنذري «البنات» تعنى اللعب . تشبه الجوارى ، تلعب بها الصبايا . فإن كانت صورا : فقد كان هذا قبل التحريم ، و إلا فقد يسمى بهذا ما ليس بصورة . وقال بعضهم : معناه : تلعب مع البنات . والباء بمعنى مع . وغزوة تبوك : كانت فى السنة الثامنة من الهجرة . و « تبوك » بلدة من أدنى أرض الشام ، قيل : سميت بذلك : لأن رسول الله

باب فى الأرجوحة (١) [٤ : ٤٣٩]

٤٧٦٥ ـ [عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تَزَوَّجَنِى وأنا بنتُ سَبْعِ سِنِين ، فلما قدمنا المدينةَ أَتَيْنَ نسوة ـ وقال بشر، وهو ابن خالد ـ : فأتتنى أمُّ رومان ، وأنا على أُرجُوحَةٍ ، فذهبنَ بي ، وهيأننى وصَنعننى ، فأُتِيَ بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فبَنَى بى ، وأنا ابنةُ تسع ،

صلى الله عليه وسلم وجدهم يبوكون حِسْيها ، فقال « ما زلتم تبوكونها » فسميت بذلك . والتبوّك : تثوير الماء بعود ونحوه . ليَخرج من الأرض . والحسْى : الماء المتوارى فى الرمل ، قيل : إنه لا يكون إلا فى أرض أسفلها حجارة ، وفوقها رمل ، فاذا مطرت كشفه الرمل ، فاذا انتهى إلى الحجارة أمسكته . والحسى : بكسر الحاء وسكون السين المهملتين .

وغزوة خيبر : كانت فى السنة السابعة ، وسميت خيبر باسم رجل من العماليق ، اسمه خيبر ، كان نزلها . وقيل : سميت بمعاملة النبى صلى الله عليه وسلم إياهم على الجزء من ثمارهم ، فقيل : خابرهم ، والأول : أظهر .

والسهوة ـ بفتح السين المهملة وسكون الهاء و بعدها واو مفتوحة وتاء تأنيث ـ بيت صغير يشبه المخدع . وقيل : كالصفة بين يدى البيت . وقيل : هى عيدان يعرض بعضها على بعض يوضع عليها المتاع . وقيل : هى الكوة بين الدارين . وقيل : هى أشبه بالرف والطاق . وقيل : بيت صغير منحدر فى الأرض ، وسمكه مرتفع من الأرض شبيه بالخزانة الصغيرة . وقيل : صفة بين بيتين . وقيل : هى أن يبنى بين حائط البيت حائط صغير ، و يجعل السقف على الجميع ، فما كان فى وسط البيت : فهو سهوة ، وما كان داخله : فهو مخدع .

(١) بهامش المنذرى: الأرجوحة ـ بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الجيم ، وسكون الواو ، و بعدها حاء مهملة وتاء تأنيث ـ خشبة يوضع وسطها على مكان مرتفع من تراب أورمل أو غيره ، وطرفاها على فراغ ، و يجلس غلامان على طرفيها و يتحركان بها . فترفع جهة وتنزل أخرى ، و يميل أحدهما بالآخر ، وتكون أيضاً حبلا يشد طرفاه فى موضع عال ، ثم يركبه اللاعب و يتحرك وهو فيه ، سمى بذلك لتحركه ومجيئه وذهابه ، وهما من لعب صبيان العرب .

فوقفتْ بى على البابِ ، فقلتُ : هِيْه هيه ـ قال أبو داود : أي : تنَفسْتُ ـ فأدخلَتْ بيتاً ، فاذا فيه نِسوةٌ من الأنصار ، فقلنَ : على الخير والبركة »

دخل حديث أحدهما فى الآخر .

٤٧٦٦ ـ وعن أبى أسامة ، مثله ، قال « على خير طائر ، فسلمتنى إليهن ، فغسلْنَ رأسي ، وأصْلَحْنَنى ، فلم يَرُعْنى إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضُحًى ، فأسلمنَنِى إليه[1] »]

٤٧٦٧ ـ عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت « فلما قَدِمْنَا المدينة جاءنى نسوةٌ ، وأنا ألعب على أرْجُوحَةٍ ، وأنا مُجَمَّمَةٌ ، فذهبن بى . فهَيَّأننى وصَنَعننى ، ثم أتينَ بى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فبَنَى بى ، وأنا ابنةُ تِسْعِ سنين »

٤٧٦٨ ـ وفى رواية « وأنا على الأُرجوحة ، ومعى صواحباتى ، فأدخلننى بيتاً ، فإذا نِسْوةٌ من الأنصار ، فقلنَ : على الخير والبركة »

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة بنحوه مختصراً ومطولا .

وقد تقدم فى كتاب النكاح مختصرا .

٤٧٦٩ ـ وعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عنها رضى الله عنها قال : قالت « قدمنا المدينة ، فنزلنا فى بنى الحارِث بن الخَزْرَج ، قالت : فو اللهِ إنى

٤٧٦٩ ـ قال الشيخ : تريد بالعذقين نخلتين .

والعذق بفتح العين ـ النخلة ، والعذق ـ بكسرها ـ الكِبَّاسة .

و « الجميمة » تصغير الجُمة من الشعر .

---

(١) قال المزى فى الأطراف : هذا الحديث أخرجه أبو داود فى الأدب عن بشر بن خالد العسكرى وإبراهيم بن سعيد الجوهرى ، كلاهما عن أبى أسامة حماد بن أسامة، وحديث إبراهيم بن سعيد فى رواية ابن الأعرابي وأبى بكر بن داسة ، ولم يذكره أبوالقاسم الدمشقى .

لعَلَى أرْجُوحةٍ بَيْنَ عَذْقين ، فجاءتنى أُمِّى ، فأنزلتنى ، ولى جُمَيْمَةٌ ـ وساق الحديث »

باب فى النهى عن اللعب بالنَّرْد [٤ : ٤٤٠]

٤٧٧٠ ـ عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ لعِبَ بالنَّرْدِ فقَدْ عَصَى الله وَرَسُولَهُ » .

وأخرجه ابن ماجة .

٤٧٧١ ـ وعن سليمان بن بُرَيدة ، عن أبيه رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكأَنَّمَا غَمَسَ يَدَهُ فِى لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ (١) » .

وأخرجه مسلم وابن ماجة .

باب فى اللعب بالحمام [٤ : ٤٤٠]

٤٧٧٢ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى

---

(١) بهامش المنذرى: «النرد» فارسى معرب . و « شير » بمعنى حلو . وقال بعضهم : العرب تسمى هذه اللعبة : النردشير ، واختصروه فيما بعد ، فسموه : النرد .

فيكون اللاعب بالنردشير كآكل لحم الخنزير . وصبغ اليد وغمسها : كناية عن مد اليد ، وربما يعرض الطعام على الإنسان ، فيقول : أنا لا أصبغ يدى بذلك ، ولا أغمس يدى فيه .

وخص الخنزير : لأنه أشنع له ، وإلا فالمحرمات كثيرة .

وقال غيره : قال بعض الحكماء : كأن الأوائل لما فكروا فى أمور الدنيا فوجدوها تجرى على أسلوبين مختلفين . منها : ما يجرى بحكم الاتفاق . ومنها : ما يجرى بحكم السعى والتحيل ، فوضعوا النرد مثالا لما يجرى بحكم الاتفاق ، لتشعر به النفس وتتصداه ، ووضعوا الشطرنج مثالا لما يجرى بحكم السعى والاجتهاد ، لتنهض الخواطر إلى مثله فى المطلوبات . والشافعى رحمه الله يرى الشطرنج أخف من النرد ، وكان الليث بن سعد يرى الشطرنج أشد من النرد ، كما ذكر عن مالك رحمهم الله .

رَجُلا يتبعُ حمامة ، فقال : شَيْطَانٌ يَتْبَعُ شَيْطَانَة » .

وأخرجه ابن ماجة .

وفى إسناده : محمد بن عمرو بن علقمة الليثى ، وقد استشهد به مسلم . ووثقه ابن معين ومحمد بن يحيي .

وقال ابن معين مرة : مازال الناس يتَّقون حديثه .

وقال السعدى : ليس بقوى . وغمزه الإمام مالك .

وقال ابن المديني : سألت يحيي ـ يعنى القطان ـ عن محمد بن عمرو بن علقمة : كيف هو ؟ قال : تريد العفو ، أو تُشدد ؟ قلت : بل أتشدد قال : فليس هو ممن تريد .

باب فى الرحمة [٤ : ٤٤٠]

٤٧٧٣ ـ عن أبى قابوس مولى لعبد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ـ يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ـ « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمٰنُ ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماء » .

٤٧٧٤ ـ وفى رواية قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرجه الترمذى أتم منه ، وقال : حسن صحيح .

٤٧٧٥ ـ وعن أبى عثمان ، مولى المغيرة بن شُعبة ، عن أبى هريرة رضى الله عنهم ، قال : سمعت أبا القاسم الصادقَ المصدوقَ صلى الله عليه وسلم صاحبَ هذه الحُجرة يقول : « لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ » .

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن .

وأبو عثمان : لايعرف اسمه . ويقال : هو والد موسى بن أبى عثمان ، الذى روى عنه أبو الزناد .

٤٧٧٦ ـ وعن ابن عامر ، عن عبد الله بن عمرو يرويه ، قال ابنُ السَّرح ـ يعنى أحمد بن عمرو ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

قال الحافظ أبو القاسم الدمشقى : أظنه عبيد بن عامر أخا عروة بن عامر .

باب فى النصيحة [٤ : ٤٤١]

٤٧٧٧ ـ عن تميم الدَّارِى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِحة ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، وكتابه ، ورسوله ، وأئمة المؤمنين ، وعامتهم [أو أئمة المسلمين وعامتهم (١)] » .

٤٧٧٧ ـ قال الشيخ : « النصيحة » كلمة يعبر بها عن جملة ، هى إرادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها ، وتجمع معناها غيرها .

وأصل النصح ، فى اللغة : الخلوص ، يقال : نصحتُ العسل : إذا خَلَّصته من الشمع .

فمعنى « نصيحة الله سبحانه » صحة الاعتقادفى وحدانيته ، و إخلاص النية فى عبادته .

والنصيحة لـكتاب الله : الإيمان به ، والعمل بما فيه .

والنصيحة لرسوله : التصديق بنبوته ، و بذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه .

والنصيحة لأئمة المؤمنين : أن يطيعهم فى الحق ، وأن لا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا .

والنصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم .

---

(١) زيادة من نسخة عون المعبود و بهامش المنذرى « الدين » يجىء بمعنى الطاعة والتوحيد والعبادة ، والجزاء ، والمكافأة ، والحساب والحكم ، والسيرة ، والملك ، والسلطان، والتدبير ، والعادة ، والملة ، والورع ، والداء ، والقهر ، والمعصية ، والحال .

وأخرجه مسلم والنسائى .

٤٧٧٨ ـ وعن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن جرير ـ وهو ابن عبد الله البجلى رضى الله عنه ـ قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السَّمْع والطاعةِ ، وأن أنْصَحَ لكلِّ مسلم ، قال : فكان إذا باع الشىء أو اشتراه قال : أَمَا إنَّ الذى أخذنا منكَ أحبُّ إلينا مما أعطيناك ، فاخْتَرْ[1] » .

قال النضر : سألت أعرابياً عن شىء ؟ فقال : لو لقيتنى على دِين غير هذه لأخبرتك .

ثم ذكر كلام الخطابى فى النصيحة إلى آخره ، ثم قال :

وقال غيره : لما كانت النصيحة خلقا من أخلاق الديانة ، وركناً وثيقاً من أركانها : جعلها الدينَ كلَّه ، وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » ولاخلاف أن للحج أركاناً غير الوقوف ، إلا أنه لما كان الوقوف بعرفات ركنا قويا جعله صلى الله عليه وسلم الحج كله ، كذلك لما كانت النصيحة معظم أخلاق الدين ، جعلها صلى الله عليه وسلم الدين كله .

وقال الأصمعى : الناصح الخالص من العسل وغيره ، مثل الناصع ، وكل شىء خلص ، فقد نصح .

وقال غيره : يقال : نصحته ، ونصحت له ، وقيل : هو باللام أفصح ، قال الله تعالى (٧ : ٧٩ ونصحت لكم ، ولكن لا تحبون الناصحين) .

وقيل : يحتمل أن يكون مأخوذاً من النصح ، وهو الخياطة ، والنِّصاح : الخيط الذى يخاط به ، ويقال للمخيط أيضاً : نصاح ومنصح ، كما يقال : إزار ، ومئزر ، ومعناه : أنه يَلُمُّ شَعَثَ أخيه بالنصح ، كما يلم المنصح خرق الثوب .

(١) بهامش المنذرى : قال بعضهم : اختلفت ألفاظ بيعة النبى صلى الله عليه وسلم ، فروى ما ذكرناه ، وأراد حديث جرير . وفى حديث سلمة « أنهم بايعوه يوم الحديبية على الموت » وفى حديث عبادة « بايعنا النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى المنشَط والمكره ، وأن لاننازع الأمر أهله ، وأن نقول ، أونقوم ، بالحق » وهذه قصص بحسب اختلاف الأحوال

وأخرجه النسائى .

وأخرج البخاري ومسلم والنسائى المسند منه من حديث عامر الشعبي عن جرير .

باب فى المعونة للمسلم [٤ : ٤٤٢]

٤٧٧٩ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « مَنْ نَفَّسَ عن مسلم كُربة من كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ الله عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة ، ومَنْ يَسَّر على مُعْسِر يَسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومَنْ سَتَر على مسلم سَتَرَهُ الله فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللهُ فى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كانَ العبدُ فى عَوْنِ أخِيه »

[قال أبو داود : لم يذكر عثمان عن أبى معاوية « ومن يسر على معسر »]

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة .

وليس فى حديث مسلم قوله « ومن ستر على مسلم »

٤٧٨٠ ـ وعن حُذيفة ـ وهو ابن اليمان رضى الله عنه ـ قال : قال نبيكم صلى الله عليه وسلم « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَة(١) » .

فأما حديث عبادة « فى المنشط والمكره » فهى كانت بيعة الأنصار فى العقبة الثانيـة على بذل الأنفس والأموال دونه ، وكذلك بيعة الشجرة يوم الحديبية .

وأما قوله « فيما استطعت ، فلقوله تعالى (٢:٢٨٥ لايكلف الله نفساً إلا وسعها) .

وأما ذكر جرير الصلاة والزكاة من بين سائر دعائم الإسلام، فلكونهما قرينتين، وأهم أمور الإسلام وأظهرها ، ولم يذكر الصوم وغيره لأنه من الشرائع ، لأنه داخل فى السمع والطاعة

(١) بهامش المنذرى قال ابن عرفة : المعروف : ماعرف من طاعة الله . والمنكر : مايخرج عنها ، وقيل : المعروف الإحسان إلى الناس وكل فعل مستحسن : معروف .

وقال بعضهم : لما كان الخير له صلاحيـة أن يُعرف ويُرغب فى فعله سمى المعروف ،

وأخرجه مسلم .

باب فى تغيير الأسماء [٤ : ٤٤٢]

٤٧٨١ ـ عن عبد الله بن أبى زكرياء ، عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُم » .

٤٧٨١ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

وفي هذا الحديث : رد على من قال : إن الناس يوم القيامة إنما يدعون بأمهاتهم ، لا آبائهم وقد ترجم البخارى فى صحيحه لذلك فقال « باب يدعى الناس بآبائهم » وذكر فيه حديث نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الغادر يرفع له لواء يوم القيامة ؟ يقال له : هذه غدرة فلان بن فلان » .

واحتج من قال بالأول : بما رواه الطبرانى فى معجمه من حديث سعيد بن عبد الله الأودى قال « شهدت أبا أمامة ـ وهو فى النزع ـ قال : إذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره ، فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم ليقل : يافلان بن فلانة ، فانه يسمعه ولا يجيبه ، ثم يقول : يافلان بن فلانة ، فانه يقول : أرشدنا رحمك الله ـ فذكر الحديث ـ وفيه فقال رجل : يارسول الله ، فان لم يعرف أمه ، قال : فلينسبه إلى أمه حواء ، فلان بن حواء » .

ولكن هذا الحديث متفق على ضعفه فلا تقوم به حجة ، فضلا عن أن يعارض به ما هو أصح منه .

وفى الصحيحين عن أبى موسى قال « ولد لى غلام ، فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم ، فسماه إبراهيم ، وحنكه بتمرة » .

زاد البخارى « ودعا له بالبركة ، ودفعه إلى ، وكان أكبر ولد أبى موسى » .

وبالعكس منه المنكر ، ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ أن كل مايتقرب به العبد إلى الله تعالى من المعروف والخير صغيراً كان أو كبيراً ، كائناً ما كان ، إذا قصد به وجه ربه وصدقت نيته وقع أجره على الله تعالى ، كوقوع الصدقة ، لأنه فى كلا الفعلين متحرٍّ وجه التقرب .

عبدالله بن أبى زكرياء : كنيته أبو يحيي ، خزاعى دمشقي ، ثقة عابد ، لم يسمع من أبى الدرداء . فالحديث منقطع . وأبوه أبو زكرياء : إسمه إياس بن يزيد .

٤٧٨٢ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَحَبُّ الأسماء إلى الله تعالى : عبد الله ، وعبد الرحمن » .

وأخرجه مسلم .

وذلك لما فيهما من الإقرار بالعبودية ، وتبعها إضافة العبودية إلى سائر أسماء الله تعالى ، كعبد الملك ، وعبد السلام ، وعبد العزيز . وأصدقها : الحرث . لأن العبد دائما فى حرث وكسب . وهَمَّام : من هممت بالشيء وليس أحد إلا وهو يهمّ بالشيء

ولما فى الحرب من المكاره . وفى « مُرة » من المرارة .

٤٧٨٣ ـ وعن أبى وهب الجشمى رضى الله عنه ـ وكانت له صُحبة ـ قال : قال

٤٧٨٣ ـ قال الشيخ : إنما صار « الحارث » من أصدق الأسماء : من أجل مطابقة الاسم معناه الذى اشْتُقَّ منه ، وذلك أن معنى الحارث : الكاسب ، يقال : حرث الرجُلُ ، إذا كسب ، واحتراث المال : كسبه . ومنه قول امرىء القيس (١) .

ومن يحترث حرثى وحَرْثك يُهْزَلِ

وقال الله سبحانه (٤٢ : ٢٠ من كان يريد حَرْثَ الآخرة نَزِدْ له فى حَرْثه . ومن كان يريد حَرْثَ الدنيا نُؤْته منها) .

وأما « همام » فهو من همَمْتُ بالشى إذا أردته ، وليس من أحد إلا وهو يَهِمُّ بشىء ، وهو معنى الصدق الذى وصف به هذان الاسمان .

وأقبحها : حرب ، لما فى الحرب من المكاره .

---

(١) فى اللسان : قال الشاعر ـ ولم يسمه ـ يخاطب ذئباً .

رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَسَمَّوْا بأسماء الأنبياء ، وأحبُّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدَقُهَا : حارث وهمام ، وأقبحها : حَرْبٌ وَمُرَّة » .

وأخرجه النسائى .

٤٧٨٤ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : « ذهبتُ بعبد الله بن أبى طَلْحة إلى النبى صلى الله عليه وسلم حين وُلد ، والنبى صلى الله عليه وسلم فى عَبَاءةٍ يَهْنَأُ بَعِيرًا له[1] قال : هَلْ مَعَكَ من تَمْر ؟ قلت : نعم ، قال : فناولته تَمْرات ، فألقاهن فى فِيه ، فَلاَكَهُنَّ . ثم فَغَر فاهُ ، فأوْجَرَهُنَّ إيَّاه ، فجعل الصبىُّ يتَلَمَّظُ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حُبَّ الأنصار التَّمْرَ[2] ، وسماه عبدَ الله » .

وأخرجه مسلم .

وفى « مرة » من البشاعة والمرارة

وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن والاسم الحسن .

٤٧٨٤ ـ قال الشيخ : قوله « يهنأ » معناه : يطليه بالقَطِران ، ويعالجها به ، والهناء : القطران .

---

(١) أى : يطليه بالهناء ـ بوزن كتاب ـ وهو القطران .

(٢) بهامش المنذرى « حب الأنصار التمر » بضم الحاء ونصب الباء ، وحذف الفعل ، وهو « انظروا » للعلم به ، ويكون « التمر » منصوبا بالحب ، ويجوز أن تكون الحاء مكسورة ، بمعنى المحبوب ، أى محبوبهم التمر ، والتمر مرفوع خبر المبتدأ . ومعنى « فغر فاه » أى فتحه وفغر فوه : أى انفتح : يتعدى ولا يتعدى . و « الوَجور » ما صب فى وسط فم المريض . تقول منه : وَجَرْته ، وأوجرته : بمعنى . و « يتلمظ » أى يدير لسانه فى فيه ، ويحركه يتتبع أثر التمر . وكذلك إذا أخرج لسانه ، فمسح به شفتيه . واللماظة ـ بالضم ـ ما بقى فى الفم من الطعام .

باب تغيير الاسم القبيح [٤ : ٤٤٣]

٤٧٨٥ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَيَّر اسم عاصية ، وقال : أنت جميلة » .

وأخرجه مسلم والترمذى وابن ماجة .

٤٧٨٦ ـ وعن محمد بن عمرو بن عطاء « أن زينبَ بنتَ أبى سَلَمة سألته : ماسَمَّيْتَ ابنتَك ؟ قال : سميتها بَرَّة ، فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم ، وسُمِّيتُ بَرَّة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لَا تُزَكُّوا أنفُسَكم ، الله أعلمُ بأهل البِرِّ منكم . فقال : ما نسميها ؟ قال سمُّوهَا زَيْنَبَ » .

وأخرجه مسلم .

٤٧٨٧ ـ وعن أسامة بن أخْدَرِيٍّ رضى الله عنه «أن رجلا يقال له أصْرَمُ كان فى النفَرِ الذين أتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اسْمُك ؟ قال أنا أصرم ، قال : بَلْ أَنْتَ زُرْعَة » .

قال أبو القاسم البغوى : أسامة بن أخدرى سكن البصرة . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً .

أخدرى : بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وبعدها دال مهملة مفتوحة . وراء مهملة مكسورة وياء النسب .

والأخدرى : الحمار الوحشى . ويشبه أن يكون سمى به . والله عز وجل أعلم.

٤٧٨٧ ـ قال الشيخ : إنما غَيَّر اسم « الأصرم » لما فيه من معنى الصَّرْم ، وهو القطيعة ، يقال : صرمْتُ الحبْلَ : إذا قطعته ، وصرمت النخلة إذا جَذَذْتُ ثمرها .

٤٧٨٨ ـ وعن هانى ـ وهو ابن يزيد ، والد شريح رضى الله عنها ـ أنه « لما وَفَد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه ، سمعهم يَكْنُونه بأبى الْحَكَم ؛ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن الله تعالى هو الحكَمَ ، وإليه الْحُكْمْ ، فلم تُكنَى أبا الحكم ؟ فقال : إن قومي إذا اختلفوا فى شيء أتونى فحكمتُ بينهم ، فرضِىَ كِلا الفريقين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَا أَحْسَنَ هٰذَا ، فَمَا لَكَ مِنَ الولد ؟ قال : لى شُريح ، ومسلم ، وعبد الله ، قال : فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟ قلت : شريح ، قال : فأنت أبو شريح » .

[قال أبو داود : شريح هذا هو الذى كسر السلسلة ، وهو ممن دخل تستر ، قال أبو داود : وبلغنى أن شريحاً كسر باب تستر ، وذلك : أنه دخل من سرب][1]

وأخرجه النسائى .

٤٧٨٩ ـ وعن سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، عن جَدِّه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما اسمك ؟ قال : حَزْنٌ ، قال : أنت سَهْل . قال : لا ، السهلُ يُوطَأُ ويمتهن ، قال سعيد : فظننتُ أنه سيصيبنا بعده حُزونة » .

وأخرجه البخارى ، وفيه : قال ابن المسيَّب : فما زالت فينا الحزونة بعد .

أبو المسيب ، كنيته : أبو سعيد له صحبة . قرشى مخزومى عائدى ، مدنى . أخرج حديثه البخارى ومسلم .

وجده : حَزْن بن أبى وهب . كنيته : أبو وهب . له صحبة أيضاً . انفرد به البخارى .

وحزن ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى وبعدها نون . قال أهل النسب :

---

(١) زيادة من نسخة عون المعبود .

فى ولده ، حُزونة وسوء خلق ، معروف ذلك فيهم . لا يكاد يعدم منهم .

٤٧٩٠ ـ قال أبو داود « وغير النبي صلى الله عليه وسلم اسم العاص وعَزيز، وعَتْلَة[1] ، وشيطان، والحكم، وغُراب ، وحُباب ، وشِهاب . فسماه : هشاما، وسمى حَرْبًا : سِلْما ، وسمى المضطجع : المنبَعِث ، وأرضًا عَفِرَةً[2] : سماها خَضِرَة، وشِعْبَ الضَّلالة : سماه شِعبَ الهدَى ، وبنو الزِّنية: سماهم بنى الرِّشْدَة، وسمى بنى مُغْوِيَة : بنى رِشْدَة[3] .

قال أبو داود : تركت أسانيدها للاختصار .

٤٧٩٠ ـ قال الشيخ : أما « العاص » إنما غيَّره كراهة لمعنى العصيان ، وإنما سِمَة المؤمن : الطاعة والاستسلام .

و « عزيز » إنما غيره ، لأن العِزَّة لله سبحانه ، وشعار العبد : الذلة والاستكانة . والله سبحانه يقول ، عند ما يُقرِّع بعض أعدائه (٤٤ : ٩٩ ذُقْ إنك أنتَ العزيز الكريم) .

و « عتلة » معناها : الشدة والغلظة ، ومنه قولهم : رجل عُتُلٌّ : أى شديد غليظ . ومن صفة المؤمن : اللين والسهولة .

وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمنون هينون » .

---

(١) بهامش المنذرى : و « العتلة » عمود حديد تهدم به الحيطان . وقيل : حديدة كبيرة يقلع بها الشجر والحجر .

(٢) بهامش المنذرى : المحفوظ « عقرة » بالقاف . كأنه كره اسم العقر . لأن العاقر هى المرأة التى لا تحمل . وشجرة عاقر : لا تحمل ويجوز أن يكون مأخوذا من قولهم : « نخلة عَقِرة » إذا قطع رأسها فيبست . جذرهم أن يفعلوه ، لئلا يتغلب عليهم ما قصدوه بهذه الأسماء من التبرك والتفاول إلى الضد .

(٣) يقال : هذا ولد رشدة : إذا كان لنكاح صحيح ، كما يقال فى ضده : ولد زنية ، بالكسر فيهما ـ قال الأزهري : كلام العرب المعروف : فلان ابن زنية وابن رشدة . وقيل زنية ورشدة . والفتح أفصح اللغتين و « غَية » بالفتح لا غير .

٤٧٩١ ـ وعن مسروق ـ وهو ابن الأجدع ـ رضى الله عنه قال : « لقيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : من أنت ؟ فقلت : مسروق بن الأجْدَع ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الأجْدَعُ شيطان » .

وأخرجه ابن ماجة . وفى إسناده : مجالد بن سعيد . وفيه مقال .

٤٧٩٢ ـ وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تُسَمِّيَنَّ غُلَامَك يَسَارًا ، وَلَا رَبَاحًا ، ولَا نَجِيحًا ، وَلا أَفْلَحَ .

و « شيطان » اشتقاقه من الشَّطْن . وهو البعد من الخير ، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس .

و « الحَكَم » هو الحاكم الذى إذا حكم لم يُرَدَّ حُكمه ، وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه ، ومن أسمائه « الحَكَم » .

و « غراب » مأخوذ من الغَرْب ، وهو البعد ؛ ثم هو حيوان خبيث الفعل ، خبيث الُطعم . وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله فى الحل والحرم .

و « حباب » نوع من الحيات ، وقد روى « أن الحباب اسم الشيطان » .

فقيل : إنه أراد به المارد الخبيث من شياطين الجن .

وقيل : أراد نوعاً من الحيات يقال لها : الشياطين . ومن ذلك قوله تبارك وتعالى (٣٧ : ٦٥ طَلعُها كأنه رءوس الشياطين) .

و «الشهاب» الشعلة من النار ، والنار عقوبة الله سبحانه : وهى محرقة مهلكة .

وأما « عَفْرة » فهى نعت للأرض التى لا تنبت شيئاً . أخذت من العُفْرة ، وهى لون الأرض القحلة ، فسماها «خَضِرَة » على معنى التفاؤل ، لتخضر وتُمرِع .

٤٧٩٢ ـ قال الشيخ : قد بين النبى صلى الله عليه وسلم المعني فى ذلك ، وكراهة العلة التى من أجلها وقع النهى عن التسمية بها .

وذلك : أنهم إنما كانوا يقصدون بهذه الأسماء و بما فى معانيها : إما التبرك بها ، أو التفاؤل بحسن ألفاظها . فحذرهم أن يفعلوه لئلا ينقلب عليهم ماقصدوه فى هذه التسميات إلى

فإنك تقول : أَثَمَّ هُوَ ؟ فيقول : لا ، إنما هُنَّ أربعٌ ، فلا تزيدُنَّ علىَّ » .

وأخرجه مسلم والترمذى .

٤٧٩٣ ـ وعنه رضى الله عنه ، قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُسَمِّيَ رقيقَنا أربعةَ أسماء : أفلحَ ، ويسارًا ، ونافعاً ، وربَاحاً » .

وأخرجه مسلم وابن ماجة .

٤٧٩٤ ـ وعن جابر ـ وهو ابن عبد الله رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنْ عِشتُ إنْ شَاءَ الله أَنْ أنْهى أُمَّتِي أنْ يُسَمُّوا نَافِعاً ، وأفلح ، وبَرَكَةَ » قال الأعمش : ولا أدرى ذكر « نافعاً » أم لا ـ فإن الرجل يقول إذا جاء : أَثَمَّ بركَةٌ ؟ فيقولون : لا » .

قال أبو داود : روى أبو الزبير عن جابر نحوه ، لم يذكر « بركة »

والذى قاله أبو داود رحمه الله فى حديث أبى الزبير فيه نظر . فقد أخرج مسلم الحديث فى صحيحه من حديث ابن جريج عن أبى الزبير . وفيه : « أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهى أن يسمَّى الغلامُ بمقبِل وببركة ـ الحديث »

الضد ، وذلك إذا سألوا ، فقالوا : أَثَمَّ يسار ؟ أَثَمَّ رباح ؟ فإذا قيل : لا : تطيروا بذلك ، وتشاءموا به ، وأضمروا على الإياس من اليُسر والرباح ، فنهاهم عن السبب الذى يجلب لهم سوء الظن بالله سبحانه ، ويُورِّثهم الإياس من خيره[1] .

---

(١) بهامش المنذرى ـ بعد ذكره كلام الخطابى ـ قيل : إنه مخصوص فيها . وقيل : إنه عام فى كل ما كان من معناها . وقيل : إنه منسوخ . وقيل : النهى كان لقصدهم التفاؤل . فمن لم يقصده فذلك جائز له .

٤٧٩٥ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ يبلغ به النبىَّ صلى الله عليه وسلم ـ قال: « أَخْنَعُ اسْمٍ عند الله تبارك وتعالى يوم القيامة: رجلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأملاك[1] » .

٤٧٩٦ ـ قال أبو داود: رواه شعيب بن أبى حمزة عن أبى الزناد، باسناده، وقال: « أخنى اسْم » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى.

وحديث شعيب هذا ـ الذى علقه أبوداود ـ قد أخرجه البخارى فى صحيحه من حديثه مسنداً. فرواه عن أبى اليمان الحكم بن نافع عن شعيب.

باب فى الألقاب [٤ : ٤٤٥]

٤٧٩٧ ـ عن أبى جَبيرة بن الضحاك، قال: « فينا نزلتْ هـذه الآيةُ، فى بنى سَلِمة (٤٩ : ١١ ولا تَنَابَزُوا بالألقابِ، بئس الاسمُ الفُسوق بعد الإيمان) قال: قدم علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وليس مِنَّا رجلٌ إلا وله اسمان، أو ثلاثة، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول: يافلان، فيقولون: مَهْ يارسول الله،

---

(١) بهامش المنذرى: « أخنع » أوضع وأذل، وقد يكون بمعنى أقبح وأفجر، ومعناه: أن أذل أصحاب الأسماء عند الله من تسمى بذلك.

ومن رواه « أخنى » فمعناه: أفجر وأفحش، و « الخنا » الفحش، ويكون بمعنى أهلك لصاحبه. يقال: أخنى عليه الدهر، أى أهلكه. وروى « أخبث »

وذكر أبو عبيد: أنه روى « أنخع » بتقديم النون، وهو بمعنى: أقتل وأهلك و « النخع » القتل الشديد.

واختلف فى معنى ملك « الأملاك » فقيل: هو مثل قوله: شاهان شاه، وقيل: أن يتسمى بأسماء الله تعالى الذى هو ملك الأملاك، كالجبار والرحمن والقادر.

إنه يَغْضبُ من هذا الاسم ، فأنزلت هذه الآية (ولا تنابزوا بالألقاب[1]) » .

وأخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجة . وقال الترمذى : حسن . هذا آخر كلامه .

وأبو جبيرة ـ هذا ـ لا يعرف له اسم . وقد اختلف العلماء فى صحبته . فقال بعضهم : له صحبة ، وقال بعضهم : ليست له صحبة . وهو أخو ثابت بن الضحاك .

وجبيرة : بفتح الجيم ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون الباء آخر الحروف وبعدها راء مهملة مفتوحة وتاء تأنيث .

فيمن يُكنَى بأبى عيسى [٤ : ٤٤٦]

٤٧٩٨ ـ عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب ابناً له تكَنَّى أبا عيسى ، وأن المغيرةَ بن شُعبة تكنى بأبى عيسى ، فقال له عمر : أما يكفيك أن تُكَنَّى بأبى عبد الله ؟ فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كَنَّانى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإنَّا فى جَلْجَتِنا[2] ، فلم يزل يكنى بأبى عبد الله حتى هلك » .

---

(١) « التنابز » هو التداعى بالألقاب ، و « النبز » ـ بالتحريك ـ اللقب ، وكأنه يذكر فيما كان ذما .

(٢) قال ابن ناصر : الصواب « فى جلجتنا » قيل : معناه بقينا فى عدد من أمثالنا من المسلمين لا ندرى مايصنع بنا ، وقيل : الجلج فى لغة أهل اليمامة جباب الماء ، كأنه يريد : تركنا فى أمر ضيق كضيق الجباب . اه من هامش المنذرى .

وفى النهاية واللسان : لما نزلت (٤٨ : ١ إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قال الصحابة « بقينا نحن فى جَلَج لا ندرى مايصنع بنا » قال أبو حاتم : سألت الأصمعى عنه ؟ فلم يعرفه . قال الأزهري : روى أبو العباس المبرد عن ابن الأعرابى وعن عمرو عن أبيه « الجلَج : رءوس الناس ، واحدها جَلَجَة » قال الأزهرى : فالمعنى : =

باب فى الرجل يقول لابن غيره : يا بنى [٤ : ٤٤٦]

٤٧٩٩ ـ عن أبى عثمان ـ وسماه على بنُ محبوب : الجَعْد ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له « يا بُنَىَّ » .

وأخرجه مسلم . وأخرجه الترمذى ، وقال : غريب من هذا الوجه . وقد رُوى من غير هذا الوجه عن أنس .

وأبو عثمان ـ هذا ـ شيخ ثقة . وهو الجعد بن عثمان . ويقال : ابن دينار . وهو بصرى ، وقد روى عنه يونس بن عبيد وغير واحد من الأئمة ، هذا آخر كلامه .

وقد أخرج مسلم فى صحيحه « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : أىْ بُنَىَّ » .

٤٧٩٩ ـ قال الشيخ : قوله « أخنع » معناه : أوضع وأذل ، والخنوع : الذلة والاستكانة .

وأخبرنى أبو محمد عبد الله بن شبيب حدثنا زكريا المنقرى حدثنا الأصمعى قال : سمعت أعرابياً يدعو ، فيقول « اللهم إني أعوذ بك من الخنوع والقنوع ، وما يَغُض طرف المرء ، ويغرى به لئام الناس » .

والخنوع : الذل ، والقنوع : المسألة.

ومنه قول الله تعالى (٢٢ : ٣٦ وأطعموا القانع وَالْمُعْتَرَّ) .

= أنا بقينا فى عدد رءوس كثيرة من المسلمين ، وقال ابن قتيبة : معناه : وبقينا نحن فى عدد من أمثالنا من المسلمين ، لا ندرى ما يصنع بنا . وقيل : الجلَج فى لغة أهل اليمامة : حباب الماء ـ بالحاء المهملة ـ كأنه يريد : تركنا في أمر ضيق كضيق الحباب ـ بفتح الحاء المهملة ـ وكتب عمر إلى عامله على مصر « خذ من كل جَلَجة من القبط كذا وكذا » أراد من كل رأس .

باب فى الرجل يُكنى بأبى القاسم [٤ : ٤٤٦]

٤٨٠٠ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي».

وأخرجه البخارى ومسلم وابن ماجة.

قال أبو داود: وكذلك رواه أبو صالح عن أبى هريرة، وكذلك رواية أبى سفيان عن جابر، وسالِم بن أبى الجَعْد عن جابر، وسليمان اليَشْكُرى عن جابر، وابن المنكدر عن جابر، نحوهم، وأنس بن مالك. هذا آخر كلامه.

وحديث أبى صالح عن أبى هريرة: أخرجه البخارى ومسلم.

وحديث محمد بن المنكدر عن جابر: أخرجه البخاري ومسلم بنحوه.

وحديث سالم بن أبى الجَعْد عن جابر: أخرجه البخارى ومسلم.

وحديث أبى سفيان طلحة بن نافع عن جابر: أخرجه ابن ماجة فى سننه.

وحديث أنس بن مالك: أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة.

باب من رأى أن لايجمع بينهما [٤ : ٤٤٧]

٤٨٠١ ـ عن أبى الزبير، عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَسَمَّى باسْمِي فَلَا يَتَكَنَّى بِكُنْيَتِي، وَمَنْ اكْتَنَى بِكُنْيَتِي فَلَا يَتَسَمَّى باسمى».

وأخرجه الترمذى، وقال: حسن غريب.

قال أبو داود: روى بهذا المعنى ابنُ عَجلان عن أبيه عن أبى هريرة، ورُوى عن أبى زُرعة عن أبى هريرة، مختلفاً على الروايتين، وكذلك رواية عبد الرحمن بن أبى عَمْرة عن أبى هريرة، اختُلِفَ فيه: رواه الثورىُّ، وابن جُريج على ما قاله

أبو الزبير ، ورواه مَعْقِلُ بن عبيد الله على ما قاله ابنُ سِيرِين ، واختُلِف فيه على موسى بن يَسار عن أبى هريرة أيضاً على القولين : اختَلَفَ فيه حَمَّادُ بن خالد وابن أبى فُديك[١] . هذا آخر كلامه .

---

(١) ابن عجلان : هو محمد بن عجلان القرشى ، أبو عبد الله المدنى القرشى ، وثقه أحمد وابن معين . وأبوه عجلان المدنى ، مولى فاطمة بنت عتبة ، قال النسائى : لا بأس به .

وأبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى ، وثقه ابن معين وابن خراش .

وعبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى البخارى المدنى القاصّ ، قال ابن سعد : ثقة ، كثير الحديث .

ومعقل بن عبيد الله العبْسى ، وثقه أحمد والنسائى .

وموسى بن يسار المطلبى ، وثقه ابن معين .

وحماد بن خالد القرشى المدني ، ثم البصري ، وثقه ابن معين وابن المدينى والنسائى .

وابن أبى فديك : هو محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبى فديك المدني ، قال النسائى : ليس به بأس .

وبهامش المنذرى : قيل : هذا النهى مقصور على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والثانى : أنه دائم ، وقد أجاز الإمام مالك بن أنس أن يجمع بينهما .

واختلف أيضاً : هل النهي عام أو خاص ؟ فذهبت طائفة من السلف إلى أن التكنى وحده بأبى القاسم ممنوع ، كيف كان الاسم ، وحكاه البيهقى عن الشافعى ، وذهب آخرون من السلف إلى منع التكنى بأبى القاسم ، وكذلك تسمية الولد : القاسم ، لئلا يكون سبباً للتكنية .

وذهب آخرون من السلف إلى أن الممنوع : الجمع بين الكنية والاسم ، وأنه لا بأس بالتكنى بأبى القاسم مجرداً ، ما لم يكن الاسم محمدا وأحمد ، والتسمية : محمد وأحمد مجرداً ما لم تكن التكنية بأبى القاسم ، لحديث جابر الذى ذكره أبو داود .

وذهب آخرون إلى أن النهى فى ذلك منسوخ .

وحديث ابن عَجلان ـ الذى أشار إليه ـ أخرجه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

وحديث محمد بن سيرين : تقدم .

وحديث أبي الزبير ـ هذا ـ هو الذي ذكره فى هذا الباب .

باب فى الرخصة فى الجمع بينهما [٤ : ٤٤٨]

٤٨٠٢ ـ عن محمد بن الحنفية رحمه الله ، قال : قال على رضى الله عنه : قلتُ : « يا رسول الله ، إنْ وُلِد لى من بعدك ولد : أُسَمِّيه باسمك ، وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم » .

لم يقل أبو بكر ـ يعنى ابنَ أبى شيبة ـ « قلت » قال « قال على رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم » .

وأخرجه الترمذى . وقال : صحيح .

٤٨٠٣ ـ وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : « جاءت امرأةٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسولَ الله ، إنى قد ولدتُ غلاماً ، فسَمَّيته محمداً ، وكَنَيته أبا القاسم ، فذكر لى أنك تكره ذلك ، فقال : مَا الذِى أَحَلَّ اسْمِي ، وَحَرَّمَ كُنْيَتِي ؟ ـ أَوْ مَا الذِى حَرَّمَ كُنْيَتِي ، وَأَحَلَّ اسمِي ؟ » .

وشذ آخرون فمنعوا التسمية باسم النبي صلى الله عليه وسلم جملة ، كيفما تكنى . اهـ

وأقول : الصواب من ذلك : أن النهى إنما كان فى حياته صلى الله عليه وسلم ، لئلا يصادف ذلك مرور النبي صلى الله عليه وسلم حين ينادَى المتسمى بذلك ، فيشتبه على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأنه ربما اتخذ المنافقون واليهود ذلك سبيلا إلى إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم والسخرية به ، أما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فقد تسمى بذلك كثير من الأئمة والعلماء . والله أعلم .

باب ماجاء فى الرجل يتكنى وليس له ولد [٤ : ٤٤٨]

٤٨٠٤ – عن ثابت – وهو البُناني – عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : « كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدخل علينا ، ولى أخٌ صغير يُكْنَى أبا عُمير ، وكان له نُغَرٌ يلعبُ به ، فمات ، فدخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم ، فرآه حزيناً ، فقال : ماشأنه ؟ قالوا : مَاتَ نُغَرُه ، فقال : أَبَاعُمير ، مَافَعَلَ النُّغَير [1] » .

٤٨٠٤ – قال الشيخ : « النغر » طائر صغير . يُجمع على النُّغران ، وأنشدنى أبو عمرو :

يحملن أوعية السُّلاف ، كأنما يحملنه بأكارع النُّغران

وفيه : من الفقه : أن صيد المدينة مباح .

وفيه : إباحة السجع فى الكلام .

وفيه : جواز الدُّعابة ، مالم يكن آثماً .

وفيه : إباحة تصغير الأسماء .

---

(١) أبو عمير – هذا – بضم العين المهملة ، وفتح الميم ، وسكون الياء آخر الحروف ، و بعدها راء مهملة – : هو أخو أنس بن مالك لأمه ، أمهما : أم سُلَيم ، لا يعرف له إسم ، وتوفى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى توفى وجري لأم سليم مع زوجها أبى طلحة فيه ماجري ، وقد تقدمت فى أبواب الجنائز .

و « النغير » تصغير النغر : وهو طائر يشبه العصفور ، أحمر المنقار ، والجمع نِغْران – بكسر النون وسكون الغين – مثل جُرَذ وجرذان ، وقيل : هى فراخ العصافير ، وقيل : هى طائر أسود اللون أحمر المنقار ، وقيل : هى نوع من الحِمّرى – بكسر الحاء المهملة وتشديد الراء – وهو ضرب من الطير كالعصفور ، وقيل : هو واحد وجمعه نغران ، كما تقدم . وقيل : هو جمع ، واحده : نغرة .

وفيه : أن صيد المدينة مباح ، وفيه إباحة السجع ، وقد صنف أبو العباس بن القاص فيه تصنيفاً استخرج منه ستين وجها .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجـة من حديث أبى التيَّاح يزيد بن حُميد الضُّبَعى عن أنس بن مالك .

التياح : بفتح التاء ثالث الحروف ، وتشديد الياء آخر الحروف وفتحها ، وبعد الألف حاء مهملة .

باب فى المرأة تكنى [٤ : ٤٤٨]

٤٨٠٥ ـ عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « يارسول الله ، كُلُّ صَوَاحِبِي لهنَّ كُنًى ، قال : فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ الله » .

قال مسدد : عبدِ الله بن الزبير ، قال : فكانت تكنى بأم عبد الله .

باب فى المعاريض [٤ : ٤٤٩]

٤٨٠٦ ـ عن سفيان بن أَسِيد الحضرمى رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كَبُرَتْ خِيَانَةً : أَنْ تحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثاً ، هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ ، وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ » .

فى إسناده : بقية بن الوليد . وفيه مقال .

وذكر أبو القاسم البغوى : سفيان بن أسيد هذا . وقال : لا أعلم روى غير هذا الحديث . هذا آخر كلامه .

أسيد : بفتح الهمزة ، وكسر السين المهملة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها دال مهملة . ويقال فيه : ابن أسد أيضاً .

وقال أبو عمر النمرى : حديثه من حديث الحمصيين عند بقية .

وفيه : أنه كناه ، ولم يكن له ولد ، فلم يدخل فى باب الكذب .

وقوله « يلعب به » أى يتلهَّى بحبسه وإمساكه .

باب فى قول الرجل « زعموا » [٤ : ٤٤٩]

٤٨٠٧ ـ عن أبى قِلابَة ، قال : قال أبو مسعود لأبى عبد الله ، أو قال أبو عبد الله لأبى مسعود : « ماسمعتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى « زعموا[1] ؟ » قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بِئْسَ مَطِيَّة الرَّجُلِ » .

قال أبو داود : أبو عبد الله ـ هذا ـ حُذيفة .

٤٨٠٧ ـ قال الشيخ : أصـل هذا : أن الرجل إذا أراد الظَّعْن فى حاجة ، والمسير إلى بلد رَكِبَ مَطِيَّته ، وسار حتى يبلغ حاجته ، فشبه النبى صلى الله عليه وسلم مايقدمه الرجل أمام كلامه ، ويتوصل به إلى حاجته من قولهم «زعموا» بالمطية التى يتوصل بها إلى الموضع الذى يَؤُمه ويقصده .

---

(١) الزعم ـ بالفتح والضم ـ قريب من الظن ، لغتان فصيحتان ، وقال ابن دريد : أكثر ما يقع على الباطل .

وقال ابن خالويه : الزعم يستعمل فيما يذم ، كقوله تعالى (٦٥ : ٨ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) ولم يجىء فيما يحمد إلا فى بيتين . أحدهما :

نودى : قيل اركبَنْ بأهـــلك ، إن الله موف للناس مازعما

والآخر : وهو قول عمرو بن شاس :

يقول : هلـكنا ، إن هلـكت وإنما   على الله أرزاق العباد كما زعم

وقال غيره : الزعم يكون حقاً وباطلا . فمن الزعم الحق : قول أمية بن أبى الصلت :

وإنى أذينٌ لـكم أنه   سيجزى ربُّكم ما زعم

اه من هامش المنذرى .

وفى اللسان : الزعم ـ بكسر الزاى وفتحها وضمها ـ ثلاث لغات . قيل : هو القول يكون حقاً وباطلا . وأنشد ابن الأعرابى لأمية بن أبى الصلت :

أبو قلابة : عبدالله بن زيد الجَرْمى البصرى . ذكر الحافظ أبو القاسم الدمشقي فى الأطراف : أنه لم يسمع منهما ـ يعنى حذيفة وأبامسعود رضى الله عنهما

باب فى « أما بعد » فى الخطب [٤ : ٤٥٠]

٤٨٠٨ ـ عن زيد بن أرقم رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم خَطَبَهُمْ فقال : أَمَّا بَعْدُ » .

وأخرجه مسلم فى أثناء الحديث الطويل فى فضائل أهل البيت (١) .

وإنما يقال « زعموا » فى حديث لا سند له . ولا ثبت فيه ، وإنما هو شىء يحكى عن الألسن على سبيل البلاغ ، فذم النبى صلى الله عليه وسلم من الحديث ما كان هذا سبيله ، وأمر بالتثبت فيه ، والتوثق لما يحكيه من ذلك ، فلا يرويه حتى يكون مَعْزِيًّا إلى ثَبت ، ومرويا عن ثقة .

وقد قيل : الراوية أحد الكاذبين .

وإنى أذين ـ البيت ، وأذين : فعيل ، بمعنى مؤذن ـ وفيه « سينجزكم » إلى أن قال : وقال النابغة الجعدى يصف نوحاً :

نودى : قم واركبن بأهلك ، إن الله موف للناس ما زعما

« وزعم » هنا فُسر بمعنى ضمن ، وبمعنى قال ، وبمعنى وعد .

(١) قوله صلى الله عليه وسلم « أما بعد » رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : سعد ابن أبى وقاص ، وابن مسعود ، وعبد الله ، والفضل ابنا العباس ، وابن عمرو بن العاص ، وأبو سعيد الخدري ، وجابر بن عبد الله ، وأبو هريرة ، وأبو سفيان بن حرب ، وأنس بن مالك وعقبة بن عامر ، وجرير بن عبد الله البجلى ، وجماعة كثيرة سواهم . اه من هامش المنذرى .

باب فى حفظ المنطق [٤ : ٤٥٠]

٤٨٠٩ ـ عن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : الْكَرْمُ ، فَإنَّ الْكَرْمَ : الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ ، وَلٰكِنْ قُولُوا : حَدَائِقُ الْأَعْنَابِ[1] » .

٤٨٠٩ ـ قال الشيخ : إنما نهاهم عن تسمية هذه الشجرة كَرْمًا ، لأن هذا الاسم عندهم مشتق

٤٨٠٩ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

العرب تسمى شجر العنب كرما لكرمه ، والكرم كثرة الخير والمنافع والفوائد ، لسهولة تناولها من الكريم . ومنه قوله تعالى (٣١ : ٥ فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) وفى آية أخرى (٢٢:٧ من كل زوج بهيج) فهو كريم فى مخبره ، بهيج فى منظره ، وشجر العنب قد جمع وجوهاً من ذلك .

منها : تذليل ثمره لقاطفه .

ومنها : أنه ليس دونه شوك يؤذى مجتنيه .

---

(١) بهامش المنذرى: سمى الكرم « كرما » لكرمه ، وذلك : أنه ذلل لقاطفه ، وليس عليه سل ، فيعقر جانبيه ، وقد يحمل الأصل منه ، مع ضعفه ، مثل ما تحمل النخلة أو أكثر ، وليس هو بشاق المصعد كالنخل ، وأكله غضا يابساً وادخاره واتخاذه طعاما وشرابا ، وكل شىء كثر : فقد كرم . والأصل كَرَم . ثم تسكن الراء منه .

وقيل : سمت العرب الكرم كرما : لأن الخمر المتخذ منه يحث على الكرم . فلما حرمها الشرع نفى عنها اسم المدح، ونهى عن تسميتها بذلك،لئلا تتشوق إليها النفوس التى عهدتها قبل ، وقصر هذا الإسم الحسن على الرجل المسلم . وقيل : المسلم هو الأحق بهذا ، كقوله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة ، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب » أى الذي يمسك نفسههو أحق بالشدة .وقال بعضهم : أراد أن يقرر ما فى قولهعز وجل (٤٩:٨ إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أشار إلى أن المسلم جدير بأن لا يشارَك فيما سماه الله به .

وقد أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسموا العنب الكَرْمَ . فإن الكَرْم الرجل المسلم » .

من الكَرَم ، والعرب تقول : رجل كَرَم ، بمعنى كريم ، وقوم كَرَم ، أى كرام ، ومنه قول الشاعر : (١)

فتنبو العين عن كَرَم عِجَاف

ومنها : أنه ليس بممتنع على من أراده لعلو ساقه وصعوبته كغيره .
ومنها : أن الشجرة الواحدة منه ــ مع ضعفها ودقة ساقها ــ تحمل أضعاف ما تحمله غيرها .
ومنها : أن الشجرة الواحدة منه إذا قطع أعلاها أخلفت من جوانبها وفروعها ، والنخلة إذا قطع أعلاها ماتت ، ويبست جملة .
ومنها : أن ثمره يؤكل قبل نضجه ، وبعد نضجه ، وبعد يبسه .
ومنها : أنه يتخذ منه من أنواع الأشربة الحلوة والحامضة ، كالدبس والخل ، مالا يتخذ من

---

(١) قال فى اللسان فى مادة « عجف » وفعول إذا كان بمعنى فاعل لا تدخله الهاء . قال مرداس بن أذنة :

وأنْ يَعْرَيْنَ إن كُسِيَ الجوارى ... فتنبو العين عن كَرَم عجاف

وذكر فى مادة « كرم » تقول : امرأة كَرَم ونسوة كرم . لانه وصف بالمصدر . قال ابن سعيد بن مسحوح الشيبانى ــ كذا ذكره السيرافى ــ وذكر أيضاً أنه لرجل من تيم اللات بن ثعلبة اسمه عيسى . وكان يُلوِّم فى نُصرة أبى بلال ، مرداس بن أُدَيَّة ، وأنه منعته الشفقة على بناته . وذكر المبرد فى أخبار الخوارج : أنه لأبى خالد القَنانى . فقال : ومن طريف أخبار الخوارج : قول قَطَرى بن الفُجاءة المازنى لأبى خالد القَنانى :

أبا خالد ، انفرِ ، فلست بخالد ... وما جعل الرحمن عذراً لقاعد

أتزعم أن الخارجى على الهدى ... وأنت مقيم بين راضٍ وجاحد ؟

وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة بمعناه .

ثم تسكّن الراء منه . فيقال : كَرْم .

فأشفق صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم حُسن اسمها إلى شرب الخمر المتخذة من ثمرها . فسلبها هذا الاسم ، وجعله صفة للمسلم الذى يَتَوقَّى شربها ، ويمنع نفسه الشهوة فيها عزة وتكرماً .

وقد ذكرت هذا فى كتاب غريب الحديث . وأشبعت شرحه هناك .

غيره ، ثم يتخذ من شرابه من أنواع الحلاوة والأطعمة والأقوات مالا يتخذ من غيره ، وشرابه الحلال غذاء وقوت ومنفعة وقوة .

ومنها : أنه يدخر يابسه قوتاً وطعاماً وأدماً .

ومنها : أن ثمره قد جمع نهاية المطلوب من الفاكهة من الاعتدال ، فلم يفرط إلى البرودة كالخوخ وغيره ، ولا إلى الحرارة ، كالتمر ، بل هو فى غاية الاعتدال ، إلى غير ذلك من فوائده فلما كان بهذه المنزلة سموه كرماً ، فأخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن الفوائد والثمرات والمنافع التى أودعها الله قلب عبده المؤمن : ـ من البر ، وكثرة الخير ـ أعظم من فوائد كرم العنب ، فالمؤمن أولى بهذه التسمية منه .

فيكون معنى الحديث على هذا : النهى عن قصر اسم الكرم على شجر العنب ، بل المسلم أحق بهذا الاسم منه .

فكتب إليه أبو خالد :

لقد زاد الحياة إلىَّ حُبًّا ... بناتى : أنهن من الضعاف
مخافة أن يرين البؤس بعدى ... وأن يشربن رَنقاً بعد صافى
وأن يعرين إن كُسى الجوارى ... فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذلك قد سَوَّمت مهرى ... وفى الرحمن للضعفاء كاف
أبانا ، من لنا ؟ إن غِبتَ عنا ... وصار الحىُّ بعدك فى اختلاف ؟

وأخرج مسلم من حديث وائل بن حُجْر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تقولوا : الكرم . ولكن قولوا : العنب والحَبْلَة » .

وهذا نظير قوله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة ، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب » أى مالك نفسه أولى أن يسمى شديداً من الذى يصرع الرجال .

وكقوله « ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان ، والأكلة والأكلتان ولكنه الذى لايسأل الناس ، ولا يفطن له فيتصدق عليه » أى هذا أولى بأن يقال له مسكين من الطواف الذى تسمونه مسكيناً .

ونظيره فى المفلس [١] ، والرقوب [٢] وغيرها .

ونظيره قوله « ليس الواصل بالمكافىء ، ولكنه الذى إذا قطعت رحمه وصلها » وإن كان هذا ألطف من الذى قبله .

وقيل فى معنى النهى وجه آخر ، وهو : قصد النبى صلى الله عليه وسلم سلب هذا الاسم المحبوب للنفوس التى يلذ لها سماعه عن هذه الشجرة التى تتخذ منها أم الخبائث ، فيسلبها الإسم الذى يدعو النفوس إليها ، ولا سيما فإن العرب قد تكون سمتها كرماً ، لأن الخمر المتخذة منها تحث على الكرم وبذل المال [٣] ، فلما حرمها الشارع نفى اسم المدح عن أصلها ،وهو«الكرم» كما نفى اسم المدح عنها ، وهو الدواء ، فقال « إنها داء ، وليست بدواء » ومن عرف سر تأثير الأسماء فى مسمياتها نفرة وميلا عرف هذا ، فسلبها النبى صلى الله عليه وسلم هذا الاسم الحسن ، وأعطاه ما هو أحق به منها ، وهو « قلب المؤمن » .

ويؤكد المعنى الأول : أن النبى صلى الله عليه وسلم شبه المسلم بالنخلة ؛ لما فيها من المنافع والفوائد ، حتى إنها كلها منفعة ، لايذهب منها شىء بلا منفعة ، حتى شوكها ، ولا يسقط عنها

---

(١) فى الحديث « أن المفلس هو الذي يأتى يوم القيامة قد ضرب هذا وظلم هذا . فيؤخذ من حسناته ويعطى للمظلوم ، حتى لا يبقى له حسنة ، فيؤخذ من سيئاتهم فوضع فى ميزانه » أو كما قال صلى الله عليه وسلم . وأصل المفلس : من هلك ماله كله . فعاد فقيراً مديونا .

(٢) فى الحديث عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم « وقف على مجلس من بنى سلمة . فقال : يابنى سلمة ما تعدون الرقوب فيكم ؟ قالوا الذى لا يبقى له ولد . فقال : بل الرقوب الذى لم يقدم من ولده فرطا ، قال : فما العديم ؟ قالوا : الذى لا مال له . قال : بل هو الذى يقدم وليس له عند الله خير » رواه الموصلى والبزار .

(٣) كانوا يسمون تبذير السكير كرما ، لفساد موازين عقله ، وهو أحرى باسم السفه لأنه عطاء بغير عقل ولا روية ، إذ كان يوضع فى مواضع الفساد للتفاخر والتكاثر .

باب لا يقول المملوك « ربى » و « ربتى » [٤ : ٤٥٠

٤٨١٠ ـ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي وأَمَتِي ، ولا يقولن المملوك : رَبِّي وَرَبَّتِي ، وليقل المالك : فَتَايَ وَفتاتى ، وليقل المملوك : سَيِّدى وسيدتى ، فانكم المملوكون والربُّ الله عز وجل »

وأخرجه النسائى .

لباسها وزينتها ، كما لا يسقط عن المسلم زينته ، فجذوعها للبيوت والمساكن والمساجد وغيرها ، وسعفها للسقوف وغيرها ، وخوصها للحصر والمكاتل والآنية وغيرها ، ومسدها للحبال وآلات الشد والحل وغيرها ، وثمرها يؤكل رطباً ويابساً ، ويتخذ قوتاً وأدما ، وهو أفضل المخرج فى زكاة الفطر تقرباً إلى الله ، وطهرة للصائم ، ويتخذ منه مايتخذ من شراب الأعناب. ويزيد عليه بأنه قوت وحده ، بخلاف الزبيب ، ونواه علف للابل التى تحمل الأثقال إلى بلد لايبلغه الإنسان إلا بشق النفس .

ويكفى فيه : أن نواه يشترى به العنب ، فحسبك بتمر نواه ثمن لغيره .

وقد اختلف الناس فى العنب والنخل:أيهما أفضل وأنفع؟ واحتجت كل طائفة بما فى أحدهما من المنافع .

والقرآن قد قدم النخيل على الأعناب فى موضع ، وقدم الأعناب عليها فى موضع ، وأفرد النخيل عن الأعناب ، ولم يفرد العنب عن النخيل .

وفصل الخطاب فى المسألة : أن كل واحد منهما فى الموضع الذى يكثر فيه ، ويقل وجود الآخر : أفضل وأنفع .

فالنخيل بالمدينة والعراق وغيرهما أفضل وأنفع من الأعناب فيها .

والأعناب فى الشام ونحوها أفضل وأنفع من النخيل بها .

ولا يقال : فما تقولون إذا استويا فى بلدة ؟ فان هذا لايوجد ، لأن الأرض التى يطيب النخيل فيها، ويكون سلطانه ووجوده غالبا لا يكون للعنب بها سلطان ، ولاتقبله تلك الأرض . وكذلك أرض العنب لا تقبل النخيل ، ولا يطيب فيها .

والله سبحانه قد خص كل أرض بخاصية من النبات والمعدن ، والفواكه وغيرها ، فهذا فى موضعه أفضل وأطيب وأنفع ، وهذا فى موضعه كذلك

٤٨١١ ـ وعن أبي يونس ـ وهو سليم بن جبير مولى أبي هريرة عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ في هذا الخبر ، ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال « وليقل : سيدي ومولاي » .

وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث هَمَّام بن مُنَبِّه عن أبي هريرة بمعناه .

٤٨١٢ ـ وعن عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تَقُولُوا للمنافق : سيِّدنا ، فَإِنَّهُ إن يَكُ سَيِّداً فقد أَسْخَطْتُم ربَّكم عز وجل » .

وأخرجه النسائي .

باب لا يقال : خبثت نفسى [٤ : ٤٥٢]

٤٨١٣ ـ عن أبي أُمامة بن سَهْل بن حُنيف عن أبيه رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم : خَبُثَتْ نفسى ، وليقُلْ : لَقِسَتْ نفسى » .

وأخرجه البخاري ومسلم والنسائي .

٤٨١٤ ـ وعن عائشة رضى الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يقُولَنَّ أحدكم : جاشَتْ نفسى ، ولكن لِيَقُلْ : لَقِسَتْ نفسى[1] » .

٤٨١٣ ـ قال الشيخ : قوله « لقست نفسى » و « خبثت » معناهما واحد .

وإنما كره من ذلك لفظ الخبث ، وبشاعة الاسم منه . وعلمهم الأدب فى المنطق ،

---

(١) « جاشت » غثت . ويقال : دارت للغثيان . وقيل : ارتاعت وخافت . وكان الأصمعى يفرق بينهما فيقول « جاشت » دارت للغثيان ، وجاشت: ارتفعت من حزن أو فزع .

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى ، وقالوا « خَبُثَتْ ».

٤٨١٥ ـ وعن حذيفة ـ وهو ابن اليمان رضى الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء فلان » :

وأخرجه النسائى .

باب [٤ : ٤٥٢]

٤٨١٦ ـ عن عدى بن حاتم رضى الله عنه « أن خطيباً خطبَ عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : مَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَه . ومن يعصهما ، فقال : قم . أو قال : اذهبْ . فبئسَ الخطيبُ أنت.» .

وأخرجه مسلم ، وقد تقدم فى كتاب الصلاة .

٤٨١٧ ـ وعن أبى المليح ، عن رجل ، قال « كنتُ رديفَ النبي صلى الله عليه

وأرشدهم إلى استعمال الحسن وهجران القبيح منه [١] .

٤٨١٥ ـ قال الشيخ : فهذا قريب المعنى من الأول .

وذلك : أن الواو حرف الجمع والتشريك . و« ثم » حرف النسق ، بشرط التراخى . فأرشدهم إلى الأدب فى تقديم مشيئة الله سبحانه على مشيئة من سواه [٢] .

٤٨١٦ ـ قال الشيخ : إنما كره من ذلك الجمع بين الاسمين ، تحت حرف الكناية . لما فيه من التسوية .

---

(١) بهامش المنذرى ـ بعد ذكره ماذكر الخطابى ـ وقيل : لَقِسَتْ : غثت . وقيل : ساء خلقها . وقيل : نازعته إلى أمر وخرجت عليه .

(٢) بهامش المنذرى : فرق بينهما لأن الواو تفيد الجمع دون الترتيب . و « ثم » تجمع وترتب بشرط التراخى . فمع الواو يكون قد جمع بين الله عز وجل و بينه فى المشيئة . ومع « ثم » يكون قد قدم مشيئة الله تبارك وتعالى على مشيئته .

وسلم ، فَعَثَرَت دابتُه ، فقلت : تَعِسَ الشيطان[1] ، فقال : لا تَقُلْ تَعِسَ الشيطان ، فإنك إذا قلتَ ذلك تعاظَمَ حتى يكون مثل البيت ، ويقول : بقُوَّتى ، ولكن قُلْ : بسم الله . فإنك إذا قلت ذلك تصاغَر ، حتى يكون مثل الذباب » .

وأخرجه النسائى .

[أبو المليح ـ بفتح الميم وكسر اللام وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها حاء مهملة ـ اسمه: عامر بن أسامة . وقيل : زيد بن أسامة ، وقيل : عمير بن أسامة]

٤٨١٨ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا سَمِعْتَ ـ وقال موسى ، وهو ابن إسماعيل ـ إذا قالَ الرَّجُلُ : هَلَكَ النَّاسُ ، فهو أَهْلَكَهُمْ » .

قال أبو داود : قال مالك : إذا قال ذلك تَحَزُّناً لما يَرَى فى الناس ـ يعنى فى دينهم ـ فلا أرى به بأساً ، وإذا قال ذلك عُجْباً بنفسه وتصاغراً للناس : فهو المكروه الذى نُهى عنه .

وأَخرجه مسلم . وليس فيه كلام الإمام مالك ، وقال أبو إسحاق ـ صاحب

٤٨١٨ ـ قال الشيخ : معنى هذا الكلام : أن لا يزال الرجل يعيب الناس ، ويذكر مساويهم . ويقول : قد فسد الناس ، وهلكوا ، ونحو ذلك من الكلام .

---

(١) تعس : هلك . وقيل : عثر . وقيل : سقط على وجهه خاصة . وقيل : بعد. وقيل: لزمه الشر ـ وهو بكسر العين ، وقد تفتح ـ وحكى الأزهرى عن أبى عبيدة: تعسه الله وأتعسه. وقال شَمر : لا أعرف تعسه الله ، ولكن يقال : تعس بنفسه، وأتعسه الله ، قال وقال الفراء: يقال : تعستَ : إذا خاطبت الرجل ، فاذا صرت إلى أن تقول : فعل ، قلت : تعس ، بكسر العين .

مسلم ـ لا أدرى : « أهلَكَهم » بالنصب ، أو « أهلكُهم » بالرَّفع[1] .

باب فى صلاة العتمة [٤ : ٤٥٣]

٤٨١٩ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَغْلِبَنَّكُم الأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلاَتِكُمْ ، أَلاَ ، وإنها الْعِشاءِ ، ولكِنَّهُمْ يَعْتِمُونَ بالإِبِلِ » .

يقول صلى الله عليه وسلم : إذا فعل الرجل ذلك فهو أهلكهم ، وأسوأهم حالاً مما يلحقه من الإثم فى عيبهم ، والإزراء بهم ، والوقيعة فيهم .

وربما أداه ذلك إلى العُجب بنفسه . فيرى أن له فضلاً عليهم . وأنه خيرٌ منهم فيهلك .

٤٨١٩ ـ قال الشيخ : قوله « يعتمون » معناه : يؤخرون حَلْب الإبل . ويسمون الصلاة باسم وقت الحلاب .

٤٨١٩ ـ ذكر حديث « لا تغلبنكم » وذكر التأويلين اللذين ذكرهما المنذرى ، ثم زاد الشيخ ابن القيم رحمه الله :

وسلكت طائفة مسلكا آخر ، فقالت : النهى صريح ، لا يمكن فيه رواية بالمعنى .

وأما حديث « لو يعلمون ما فى الصبح والعتمة » فيجوز أن يكون تغيراً من الراوى عنها

---

(١) بهامش المنذرى من فتح الكاف كان فعلا ماضياً . معناه : إذا قال ذلك استحقاراً واستصغاراً ، ولا يزال يعيب الناس ويذكر من مساويهم ، ويقول : قد هلكوا ، فاذا فعل ذلك : فهو الذى أوجب لهم ذلك ، لا اللهُ تعالى ، وقد يكون لما قال لهم ذلك وآيسهم: حملهم على الانهماك فى المعاصى ، وترك الطاعة ، فهو الذى أوقعهم فى الهلاك .

ومن ضم الكاف : فمعناه أنه إذا قال ذلك : فهو أهلكهم ، أى أكثرهم هلاكا بما اكتسب من الذنوب وعجبه بنفسه . وقيل : معناه فى أهل البدع الذين يؤيسون الناس من رحمة الله عز وجل، ويوجبون عليهم الخلود فى النار بذنوبهم ، إذا قالوا ذلك فى أهل الجماعة ممن لم يقل ببدعتهم .

وأخرجه مسلم والنسائى وابن ماجة .

٤٨٢٠ ـ وعن سالم بن أبي الجعد ، قال : قال رجل ـ قال مِسْعَر : أُراه من خزاعة ـ « ليتنى صَلَّيت فاسْتَرحْتُ ، فكأنَّهم عابوا عليه ذلك ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا بِلاَلُ : أَقِمِ الصَّلاَةَ ، أَرِحْنَا بِهَا » .

٤٨٢١ ـ وعن عبد الله بن محمد بن الحنفية ، قال « انطلقت أنا وأبى إلى صِهرٍ لنا من الأنصار نَعُوده ، فحضرتِ الصلاةُ ، فقال لبعض أهله : يا جاريةُ ائْتونى بوَضوء ، لعلِّى أُصَلِّى ، وأستريح ، قال : فأنكرنا ذلك عليه ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قُمْ يا بلالُ ، فأَرِحْنا بالصلاة » .

٤٨٢٢ ـ وعن زيد بن أَسْلَم ، عن عائشة عليها السلام ، قالت «ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْسُبُ أحداً إلا إلى الدِّين » .

هذا منقطع . زيد بن أسلم لم يسمع من عائشة .

[يشبه أن يكون أبو داود رحمه الله أدخل هذا الحديث فى هذا الباب : أنه صلى الله عليه وسلم لا يَنْسُب أحداً إلا إلى الدين ليرشدهم بذلك إلى استعمال

ويقال : فلان عاتم القِرَى : إذا كان إذا نزل به الأضياف لم يُعَجِّل قِراهم [1].

باسم العتمة ، ولم يعلم بالنهى ، فرواه بمعناه ، وهذا الاحتمال لايتطرق إلى حديث النهى .

وقالت طائفة : النهى إنما هو من غلبة الأعراب على اسم العشاء بحيث يهجر بالكلية ، كما دل عليه قوله « لايغلبنكم » فأما إذا سميت بالعشاء تسمية غالبة على العتمة : لم يمتنع أن يسمى بالعتمة أحياناً ، وهذا أظهر الأقوال .

---

(١) بهامش المنذرى ـ بعد ذكره ما ذكر الخطابى ـ وقال الخليل : العتمة من الإبل : بعد غيبوبة الشفق . وقال الخليل أيضاً : العتمة أيضاً : هو الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق .

الألفاظ الواردة فى الكتاب الكريم ، والسنة النبوية ، ويصرفهم عن عبارات الجاهلية ، كما فعل فى العتمة . والله عز وجل أعلم[1]] .

باب ما روى فى الترخيص فى ذلك [٤ : ٤٥٤]

٤٨٢٣ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « كان فَزَعٌ بالمدينة ، فركبَ

٤٨٢٣ ـ قال الشيخ : فى هذا إباحة التوسُّع فى الكلام ، وتشبيه الشيء بالشيء الذى له تعلق ببعض معانيه ، وإن لم يَستَوفِ أوصافه كلها .

وقال : إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوى : إنما شَبَّه الفرس بالبحر لأنه أراد : أن جَرْيه كجرى ماء البحر ، أو لأنه يَسْبَح فى جَرْيه كالبحر إذا ماج ، فعَلا بعضُ مائه فوق بعض .

قلت : ويقال فى نُعوت الفرس : بحر ، وحَتٌّ[2] ، وسَكْب[3] . إذا كان واسع الجرى . قاله الأصمعى .

٤٨٢٣ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

لم يذكر أبو داود فى هذا الباب إلا هذا الحديث ، ولا تعلق له فى تسميته العشاء عتمة . وإنما تعلقه بالتوسع فى العبارة ، واستعارة اسم البحر للفرس الجواد الكثير الجرى ، فكأنه راجع إلى قوله « باب فى حفظ المنطق » .

---

(١) من هامش المنذرى . ولعلها بكلام المنذرى أشبه .

(٢) فى اللسان : وفرس حت : جواد سريع كثير العدو . والجمع أحتات . قال الأعلم بن عبد الله الهذلى :

على حَتِّ البُراية زَمْخَرِى السَّـــواعد ، ظلَّ فى شَرْىٍ طوال

يعنى أنه سريع عند ما يبريه السفر .

(٣) فى اللسان : وفرس سكب : جواد كثير العدو ذريع ، مثل حَت . والسكب : فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان كُميتا أغر مُحجَّلا ، مطلق اليمين ، سمى بالسَّكب =

رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً لأبى طَلْحة ، فقال : مَا رَأَيْنَا شَيْئاً . أو مَا رَأَيْنَا مِنْ فزَعٍ ، وإنْ وَجَدْنَاهُ لبَحْراً » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

باب فى الكذب [٤ : ٤٥٤]

٤٨٢٤ ـ عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى

٤٨٢٤ ـ قال الشيخ : هذا تأويل قوله سبحانه (٨٢ : ١٣ ، ١٤ إن الأبرار لفى نَعيم . و إن الفجَّار لفى جَحيم) .

وأصل الفجور . الميل عن الصدق ، والانحراف إلى الكذب .

ومنه قول الأعرابى فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

أقسمَ بالله أبو حَفْصٍ عُمَرْ ما إنْ بها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ
اغفر له اللهم ، إن كان فَجَرْ

يريد : إن كان مال عن الصدق فيما قاله .

=من الخيل ، وكذلك فرس فَيْض وغَمْر و بحر . وغلام سكب : إذا كان خفيف الروح نشيطاً فى عمله .

و بهامش المنذرى : قال نِفْطَوَيه : فرس بحر : كثير الجرى ، لا يفنى جريه كما لا يفنى ماء البحر . وقال الأصمعي : فرس بحر وفيض وحث وغمر ، وقال غيره : وسَكْب .

البرِّ ، وَإِنَّ البرّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً [(١)] » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

٤٨٢٥ ــ وعن بَهْز بن حَكيم قال : حدثنى أبى ، عن أبيه رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ ، ويلٌ له ، ويل له » .

وأخرجه الترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن . هذا آخر كلامه .

وجَدُّ بهز بن حكيم : هو معاوية بن حَيْدة القُشَيرى رضى الله عنه ، له صحبة وقد تقدم الاختلاف فى بهز بن حكيم ، وأن من الأئمة من وثقه ، ومنهم من قال : لا يحتج به .

٤٨٢٦ ــ وعن ابن عَجلان ــ وهو محمد ــ أن رجلا من موالى عبد الله بن عامر بن ربيعة العَدَوِى حَدَّثَه ، عن عبد الله بن عامر ، أنه قال : « دَعَتْنِي أُمِّي يوماً ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ فى بيتنا ، فقالت : ها ، تَعَالَ أُعطيك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيه ؟ قالت : أُعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَا إِنَّكِ لو لم تُعْطِيه شيئاً كُتِبتْ عليكِ كِذْبة » .

---

(١) بهامش المنذرى : قيل معناه : الصدق يهدى إلى البر ، وهو العمل الصالح الخالص من المأثم . و « البر » اسم جامع للخير كله . وقيل : البر الجنة . وقيل ذلك فى قوله تعالى (٣ : ٩٢ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) والكذب يوصل إلى الفجور . وأصل « الفجور » الميل عن القصد . وقيل : الانبعاث فى المعاصى . ومنه قيل للفاجر كاذب . وللمكذب بالحق فاجر .

مولى عبد الله : مجهول .

٤٨٢٧ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ (١) » .

قال أبو داود : ولم يذكر حفص ـ يعنى ابن عمر الْحَوْضي (٢) ـ أباهريرة . يعنى أنه رواه مرسلا .

وأَخرجه مسلم فى المقدمة مسنداً ومرسلا ، وعند بعض رواة مسلم كلاهما مسند . وقال الدارقطنى : والصواب : مرسل.

باب فى حسن الظن [٤ : ٤٥٥]

٤٨٢٨ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ (٣) » .

---

(١) بهامش المنذرى : معناه أن من حدث بكل ماسمع ، وفيه الحق والباطل، والصدق ، والكذب ـ نقل عنه هو أيضاً ماحدث به من ذلك . فكان من جملة من يروى الكذب ، وصار بذلك كذاباً لروايته إياه ، وإن لم يتعمده ، ولا أعرف أنه كذب .

(٢) هو حفص بن عمر بن الحارث بن سخبرة الأزد النمرى ـ أبو عمر الحوضى البصرى. قال أبو طالب عن أحمد : ثبت ثبت متقن لا يؤخذ عليه حرف واحد . قال السمعانى : نسبة إلى الحوض ، وقال الرّشاطى : منسوب إلى حوض مدينة باليمن اهـ .

والذى أعرف فى بلاد اليمن مدينة « حرض » بالراء المهملة المفتوحة ، فيحتمل أنها تصحفت على الرشاطى ، لبعد البلاد ، وقول ابن السمعانى : أشبه . اهـ تهذيب .

(٣) بهامش المنذري : قال بعضهم . حسن الظن بالله تعالى من جملة حسن العبادة . وفائدة الحديث : إعلام أن حسن الظن بالله تعالى من العبادات الحسنة .

ويحتمل أن يكون معناه : من حسنت عبادته حسن ظنه . كما قيل : فى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يموتَنَّ أَحدُكم إلا وهو يحسن الظن بالله » . =

في إسناده : مُهنّأ بن عبد الحميد ، أبو شِبْل البصرى سئل عنه أبوحاتم الرازى؟ فقال : هو مجهول .

٤٨٢٩ ـ وعن صَفية ـ وهي ابنةُ حُيَيٍّ رضى الله عنها ـ قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعْتكفاً، فأتيتُه أزوره ليلاً ، فحدَّثته وقُمتُ ، فانْقَلَبْتُ(١) ،فقام

٤٨٢٩ ـ قال الشيخ : فيه من العلم : استحباب أن يتحرّز الانسان فى كل أمر من المكروه ، مما تجرى به الظنون ، ويخطر بالقلوب ، وأن يطلب السلامة من الناس باظهار البراءة من الريب .

= وأقول : إن معنى حسن الظن بالله : هو أن يؤمن الإيمان الصادق بأسماء الله وصفاته وأنه العليم الحكيم البر الرحيم الودود الشكور الغفور الشديد العقاب ، الرقيب الشهيد الحسيب السميع البصير ، القريب المجيب وغيرها من الأسماء . وسوء الظن : هو أن يشبهه بملوك الدنيا ورؤسائها ، فيتخذ له الوسائط والشفعاء ، وأنه يقضى بغير الحق ، ويحكم بغير العدل ، و يؤثر فيه الشفعاء والوسائط . وأنه يعطى بغير حكمة ، وأنه يخدع بالأسماء والمظاهر والدعاوى الباطلة . سبحان ربنا وتعالى عما يظنه أكثر الناس به اليوم علواً كبيراً . ولا يمكن أن يبلغ العبد درجة اليقين وحسن ظنه بربه إلا بالتفكر السليم فى آياته الكونية والتدبر والتفقه لآياته القرآنية . فيثمر ذلك العلم الصادق بأسماء الله وصفاته ، فيؤمن به الإيمان الصحيح .

(١) بهامش المنذرى « فانقلبت » أى رجعت إلى بيتى « وفقام معى إلى بيتى ليقلبنى » أى يصحبنى إلى منزلى يقال : قَلَبه يَقْلِبه وانقلب هو : إذا انصرف . قال الله تعالى (وإليه تقلبون) ومنه حديث أبى هريرة أنه كان يقول لمعلم الصبيان « اقلبهم » أى اصرفهم إلى منازلهم .

وفيه جواز هذا المعتكف مالم يخرج من المسجد ، وبوب عليه البخارى « خروج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد » لأن فى هذا الحديث « أنه بلغ معها باب المسجد » .

معى لِيَقْلِبَنِي ، وكان مَسْكَنُها فى دار أسامة بن زيد ، فمرَّ رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبيَّ صلى الله عليه وسلم أَسْرَعا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عَلَى رِسْلِكُما[١] . إنَّها صَفيةُ بنْتُ حُيَيٍّ . قالا : سُبحان الله يا رسول الله[٢] ! قال : إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ[٣] ، نَخَشيْتُ أَنْ يَقْذِفَ فِى قلوبكما شيئًا ، أو قال : شراً » .

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة.وقد تقدم فى كتاب الصيام .

باب فى العِدَةِ [٤ : ٤٥٦]

٤٨٣٠ ـ عن أبى النعمان ، عن أبى وَقَّاص ، عن زيد بن أرقم رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِذَا وَعَدَ الرَّجُلُ أَخَاهُ ، وَمِنْ نِيَّتِهِ أَنْ يَفِىَ ، فَلَمْ يَفِ ، ولَمْ يَجِئْ لِلْمِيعَادِ . فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ »

وأخرجه الترمذى . وقال : غريب ، وليس إسناده بالقوى . على بن

ويحكى عن الشافعى رحمه الله فى هذا : أنه قال « خاف النبى صلى الله عليه وسلم أن يقع فى قلوبهما شىء من أمره . فيكفرا . وإنما قال ذلك لهما شفقة عليهما . لا على نفسه » .

(١) بهامش المنذرى « على رسلكما » بكسر الراء وفتحها . وهما بمعنى التؤدة وترك العجلة . وقيل : بالكسر التؤدة ، وبالفتح اللين والرفق . وأصله السير اللين . والمعنى متقارب ، ثم ذكر ماحكى الخطابى عن الشافعى رحمهما الله .

(٢) بهامش المنذرى : فيه جواز قول « سبحان الله » عند تعظيم الأمر والتعجب . قال الله تعالى (٢٤ : لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) .

(٣) بهامش المنذرى : قيل : هو على ظاهره فإن الله قد جعل له قوة وقدرة على الجرى فى باطن الإنسان ومجارى دمه . وقيل : هو استعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان ، كما لا يفارقه دمه .

عبد الأعلى : ثقة . وأبو النعمان : مجهول . وأبو وقاص : مجهول . هذا آخر كلامه

وقد سئل أبو حاتم الرازى عن أبى النعمان ؟ فقال : مجهول ، وسئل أيضا عن أبى وقاص ؟ فقال : مجهول .

٤٨٣١ ـ وعن عبد الله بن أبى الحَمْسَاء رضى الله عنه ، قال « بايعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بِبَيْع ، قبل أن يُبْعَثَ ، وبقيتْ له بَقيةٌ . فوعدتُه أن آتيَه بها فى مكانه ، فنسيتُ ، ثم ذكرت بعد ثلاثٍ ، فجئتُ ، فإذا هو فى مكانه ، فقال : يا فَتَى ، لقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ ، أنا هٰهنا منذ ثلاثٍ أنتظرك » .

أخرجه من حديث إبراهيم بن طَهمان عن بُديل عن عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبى الحمساء . وقال محمد بن يحيى : هذا عندنا : عبدُ الكريم بن عبد الله بن شقيق .

وقال أبو على سعيدُ بن السَّكَن ، فى كتاب الصحابة له : روى حديثه إبراهيم بن طهمان عن بُديل بن مَيْسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبيه عنه ويقال : عن بديل عن عبد الكريم المعلِّم .

ويشبه أن يكون قولَ ابن السكن : الصوابُ .

وعبد الكريم المعلم : هو ابن أبى المخارق . ولا يحتج بحديثه .

باب فى المتشبع بما لم يُعطَ [٤ : ٤٥٧]

٤٨٣٢ ـ عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما «أن امرأة قالت : يارسول الله ، إن لى جارةً ـ تعنى ضَرَّةً ـ هل عَلَيَّ جُنَاحٌ : إن تَشَبَّعتُ لها بما لم يُعطِ زوجى ؟ قال : المُتَشَبِّع بما لم يُعْطَ كلابسِ ثَوْبَىْ زورٍ » .

٤٨٣٢ ـ قال الشيخ : العرب تسمى امرأةَ الرجل جارتَه . وتدعو الزوجتين الضُّرتين جارتين . وذلك لقرب أشخاصهما ، كالجارتين المتصاقبتين فى الدارين تسكنانهما ، ومن

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

باب ما جاء فى المزاح [٤ : ٤٥٧]

٤٨٣٣ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم

هذا قول الأعشى لامرأته :

أجارتنا بينى فانك طالقة [(١)]

ومن هذا النحو قول امرىء القيس :

أجارتنا ، إنا غريبان هٰهنا   وكل غريب للغريب نسيب

وقوله « كلابس ثوبى زور » يُتأوَّل على وجهين .

أحدهما : أن الثوبين هنا كأنه كناية عن حاله ومذهبه ؛ وقد تَكْنِى العرب بالثوب عن حال لابسه ، وعن طريقه ومذهبه . كقول الشاعر :

وإنى بحمد الله لا ثوب غادر   لبستُ ، ولا من رِيبةٍ أتقنَّع

والمعنى : أن المتشبع بما لم يُعْطَ بمنزلة الكاذب القائل ما لم يكن .

والوجه الآخر : ما يروى عن فلان أنه « كان يكون فى الحى الرجل له هيئة ونُبل . فإذا احتيج إلى شهادة زور شهد بها . فلا يُرَدُّ من أجل نُبله ، وحسن ثوبيه » .

فأضيف الشهادة إلى ثوبيه ، إذ كانا سبب جوازها ورواجها .

٤٨٣٣ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

وفى الصحيحين عن أنس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالطنا حتى يقول لأخ لى صغير : يا أبا عمير ما فعل النغير » .

وقد أخرج الترمذى من حديث أسامة بن زيد عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قالوا « يارسول الله ، إنك تداعبنا ، قال : إنى لا أقول إلا حقاً » قال الترمذى : حديث حسن .

---

(١) تتمته من اللسان * كذاكِ أمور الناس : غادٍ وطارقه .

وبهامش المنذرى : ومنه قول عمر لحفصة ابنته رضى الله عنهما « لا يغرنك إن كانت جارتك » يعني فى قصة تحريم النبى صلى الله عليه وسلم العسل ، وما أفضت عائشة إلى حفصة رضى الله عنهما من سر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : يا رسول الله ، احْمِلْنِى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ . قال : ما أصنعُ بولدِ الناقة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وَهَلْ تَلِدُ الإبِلَ إلَّا النُّوقُ ؟ » .

وأخرجه الترمذى ، وقال : صحيح غريب .

٤٨٣٤ ـ وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : « استأذن أبو بكر ، رحمة الله عليه ، على النبي صلى الله عليه وسلم . فَسَمِع صوتَ عائشةَ عالياً ، فلما دخلَ تناولها لِيَلْطُمَهَا ، وقال : ألا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَحْجُزه ، وخرج أبو بكر مُغْضَبًا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، حين خرج أبو بكر : كَيْفَ رَأَيْتِنِى أَنقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ ؟ قال : فمكث أبو بكر أيَّامًا ، ثم استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدهما قد اصْطَلَحا ، فقال لهما : أَدْخِلَانى فى سِلْمِكما ، كما أدخلتمانى فى حَرْبكما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم ، قَدْ فَعَلْنَا ، قَدْ فعلْنَا » .

وأخرجه النسائى . وليس فى حديثه ذكر أبى إسحاق السَّبِيعى .

٤٨٣٥ ـ وعن عَوْف بن مالك الأشْجعى رضى الله عنه قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غَزْوَة تَبُوكَ ، وهو فى قُبَّة من أَدَمٍ ، فسلمتُ ، فردَّ ، وقال: ادْخُلْ . فقلت : كُلِّى يا رسول الله ؟ قال : كُلُّك . فدخلت » .

وأخرجه البخارى وابن ماجة مطولا .

وليس فى حديث البخارى قصة الدخول .

٤٨٣٦ ـ وعن عثمان بن أبى العاتِكة قال : إنما قال : « أدخل كلى » من صِغَرِ القُبَّة .

وعثمان ـ هذا ـ فيه مقال .

٤٨٣٧ ـ وعن أنس رضى الله عنه ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياذَا الْأُذُنَيْنِ » .

وأخرجه الترمذى .

باب من يأخذ الشيء على المزاح [٤ : ٤٥٨]

٤٨٣٨ ـ عن عبد الله بن السائب بن يزيد ، عن أبيه ، عن جده رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا وَلَا جَادًّا »

وقال سليمان ـ وهو ابن عبد الرحمن ـ « لَعِبًا وَلَا جِدًّا . وَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا » .

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبى ذئب .

٤٨٣٧ ـ قال الشيخ : كان مزح النبي صلى الله عليه وسلم مزحاً لايدخله الكذب والتزيُّد . وكل إنسان له أذنان فهو صادق فى وصفه إياه بذلك .

وقد يحتمل وجهاً آخر ، وهو : أن لا يكون قصد بهذا القول المزاح . وإنما معناه الحض والتنبيه على حسن الاستماع ، والتلقُّف لما يقوله ويُعلِّمه إياه ، وسماه « ذا الأذنين » إذ كان الاستماع إنما يكون بحاسة الأذن ، وقد خلق الله تعالى له أذنين يسمع بكل واحدة منهما ، وجعلهما حجة عليه . فلا يعذر معهما إن أغفل الاستماع له ، ولم يحسن الوعي له . والله عز وجل أعلم .

٤٨٣٨ ـ قال الشيخ : معناه : أن يأخذه على وجه الهزل ، وسبيل المزاح ، ثم يحبسه عنه ولا يرده ، فيصير ذلك جِدّاً (١) .

---

(١) بهامش المنذرى : والجد نقيض الهزل . يقال منه : جد يجد ـ بالكسر ـ جداً .

٤٨٣٩ ـ وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى رحمه الله ، قال : حدثنا أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم « أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنامَ رجلٌ منهم ، فانطلقَ بعضهم إلى حَبْل معه ، فأخذه ، ففزع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَن يُرَوِّعَ مُسْلِماً[1] » .

باب ماجاء فى المتشدق فى الـكلام [٤ : ٤٥٩]

٤٨٤٠ ـ عن عبد الله ـ وهو ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ : الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلُّلَ الْبَاقِرَةِ بِلِسَانِهَا » .

وأخرجه الترمذى ، وقال : حسن غريب من هذا الوجه .

٤٨٤١ ـ وعن الضحاك بن شُرحبيل ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الْـكَلَامِ لِيَسْبِيَ بِهِ قُلُوب

٤٨٤١ ـ قال الشيخ : « صرف الـكلام » فضله ، وما يتكلَّفه الإنسان من الزيادة فيه وراء الحاجة . ومن هذا سمى الفضلُ بين النقدين صَرْفاً .

وإنما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لما يدخله من الرياء والتصنع ، ولما يخالطه من الـكذب والتزيد[2] .

---

(١) بهامش المنذرى : الروع : الفزع . قال الله تعالى (١١ : ٧٤فلما ذهب عن إبراهيم الروع) .

(٢) بهامش المنذري : ـ بعد ذكر كلام الخطابى ـ وأمر صلى الله عليه وسلم أن يكون الكلام قصداً بقدر الحاجة . يقال : فلان لا يحسن صرف الـكلام ، أى فضل بعضه على بعض .

الرِّجَالِ ، أَوِ النَّاس ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلاً » .

الضحاك بن شُرحبيل — هذا — مصرى ، ذكره ابن يونس فى تاريخ المصريين ، وذكره البخارى وابن أبى حاتم ، ولم يذكر له رواية عن أحد من الصحابة . وإنما روايته عن التابعين .

ويشبه أن يكون الحديث منقطعاً ، والله عز وجل أعلم .

٤٨٤٣ — وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال « قدِمَ رجلان من المشْرق فخطبا ، فعجِبَ الناسُ — يعنى لبيانهما — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ مِنَ الْبيَانِ لَسِحْراً ، أو : إِنَّ بَعْضَ الْبيَانِ لَسِحْرٌ » .

وأخرجه البخارى والترمذى .

والرجلان : هما الزِّبْرِقان بن بَدْر ، وعمرو بن الأهْتَم . ولهما صحبة والأهتم : بفتح التاء ثالث الحروف .

وكان قدومهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع من الهجرة .

٤٨٤٣ — وعن أبى ظَبية ، أن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال يوماً — وقام رجلٌ فأكثر القولَ — فقال عمرو : « لَوْ قَصَدَ فى قوله لكان خيراً له ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لَقَدْ رَأَيْتُ ، أَوْ أُمِرْتُ ، أَنْ أَتَجَوَّزَ فى الْقَوْلِ[1] ؛ فإنَّ الْجَوَازَ : هُوَ خَيْرٌ » .

وأمر صلى الله عليه وسلم أن يكون الكلام قَصْداً تِلْوَ الحاجة ، غير زائد عليها ، يوافق ظاهره باطنه ، وسِرُّه عَلَنه .

---

(١) بهامش المنذرى : أى أخفف . ومنه : تجوز فى صلاته ، أى خففها وأسرع بها . ويحتمل أن يكون من قولهم : تجوز فى كلامه : أى تكلم بالمجاز . والأول ههنا أظهر لسياق الحديث .

أبو ظبية : بفتح الظاء المعجمة ، وسكون الباء الموحدة ، وبعدها ياء آخر الحروف مفتوحة ، وتاء تأنيث ـ كلاعى حمصى ثقة .

وفى إسناده : محمد بن إسماعيل بن عَيَّاش عن أبيه . وفيهما مقال .

باب ما جاء فى الشعر [٤ : ٤٦٠]

٤٨٤٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَأَنْ يَمْتَلِىءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا : خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِىءَ شِعْراً » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة .

قال أبو على ـ وهو اللؤلؤى صاحبُ أبى داود ـ بلغنى عن أبى عبيد أنه قال : وجهه : أن يمتلىء قلبه ، حتى يَشْغَله عن القرآن ، وذكرِ الله ، فإذا كان القرآنُ والعلمُ الغالبَ ، فليس جَوفُ هذا عندنا ممتلئاً من الشعر .

و « إن من البيان لسحراً » : فإن المعنى : أن يبلغ من بَيانه : أن يمدح الإنسان ، فيصدُق فيه ، حتى يصرِف القلوبَ إلى قوله ، ثم يَذُمَّه ، فيصدُق فيه حتى يصرِفَ القلوب إلى قوله الآخر ، فكأنه سَحَر السامعين بذلك . هذا آخر كلامه .

وقد اختلف العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحراً » .

فقيل : أورده مورد الذم ، لتشبيهه بعمل السحر ، لقلبه القلوب ، وتزيينه القبيح ، وتقبيحه الحسن ، وإليه أشار الإمام مالك رحمه الله ، فإنه ذكر هذا الحديث فى الموطأ فى « باب ما يكره من الكلام »

قيل معناه : أن صانعه يكسب به من الإثم ما يكسبه الساحر بعمله .

وقيل : أورده مورد المدح ، أى أنه تُمال به القلوب ، ويُترَضَّى به الساخط ،

ويُسْتَنْزَلُ به الصعب ، ويشهد له « إن من الشعر لحكمة » وهذا لا ريب فيه : أنه مدح . فكذلك مصراعه الذى بإزائه .

وقال بعضهم فى الامتلاء من الشعر : أى الشعر الذى هُجى به رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا القول غير مرضى . فإن شَطر البيت من ذلك يكون كفراً . فإذا حُمل على الامتلاء منه ، فقد رخَّص فى القليل منه . وهذا ليس بشىء .

والمختار : ما تقدم .

٤٨٤٥ ـ وعن أُبيٍّ ـ وهو ابن كعب رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً » .

وأخرجه البخارى وابن ماجة .

٤٨٤٦ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال « جاء أعرابِيٌّ إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، فجعلَ يتكلمُ بكلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مِنَ الْبيَانِ سِحْراً ، وإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْمًا » .

٤٨٤٦ ـ قال الشيخ : اختلف الناس فى هذا وفى تأويله .

فقال بعضهم : وجهه : أنه ذم التصنع فى الكلام ، والتكلف لتحسينه وتزويقه ، ليروق السامعين قوله ، ويستميل به قلوبهم . فيحيل الشىء عن ظاهره ، ويزيله عن موضوعه: إرادة التلبيس عليهم . فيصير ذلك بمنزلة السحر الذى هو ـ أو نوع منه ـ تخييل لما لا حقيقة له ، وتوهيم لما ليس له محصول . والسحر منه مذموم . وكذلك المشبه به .

وقال آخرون : بل القصد به مدح البيان ، والحثُّ على تَخيُّر الألفاظ ، والتأنقُ فى الكلام .

واحتج لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر لحكماً » .

٤٨٤٧ ـ وعن صَخْر بن عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه ، عن جده رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْراً ، وإن مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً ، وإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً ، وإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيَالا » .

« فقال صَعْصَعَةُ بن صَوحان : صدق نبي الله صلى الله عليه وسلم .

أما قوله « إِنَّ مِنَ الْبيَانِ سِحْراً » فالرجل يكون عليه الحق ، وهو أَلْحَنُ بالحجج من صاحب الحق ، فَيَسْحَر القوم ببيانه . فيذهبُ بالحق .

وأما قوله : « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً » فيتكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم فيُجَهِّله ذلك .

وأما قوله « إن من الشعر حكما » : فهو هذه المواعظ والأمثال التى يَتَّعِظُ بها الناسُ .

وذلك ما لا ريب فيه : أنه على طريق المدح له . وكذلك مصراعه الذى بإزائه . لأن عادة البيان غالباً : أن القرينين نظماً لا يفترقان حكما .

وروى عن عمر بن عبد العزيز « أن رجلاً طلب إليه حاجة ، كان يتعذر عليه إسعافه بها . فرقّق له الكلام فيها ، حتى استمال به قلبه ، فأنجزها له . ثم قال : هذا هو السحر الحلال » .

٤٨٤٧ ـ قال الشيخ : أما قوله « إن من البيان سحراً » فالرجل يكون عليه الحق ، وهو ألحنُ بحجته من صاحب الحق ، فيسحَر القوم ببيانه . فيذهب بالحق .

وأما قوله « إن من العلم جهلاً » فيتكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم . فيجهله ذلك .

وأما قوله « إن من الشعر حكما » فهى هذه المواعظ والأمثال التى يتعظ بها الناس .

وأما قوله « إن من القول عيالاً » . فعرضُ كلامك أو حديثك على من ليس من شأنه ولا يريده .

قلت : هكذا رواه أبو داود « من القول عيالاً » ورواه غيره « إن من القول عَيلا » هكذا ذكره الأزهرى عن المنذرى .

وأما قوله « إنَّ مِن القول عِيالا » فعَرْضُك كلامَك وحديثَك على من ليس من شأنه ولا يريده .

في إسناده : أبو تُمَيْلَة - يحيي بن واضح - الأنصاري المروزي ، وثقه يحيي بن معين ، وأبو حاتم الرازي ، وأدخله البخاري في كتاب الضعفاء . فقال أبو حاتم الرازي : يُحوَّل من هناك .

٤٨٤٨ - وعن سعيد - وهو ابن المسيَّب - قال « مَرَّ عمر رضى الله عنه بحسّانٍ ، وهو يُنْشِدُ في المسجد ، فلَحَظَ إليه [1] ، فقال : قد كنتُ أُنشدُ فيه مَنْ هو خيرٌ منك »

وأخرجه النسائي .

وسعيد بن المسيب لم يصح سماعه من عمر . فان كان سمع ذلك من حسان بن ثابت فيتصل .

٤٨٤٩ - وعن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، بمعناه - زاد « نخشى أن يرميه برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجازه » .

قال حدثنا يعقوب بن إسحق المخزومي حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو تُميلة بإسناده .

قال الأزهري : قوله « عيلا » من قولك : عِلتُ الضالة أعيل عَيْلا وعَيَلا : إذا لم تدر أي جهة تبغيها .

قال أبو زيد : كأنه لم يهتد لمن يطلب علمه فعرضه على من لا يريده .

٤٨٤٩ - ذكر حديث سعيد بن المسيب في واقعة عمر وحسان ، ثم قال المنذري : وسعيد بن المسيب لم يصح سماعه من عمر ، فان كان سمع ذلك من حسان فمتصل .

ثم قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

---

(١) بهامش المنذري : لحظه ولحظ إليه : أي نظر إليه بمؤخر عينه . يفهمه بذلك : إنكاره لما يفعل .

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى بمعناه ، دون الزيادة.

٤٨٥٠ ـ وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَضعُ لحسانَ مِنْبَراً فى المسجد ، فيقوم عليه يَهْجُو مَنْ قال فى رسول الله صلى الله

٤٨٥٠ ـ قال الشيخ : قوله « ما نافح » معناه دافع ، ومن هذا قولهم « نفحتُ الرجل بالسيف » إذا تناولته من بعد ، ونَفَحَتْه الدابة : إذا أصابته بحدِّ حافرها .

وقد تكرر له فى هذا الكتاب فى مواضع ، وبه يعلل ابن القطان وغيره حديث سعيد عن عمر ، وهو تعليل باطل ، أنكره الأئمة ، كأحمد بن حنبل ويعقوب بن سفيان وغيرهما .

قال أحمد : إذا لم يقبل سعيد بن المسيب عن عمر فمن يقبل ؟ سعيد عن عمر عندنا حجة .

وقال حنبل فى تاريخه : حدثنا أبو عبد الله ـ يعنى أحمد بن حنبل ـ حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن إياس بن معاوية قال : قال سعيد بن المسيب « ممن أنت ؟ قلت : من مزينة . قال : إنى لأذكر يوم نعى عمر بن الخطاب النعمان بن مقرن المزنى على المنبر » وهذا صريح فى الرد على من قال : إنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر .

وقال يحي بن سعيد الأنصارى : كان سعيد بن المسيب يسمى رواية عمر بن الخطاب ، لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه .

وقال مالك : بلغنى أن عبد الله بن عمر كان يرسل إلى ابن المسيب يسأله عن بعض شأن عمر ، وأمره .

هذا ، ولم يحفظ عن أحد من الأئمة أنه طعن في رواية سعيد عن عمر ؛ بل قابلوها كلهم بالقبول والتصديق ، ومن لم يقبل المرسل قبل مرسل سعيد عن النبي صلي الله عليه وسلم .

وقال الحاكم فى علوم الحديث : سعيد بن المسيب أدرك عمر وعلياً وطلحة ، وباقى العشرة ، وسمع منهم .

والمقصود : أن تعليل الحديث برواية سعيد له عن عمر تعنت بارد .

والصحيح : أنه ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، فيكون له وقت وفاة عمر ثمان سنين. فكيف ينكر سماعه ، ويقدح فى اتصال روايته عنه ؟ والله الموفق للصواب .

وقد أخرجاه فى الصحيحين ، وذكره أبو داود عقب هذا الحديث عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ـ فذكر الحديث بمعنى ماتقدم دون ذكر الزيادة .

عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ رُوحَ القُدُس[1] مع حسان ، ما نَافَحَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرجه الترمذي ، وقال : حسن صحيح .

٤٨٥١ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : (٢٦ : ٢٢٤ والشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُون) فنسخ ذلك ، واستثنى ، فقال : (إِلَّا الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحاتِ وذ كَرُوا الله كَثيراً) » .

فى إسناده : على بن الحسين بن واقد ، وفيه مقال .

باب ما جاء فى الرؤيا [٤ : ٤٦٢]

٤٨٥٢ ـ عن زُفَر بن صَعْصَعَة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان إذا انصرفَ من صلاةِ الغَداة يقول : هل رأى أحدٌ منكم اللَّيْلَةَ رُؤْيا ؟ ويقول : إنَّهُ ليس يَبْقَى بعدى مِنَ النبُوَّةِ إلا الرُّؤيا الصالحة » .

وأخرجه النسائى من حديث زفر بن صعصعة عن أبى هريرة ، من غير ذكر صعصعة . والمحفوظ من حديث الإمام مالك بن أنس : إثبات صعصعة فى إسناده .

٤٨٥٢ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

وقد روى البخارى فى صحيحه من حديث الزهرى حدثني سعيد بن المسيب : أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لم يبق من النبوة إلا المبشرات : قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة » وأخرجه مسلم من حديث ابن عباس .

---

(١) روح القدس : هو جبريل عليه السلام . و « نافح » أى دافع وخاصم . يقال : نفحت عن فلان ، ونافحت عنه : أى خاصمت ودافعت .

٤٨٥٣ ـ وعن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « رُؤْيا المُؤمنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعين جزءًا مِنَ النُّبوَّةِ » .

٤٨٥٣ ـ قال الشيخ : معنى هذا الكلام : تحقيق أمر الرؤيا وتأكيده . وإنما كانت جزءاً من أجزاء النبوة فى الأنبياء صلوات الله عليهم ، دون غيرهم . وكان الأنبياء يوحَى إليهم فى منامهم ، كما يوحى إليهم فى اليقظة .

وأنبأنا ابن الأعرابى حدثنا ابن أبى ميسرة حدثنا الحميدى حدثنا سفيان بن عيينة قال : قال عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير « رؤيا الأنبياء وحي » وقرأ قوله تعالى (٣٧:١٠٢ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك . فانظر ماذا ترى ؟ قال : ياأبتِ ، افعلْ ماتؤمر).

فأما تحديد أجزائها بالعدد المذكور : فقد قال فى ذلك بعض أهل العلم قولاً ، زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقى منذ بدء الوحى إلى أن مات ثلاثاً وعشرين سنة ، أقام بمكة منها ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين . وكان يوحَى إليه في منامه فى أول الأمر بمكة ستة أشهر . وهى نصف سنة . فصارت هذه المدة جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة [1] .

---

(١) بهامش المنذرى : وقد اعترض على هذا بأمور :

منها : أنه لم يثبت أن أصل رؤياه صلى الله عليه وسلم قبل النبوة كانت ستة أشهر .

ومنها : أن مدة الوحى قد جاء « أنها كانت عشرين سنة » وفى رواية « كانت خمسا وعشرين ».

وقد جاء « إنها جزء من خمسة وأربعين » و « جزء من سبعين » وغير ذلك ، وكل هذا مخالف لما ذكره .

وقد قيل : ثمرة المنامات : الإخبار بالغيب ، والإخبار بالغيب أحد ثمرات النبوة ، وهو فى جنب فوائد النبوة يسير .

وقيل : هذا راجع إلى اختلاف حال الرائى . فالمؤمن الصالح يكون نسبة رؤياه جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة . والفاسق من سبعين . وقيل فيه غير ذلك . والله عز وجل أعلم .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائي .

٤٨٥٤ ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « إذا اقْترَبَ الزَّمانُ لَمْ تَـكَدْ رُؤْيَا المُؤمن أن تَـكْذِبَ ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَاً : أصدقُهُم حديثاً ، والرُّؤيا ثلاث : فالرُّؤيا الصالحة : بُشْرَى من الله ، والرؤيا : تَحزِينٌ من الشيطان ، ورُؤيا مما يُحدِّثُ به المرءُ نفسَه ، فإذا رأى أحدُكم ما يكره فليقُمْ فليُصَلِّ ، ولا يُحَدِّثْ بها الناس . قال : وأُحِبُّ القَيْدَ ، وأكره الغُلَّ . القيد : ثَبَاتٌ فى الدين » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة .

هكذا جاء فى هذه الرواية وغيرها. ظاهره: أن الجميع قولُ رسول صلى الله عليه وسلم . وليس الأمر كذلك ، لأن ذكر القَيْد والغُل : قول أبى هريرة ، أُدرج فى الحديث . جاء ذلك مبيناً فى الروايات الثابتة .

ورواه عوف بن أبى جميلة عن محمد بن سيرين ، فذكر أن من أول المتن

وقال بعض العلماء معناه : أن الرؤيا تجيىء على موافقة النبوة ، لا أنها جزء باق من النبوة .

وقال آخرون : معناه أنها جزء من أجزاء علم النبوة ، باق . والنبوة غير باقية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم « ذهبت النبوة و بقيت المبشرات : الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو تُرى له » .

٤٨٥٤ ــ قال الشيخ : في اقتراب الزمان قولان .

أحدهما : أنه قرب زمان الساعة ودنو وقتها .

والقول الآخر : أن معنى اقتراب الزمان : اعتداله ، واستواء الليل والنهار .

والمعبرون يزعمون : أن أصدق الرؤيا ما كان فى أيام الربيع . ووقت اعتدال الليل والنهار .

إلى قوله « جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما ما بعده : فانه فمن كلام محمد بن سيرين .

وقال البخارى فى الصحيح : وحديث عوف أَبْيَنُ .

قال أبو داود : « اقترب الزمان » إذا اقترب الليل والنهار ، يستويان . هذا آخر كلامه .

وقد قيل : هو اقتراب الساعة ، ويؤيده الحديث الآخر « إذا كان آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب » .

ويحتمل أن يراد : اقتراب الموت عند علوِّ السِّنِّ . فان الإنسان فى ذلك الوقت غالباً : يميل إلى الخير والعمل به ، وَيقِلُّ تحديثُه نفسَه بغير ذلك .

٤٨٥٥ ـ وعن وَكيع بن عُدُس ، عن عَمِّهِ أبى رَزِين ـ وهو العُقيلى رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرُّؤيا على رِجْلِ طائرٍ ، ما لم تُعبَر ، فإذا عُبِرَت وقعت ـ وأحسبه قال : ولا يَقُصُّهَا إلا على وادٍّ ،

٤٨٥٥ ـ قال الشيخ . معنى هذا الكلام : حسن الارتياد لموضع الرؤيا ، واستعبارها العالم بها ، الموثوق برأيه وأمانته .

وقوله « على رجل طائر » مَثَلٌ . ومعناه : أنها لا تستقر قرارَها ما لم تُعبَر .

وقال أبو إسحق الزجاج فى قوله « لا يقصها إلا على وادّ ، أو ذي رأى » الوادُّ لا يحب أن يستقبلك فى تفسيرها إلا بما تحب ، وإن لم يكن عالماً بالعبارة . ولم يعجل لك بما يَغُمُّك ، لا أن تعبيره يزيلها عما جعلها الله عليه .

وأما ذو الرأى فمعناه : ذو العلم بعبارتها . فهو يخبرك بحقيقة تفسيرها ، أو بأقرب ما يعلم منها . ولعله أن يكون فى تفسيره موعظة تردعك عن قبيح ما أنت عليه ، أو تكون فيها بشرى ، فتشكر الله على النعمة فيها .

أو ذِي رَأْيٍ[1] » .

وأخرجه الترمذى وابن ماجة ، وقال الترمذى : حسن صحيح . هذا آخر كلامه .

وأبو رزين : هو لقيط بن عامر بن أبى صبرة ، ويقال : لقيط بن صبرة . وقيل : إن لقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة . وفصل بينهما الحافظ أبو القاسم الدمشقي فى الأشراف . فى ترجمتين . وصحح بعضهم الأول .

قال البخارى : لقيط بن عامر ، ويقال : لقيط بن صبرة بن المنتفق أبو رَزِين العُقيلى ، له صحبة .

وكذلك قال عبد الرحمن بن أبى حاتم وأبو أحمد الكرابيسى وأبو عمر النَّمَرى ، وقال : وقيل : إن لقيط بن عامر : غير لقيط بن صبرة . وليس بشيء .

٤٨٥٦ ـ وعن أبى قتادة ـ وهو الحرث بن رِبْعِي الأنصارى رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرُّؤيا من الله ، والحُلْمُ من الشيطان . فإذا رأى أحدُكم شيئاً يكرهه فَلْيَنْفُثْ عن يَساره ثلاثَ مراتٍ ،

---

(١) بهامش المنذرى : أى إنها على رجل قَدَر جارٍ ، وقضاء ماض من خير أو شر . وأن ذلك هو الذى قسمه الله تبارك وتعالى لصاحبها ، من قولهم : اقتسموا داراً فطار سهم فلان : أى وقع سهمه وخرج .

والمراد : أن الرؤيا هى التى يعبرها الأول ، فكأنها كانت على رجل طائر ، فسقطت فوقعت حين عُبرت ، كما يسقط الشيء الذى يكون على رجل الطائر بأدنى حركة .

والواد : لا يستقبلك في تفسيرها إلا بما تحب ، وإن لم يكن عالما بالعبارة ، ولم يعجل بما يغمك ، إلا أن تعبيرها يزيلها عما جعلها الله عليه .

وذو الرأي ـ أى ذو العلم بعبارتها ـ فهو يخبرك بحقيقة تفسيرها أو بأقرب ما يعلم منها ، فلعل أن يكون فى تفسيره موعظة ترد عن قبيح ، أو بُشرى ، فتشكر الله تبارك وتعالى على النعمة فيها .

ثم لِيَتَعَوَّذْ مِنْ شَرِّها ، فإنها لا تَضُرُّه (١) » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة .

٤٨٥٧ ـ وعن جابر ـ وهو ابن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرؤيا يكرهُها فلْيَبْصُقْ عن يَساره ، ولْيَتَعَوَّذْ بالله من الشيطان ثلاثاً ، وَيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الذى كان عليه » .

وأخرجه مسلم والنسائى وابن ماجة .

---

(١) بهامش المنذرى : الرؤيا والحلم : معناهما واحد ، وهو عبارة عما يراه النائم فى نومه من الأشياء ، لكن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم خص الخير : باسم الرؤيا ، والشر باسم الحلم ، ومنه قوله تعالى (١٢ : ٤٤ أضغاث أحلام) ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر . وتضم لام الحلم وتسكن . وإضافتها إلى الله إضافة اختصاص وإكرام لسلامتها من التخليط ، وطهارتها عن حضور الشيطان وإفساده لها ، وإضافة الأخرى إلى الشيطان لكونها مكروهة .

وقيل : لأنها توافق الشيطان ويستحسنها ، لما فيها من شَغْل بال المسلم ، لاأن الشيطان يفعل شيئاً ، ولا خالق إلا الله تبارك وتعالى .

نفث ينفِث وينفُث ـ بكسر الفاء وبضمها ـ والنَّفْث : شبيه بالنفخ ، وهو أقل من التفل . لأن التفل لا يكون إلا ومعه شىء من الريق . وقيل: هما سواء يكون معهما ريق . وقيل : بعكس الأول .

وقال الطبرى : وجه أمره صلى الله عليه وسلم بالنفث عن الشمال ثلاثاً ـ والله أعلم ـ خَسْئاً ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الهمزة ـ للشيطان كما يتفل الإنسان عند الشىء القذر يراه أو ينظره ، ولا شىء أقذر من الشيطان ، فأمر عليه الصلاة والسلام من رأى ما يكره بالتفل عند ذكره .

وأما خصوصية الشمال بذلك ، دون اليمين : فلأن تأتِّى الشرور كلها عند العرب من قبل الشمال ، ولذلك سمتها الشُّؤمى ، وكذلك كانوا يتشاءمون بما جاء من قبلها من طائر ، وقال : إنه ليس فيه كثير اعتمال من بطش وأخذ وإعطاء ، وأكل وشرب .

٤٨٥٨ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ رَآنِي فى المَنَامِ فَسَيَرَانى فِي الْيَقَظَة ، أو لكأنما رآنى فى اليَقَظَة ، ولا يَتَمَثَّلُ الشيطان بى[1] » .

وأخرجه البخارى[2] ومسلم.

٤٨٥٩ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « مَنْ

٤٨٥٩ ـ قال الشيخ : قوله « تحلَّم » معناه : تكذَّبَ بما لم يره فى منامه .

٤٨٥٨ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

ولم يشك البخارى فيه ، بل قال « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بى » .

وفى الصحيحين من حديث أبى قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رآنى فى المنام فقد رأى الحق »

وأخرجه البخارى من حديث أبى سعيد ، وزاد « فان الشيطان لايتكوننى »

وفى لفظ له فى حديث أبى قتادة « فان الشيطان لايتراءى بى » .

وفى صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم « من رآنى فى النوم فقد رآنى . فانه لاينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى » .

وفى لفظ آخر « فانه لا ينبغى للشيطان أن يتشبه بى » .

---

(١) بهامش المنذرى : « فسيرانى فى اليقظة » يحتمل أهل عصره ممن لم يهاجر إليه صلى الله عليه وسلم . أو يراه فى الآخرة . إذ يراه فى الآخرة جميع المهتدين بهدى سنته من أمته ، من رآه ومن لم يره .

(٢) قال البخارى بعد روايته : قال ابن سيرين « إذا رآه فى صورته » قال الحافظ فى الفتح (ج ١٢ ص ٣١٠) رويناه موصولا من طريق إسماعيل بن إسحاق القاضى عن سليمان بن حرب — وهو من شيوخ البخارى — عن حماد بن زيد عن أيوب قال « كان محمد بن سيرين إذا قص عليه رجل : أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم قال : صف لى الذى رأيته،فان وصفه له صفة لايعرفها ، قال : لم تره » وسنده صحيح ، ووجدت له مايؤيده ، فأخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثنى أبى قال : قلت لابن عباس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام » قال : صفه لى ، قال : ذكرت الحسن بن على فشبهته به ، قال : قد رأيته » وسنده جيد .

صَوَّرَ صُورَةً عَذَّبَهُ اللهُ بها يَوْمَ الْقِيامَةِ ، حَتّى يَنْفُخَ فيها ، وَلَيْسَ بِنافِخٍ ، وَمَنْ تَحَلَّمَ : كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ شَعِيرَةً[1] ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ يَفِرُّونَ بِهِ مِنْهُ : صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القيامة » .

وأخرجه البخارى والترمذى والنسائى .

٤٨٦٠ - وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيتُ الليلةَ كأنّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بن رافع ، وأُتِينا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ ، فأوَّلْتُ : أنَّ الرِّفعة لنا في الدُّنيا ، والعاقبةَ في الآخرة ، وأنَّ دِينَنا قد طابَ » .

وأخرجه مسلم والنسائى .

باب ماجاء فى التثاؤب [٤ : ٤٦٥]

٤٨٦١ - عن ابن أبى سعيد الخدري ، عن أبيه رضىالله عنه قال : قال رسول الله

يقال : حلم الرجل يحلم : إذا رأى حُلماً .

وحلم - بالضم - : إذا صار حليماً . وحلم الأديم - بكسر اللام - حلماً .

ومعنى « عقد الشعيرة » أنه يكلف ما لا يكون ، ليطول عذابه فى النار .

وذلك أن عقد ما بين طرفى الشعيرة غير ممكن .

« والآنك » الأسرب[2] .

---

(١) بهامش المنذرى : حلِمَ : إذا رأى. وتحلم : إذا ادعى رؤيا كاذبة ، وإنما زادت عقوبته على الكاذب فى اليقظة : لأن الرؤيا قد صح «أنها جزء من النبوة» والنبوة لا تكون إلا وحيا ، فالكاذب فى رؤياه : يدعى أن الله تعالى أراه مالم يره ، وأعطاه جزءاً من النبوة لم يعطه إياه . والكاذب على الله أعظم فرية ممن يكذب على الناس أو على نفسه .

(٢) قال فى النهاية : الآنك : هو الرصاص الأبيض . وقيل : الأسود . وقيل :هو الخالص منه . ولم يجيء على أفعل واحداً غير هذا . فأما « أشد » فمختلف فيه . هل هو واحد أو جمع ؟ وقيل : يحتمل أن يكون الآنك فاعلا ، لا أفعلا ، وهو أيضاً شاذ .

صلى الله عليه وسلم « إِذَا تثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ عَلَى فِيهِ ، فإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ » .

٤٨٦٢ ـ وفى رواية قال « فى الصلاة ، فليَكْظِمْ ما استطاعَ »

وأخرجه مسلم .

٤٨٦٣ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الله يُحِبُّ الْعُطاسَ ، وَيَكْرَهُ التثَاؤُبَ ، فإِذا تثَاءَبَ أَحَدُكم فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلاَ يَقُلْ : هاه، هاه. فَإِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنْ الشَّيْطَانِ ، يَضْحَكُ مِنْهُ [1] »

وأخرجه البخارى والترمذى والنسائى .

٤٨٦٣ ـ قال الشيخ : معنى حب العطاس وحمده ، وكراهة التثاؤب وذمه : أن العطاس إنما يكون مع انفتاح المسام ، وخِفَّة البدن ، وتيسير الحركات .

وسبب هذه الأمور : تخفيف الغذاء ، والإقلال من المطعم ، والاجتزاء باليسير منه .

والتثاؤب : إنما يكون مع ثقل البدن وامتلائه ، وعند استرخائه للنوم ، وميله إلى الكسل .

فصار العطاس محموداً . لأنه يعين على الطاعات . والتثاؤب مذموماً : لأنه يثبطه عن الخيرات ، وقضاء الواجبات .

---

(١) قال ابن بطال : إضافة التثاؤب إلى الشيطان : بمعنى إضافة الرضى والإرادة . أى الشيطان يحب أن يرى الإنسان متثائباً ، لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه . وقال ابن العربى فى عارضة الأحوذى : إن كل فعل مكروه نسبه الشرع إلى الشيطان،لأنه واسطتها. وإن كل فعل حسن نسبه الشرع إلى الملك ، لأنه واسطته ، والتثاؤب إنما يحدث عن الامتلاء ، وينشأ عنه التكاسل ، وذلك بواسطة الشيطان . والعطاس من تقليل الغذاء ، وينشأ عنه النشاط . وذلك بواسطة الملك . والله أعلم .

باب فى العطاس [٤ : ٤٦٦]

٤٨٦٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ ، أَوْ ثَوْبَهُ ، عَلَى فِيهِ . وخَفَضَ ، أو غَضَّ ، بها صَوْتَه » شك يحيى . وهو القطان .

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن صحيح .

وفى إسناده : محمد بن عجلان . وقد تقدم الكلام عليه .

٤٨٦٥ ـ وعنه رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ : رَدُّ السَّلامِ ، وتَشْمِيتُ العاطِسِ،وإجابة الدَّعوة ، وعيادةُ المريض ، واتِّباعُ الجنازة [(١)] »

٤٨٦٤ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

وقد أخرج الترمذى عن نافع « أن رجلا عطس إلى جنب ابن عمر ، فقال : الحمد لله ، والسلام على رسول الله ، قال ابن عمر : وأنا أقول : الحمد لله ، والسلام على رسول الله ، وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول ، علمنا أن نقول : الحمد لله على كل حال » وقال : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث زياد بن الربيع .

وفى الترمذى أيضاً من حديث سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله آدم ، ونفخ فيه الروح عطس ، فقال : الحمد لله ، فحمد الله بإذنه ، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس ، فقل : السلام عليكم ، قالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه ، فقال : إن هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم — وذكر الحديث » وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقد روى من غير وجه عن النبي صلي الله عليه وسلم ، ورواه زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة .

---

(١) بهامش المنذرى : قال بعضهم : اتباع الجنائز ودفنها والصلاة عليها : من فروض الكفاية عند جمهور العلماء ، وعيادة المريض : ندب وفضيلة ، إلا فيمن لاقائم عليه ، فعلى

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

للسلمين فرض على الكفاية : القيام عليه وتمريضه، لئلا يضيع و يموت جوعا وعطشاً ، وكذلك الصلاة والدفن .

وأما إجابة الدعوة : فان كان فى وليمة النكاح : فجمهور العلماء يوجبونها فرضاً . و يوجبون الأكل على من لم يكن صائما ، إذا كان الطعام طيباً ، ولم يكن فى الدعوة منكر . وغيرها من الدعوات يراه العلماء حسنا من باب الألفة وحسن الصحبة.

ورد السلام : فرض على الكفاية ، وعند الكوفيين: فرض على كل واحد من الجماعة هذا آخر كلامه .

وقد اختلف العلماء فى تشميت العاطس ، كما سيأتي .

وقال بعضهم : وأما النصيحة : فرغب فيها غير واجبة ، لكنه إذا استُنصِح كان مندو با إلى أن ينصح ، لأنه عليه الصلاة والسلام حض على النصيحة لكل مسلم ، فاذا اسْتُنْصِح وجب عليه النصيحة ، ولا يداهن فى ذلك .

ولفظة « حق » لا تقتضى الوجوب حيث وقعت ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « من حق الإبل : أن تحلب على الماء » أى إن ذلك حق فى المواساة ، لاأن ذلك فرض ، لاتفاق أئمة الفتوى أنه لاحق فى المال سوى الزكاة ، وقال أبو هريرة « حق على المسلم أن يغتسل كل جمعة ، وأن يستاك ، وأن يمس من طيب أهله » وليس شىء من ذلك عندهم فرضاً . اه

قال أبو طاهر : إن كلمة « حق » معروفة فى لغة العرب ولغة الرسول صلى الله عليه وسلم وكتاب الله تعالى : بأنها للزوم ما وصف بها . وذلك مثل قوله تعالى (٣٠ : ٤٧ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وقوله صلى الله عليه وسلم « حق الله على عباده : أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله : أن يدخلهم الجنة إذا هم فعلوا ذلك » .

فأما قوله : إنه ليس فى المال حق إلا الزكاة . فأين حقوق الوالدين ، وذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وفى سبيل الله مما ذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مثل آية (ليس البر) وأمثالها فى القرآن والسنة ، وكذلك الأحاديث صريحة فى وجوب غسل الجمعة ، كما تقدم تحقيق ذلك للامام ابن القيم فى أبوابه ، ودعوى انفاق الأئمة : دعوى لا دليل عليها مع هذه النصوص . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفى لفظ لمسلم « حق المسلم على المسلم ست ـ وزاد ـ وإذا استنصحك فانصح له »

باب ما جاء فى تشميت العاطس [٤ : ٤٦٦]

٤٨٦٦ ـ عن هلال بن يِساف ، قال « كنا مع سالم بن عُبيد ، فعَطَسَ رَجُلٌ من القوم ، فقال : السلام عليكم ، فقال سالم : وعليك وعلى أمِّك ، ثم قال بعدُ : لعلك وجدتَ مما قلتُ لك ؟ قال : لَوَدِدْتُ أنَّك لم تَذْكُرْ أمِّي بخير ولا بشرٍّ ؟ قال : إنما قلتُ لك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنَّا بَيْنا نحنُ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عَطَس رجلٌ من القوم ، فقال : السلام عليكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَعَلَيْكَ وعلى أمك . ثم قال : إذا عطسَ أحدُكم فليحمَدِ الله ـ قال : فذكر بعض المحامد ـ ولْيَقُلْ له مَنْ عنده : يرحمك الله ، ولْيَرُدَّ ـ يعني عليهم ـ يغفرُ الله لنا ولكم »

وأخرجه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : هـذا حديث اختلفوا فى روايته عن منصور ، وقد أدخلوا بين هلال و بين سالم رجلا .

٤٨٦٧ ـ وعن هلال بن يِساف ، عن خالد بن عَرْفَجَة ، عن سالم بن عُبيد الأشْجَعِي ـ بهذا الحديث ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) »

---

(١) بهامش المنذرى : سالم بن عبيد : أشجعى كوفى . له صحبة ، وكان من أهل الصفة و « يساف » بكسر الياء آخر الحروف ، و بعدها سين مهملة مفتوحة ، و بعد الألف فاء . هكذا يقوله المحدثون ، قال أبو عبيد : و يقال : ياساف . وقال غيره : وهو كلام العرب ، و بعضهم يفتح الياء ، لأنه لم يأت فى كلام العرب كلمة أولها ياء مكسورة إلا قولهم « يسار » وهذا الذى قاله حكاه الفربري فى اليد اليسار فى آخر كتابه .

وسئل الشيخ أبو محمد عبد الله بن بري : كم ثمَّ كلمة أولها ياء مكسورة ؟ فقال رحمه الله : =

وأخرجه النسائى ، وأخرجه النسائى أيضا عن منصور عن رجل عن خالد بن عُرفُطَة عن سالم .

وأخرجه أيضا عن منصور عن هلال بن يساف عن رجل آخر . وقال : هذا الصواب عندنا . والأول : خطأ . هذا آخر كلامه .

وقد رواه على بن المدينى عن يحي بن سعيد القطان عن سفيان عن منصور عن هلال عن رجل عن رجل عن سالم ،

ورواه مسدد عن يحي القطان عن سفيان عن منصور عن هلال عن رجل من آل خالد بن عُرفُطة عن آخر منهم قال « كنا مع سالم »

ورواه زائدة عن منصور عن هلال عن رجل من أشجع عن سالم .

ورواه عبد الرحمن بن مَهْدى عن أبى عَوانة عن منصور عن هلال عن رجل من آل عُرْفُطَة عن سالم .

واخْتُلِف على وَرْقاء فيه .

فقال بعضهم : خالد بن عَرْفَجة . وقال بعضهم : خالد بن عُرفطة ، أو عَرْفَجة .

= لفظتان قولهم « يسار » فى اسم اليد . و « يقاظ » جمع يقظان . فقيل له : قولهم في اسم الرجل « هلال بن يساف » ؟ قال : يلحق بهما ، لأن الياء بدل من الهمزة فى إساف . ولا تكون الياء إلا مكسورة ، كما كانت الهمزة .

وقال غيره : فى قوله صلى الله عليه وسلم « تبلغ المساكن ـ يعنى فى المدينة ـ إهاب ، أو يهاب » فتكون هذه الياء التى هى بدل من الهمزة مكسورة كالهمزة . وتصير جملة الألفاظ أربعة ، اهـ .

وفى النهاية « إهاب » موضع بنواحى المدينة ، ويقال فيه « يهاب » .

ويشبه أن يكون خالدٌ ـ هذا ـ مجهولا ، فإن أباحاتم الرازى قال : لاأعرف أحداً يقال له : خالد بن عُرفطة إلا واحدا : الذى له صحبة .

٤٨٦٨ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « إِذَا عَطَسَ أحدُكم فليَقُلْ : الحمد لله على كلِّ حال[1] ، وليَقُلْ أخوه ، أوصاحبه : يرحمكَ الله ، ويقولُ هو : يَهديكم اللهُ ويُصْلِحُ بالَكم » .

وأخرجه البخارى والنسائى .

باب كم يُسمَّت العاطس ؟ [٤ : ٤٦٧]

٤٨٦٩ ـ عن سعيد بن أبى سعيد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال «سَمِّتْ[2] أخاك ثلاثاً ، فما زادَ فهو زُكام »

---

(١) بهامش المنذرى : أُمِر بالحمد : لما حصل له من المنفعة ، يعنى بالعطاس . وهو ما احتقن من الأبخرة بدماغه .

ويحتمل أن يكون الحمد لما حصل له من سلامة أعضائه ، وبقائها على صورتها ، لم يدخلها شَيْن بسبب العطاس .

(٢) بهامش المنذرى « سمت » يروى بالسين المهملة والشين المعجمة . فقيل : هما بمعنى واحد ، وقال أبوعبيد : وكل داع بالخير: فهو مسمت ومشمت ، بالسين والشين ، والسين : أعلى اللغتين ، وقيل بالسين المهملة : دعاء له بحسن السَّمْت ، فان الأعضاء عند ذلك يحصل فيها تغيير . وبالشين المعجمة : دعاء له بأن يصرف الله عنه ما يُشْمِت به أعداءه .

وقيل : دعاء له بالتثبيت على طاعة الله تعالى ، مأخوذ من الشوامت ، وهى القوائم .

وقيل : هو من شماتته بالشيطان ، ودفعه إياه بذكر الله تعالى وحمده .

وقد اختلف العلماء فى تشميت العاطس ، بعد إجماعهم على أن تشميته إذا حمد الله مشروع فنهم من أوجبه على كل من سمع حمده ، وإلى هذا ذهب أهل الظاهر . =

٤٨٧٠ ـ وفى رواية ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لا أعلمه إلا أنه رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، بمعناه .

قال أبو داود : رواه أبو نعيم عن موسى بن قيس عن محمد بن عجلان عن سعيد عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

موسى بن قيس ـ هذا ـ الذى رفعه : هو موسى بن قيس الحَضْرَمى الكوفى . ويقال له : عصفور الجنة . قال يحي بن معين : ثقة . وقال أبو حاتم الرازى : لا بأس به . وقال أبو جعفر العُقيلى : يحدث بأحاديث ردية بواطيل . وذكر أيضا أنه من الغلاة فى الرفْض .

٤٨٧١ ـ وعن حُميدة ، أو عُبيدة بنت عُبيد بن رفاعة الزُّرْقي ، عن أبيها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يُسَمَّتُ الْعَاطِسَ ثَلاَثاً . فإنْ شِئْتَ فَسَمِّتْهُ ، وَإِنْ شِئْتَ فَكُفَّ » .

هذا مرسل . عبيد بن رفاعة : ليست له صحبة ، فأما أبوه وجده : فلهما صحبة

قال عبد الرحمن بن أبى حاتم : سمعت أبى يقول : عبيد بن رفاعة : ليست له صحبة . وذكره البخاري فى تاريخه ، فقال : روى عن أبيه .

وقال أبو القاسم البغوي : يقال : إنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وولد على عهده .

وفى إسناده : يزيد بن عبد الرحمن . وهو أبو خالد ، المعروف بالدَّالانِي . وقد تقدم الاختلاف فى الاحتجاج به .

= وذهبت طائفة إلى أنه فرض على الكفاية ، يجزى فيه دعاء بعض عن بعض ، كرد السلام .

وذهبت فرقة إلى أنه على الندب والاستحباب .

٤٨٧٢ - وعن إياس بن سَلَمة بن الأكْوَع ، عن أبيه رضى الله عنه « أن رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يرحمك الله . ثم عطس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الرجل مزكوم[1] »

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة .

٤٨٧٢ - ذكر حديث أبي داود « أن رجلا عطس فقال له : يرحمك الله ، ثم عطس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الرجل مزكوم » قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

هذا لفظ أبي داود ، ولفظ مسلم « ثم عطس أخرى » ولفظ مسلم « ثم عطس الثانية ، فقال : إنه مزكوم » .

وأما ابن ماجة : فلفظه « يشمت العاطس ثلاثاً ، فما زاد فهو مزكوم » رواه عن على بن محمد حدثنا وكيع عن عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا يوافق رواية أبى هريرة ، وعبيد بن رفاعة فى حد ذلك بالثلاث .

وأما الترمذى فلفظه فيه : عن إياس بن سلمة عن أبيه قال « عطس رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا شاهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ، ثم عطس الثانية ، أو الثالثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا رجل مزكوم » رواه من حديث سويد عن ابن المبارك عن عكرمة بن عمار .

ثم قال : حدثنا محمد بن يسار حدثنا يحي بن يسار حدثنا يحي بن سعيد حدثنا عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، إلا أنه قال له فى الثالثة « إنك مزكوم » .

قال الترمذى : وهذ أصح من حديث ابن المبارك ، وقد روى شعبة عن عكرمة بن عمار هذا الحديث نحو رواية يحي بن سعيد .

---

(١) بهامش المنذرى : قد ذهب بعضهم إلى أنه يشمت ثلاثاً ، لما تقدم ، وحديث مسلم ليس فيه تكرار .

وقيل : ظاهره : أنه من عرف أن عطاسه من زكامه ، فلا يرد عليه ، بأن يكون تكرر العطاس من ذلك الرجل .

قيل : وكانت هذه بعد الثالثة : ولعل الراوى لم يحضر إلا بعد الثالثة ، أو لم يُلقِ باله إلا حينئذ ، فتتفق الأحاديث ، والله عز وجل أعلم .

باب كيف يسمت الذمى ؟ [٤ : ٤٦٨]

٤٨٧٣ ـ عن أبي بُردة ـ وهو عامر ـ عن أبيه ـ وهو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ـ قال : « كانت اليهود تعَاطَسُ عند النبي صلى الله عليه وسلم ، رَجاء أن يقولَ لها : يرحمكم الله . فكان يقول : يهديكم الله ويُصلح بالكم »

وأخرجه الترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن صحيح .

باب فيمن يعطس ولا يحمد الله [٤ : ٤٨٦]

٤٨٧٤ ـ عن أنس رضى الله عنه ، قال « عطس رجلان عندَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فشمَّتَ أحدَهما وترك الآخرَ ، قال : فقيل : يا رسول الله ، رجلان عَطَسَا ، فَشَمَّتَّ أحدهما ـ قال أحمد ، وهو ابن يونس ـ فَشَمتَّ أحدهما وتركت الآخر ؟ فقال : إِنَّ هَذَا حَمِدَ الله ، وَإِنَّ هَذَا لَمْ يحمَد الله » .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

٤٨٧٤ ـ قال الشيخ : يقال شَمَّت وسَمَّت ، بمعنى واحد . وهو أن يدعو للعاطس بالرحمة . وفيه : بيان أن تشميت من لم يحمد الله غير واجب .

وحكى عن الأوزاعى « أنه عطس رجل بحضرته . فلم يحمد الله ، فقال له الأوزاعى : كيف تقول إذا عطست ؟ فقال : أقول : الحمد لله . فقال له : يرحمك الله » .

وإنما أراد بذلك أن يستخرج منه الحمد ليستحق التشميت .

٤٨٧٤ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

وقد تقدم حديث أبى هريرة وفيه « فاذا عطس أحدكم ، وحمد الله ، كان حقاً على مسلم سمعه أن يقول : يرحمك الله » .

وترجم الترمذي على حديث أنس (باب ماجاء فى إيجاب التشميت بحمد العاطس) .

باب فى الرجل ينبطح على بطنه [٤ : ٤٦٨]

٤٨٧٥ – عن يَعيش بن طَخْفَةَ بن قيس الغِفارى رضى الله عنه ، قال : « كان

٤٨٧٥ ـ قال الشيخ : « الحيس » أخلاط من تمر وسَمْن وسويق وأقط ، يجمع فيؤكل .

وهذا يدل على أنه واجب عنده ، وهو الصواب ، للأحاديث الصريحة الظاهرة فى الوجوب من غير معارض ، والله أعلم .

فمنها : حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

ومنها : حديثه الآخر « خمس تجب للمسلم على أخيه » وقد تقدم .

ومنها : حديث سالم بن عبيد [1] ، وفيه « وليقل له من عنده : يرحمك الله » .

ومنها : مارواه الترمذى عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للمسلم على المسلم ست بالمعروف : يسلم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه ، ويشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ويتبع جنازته إذا مات ، ويحب له مايحب لنفسه» وقال : هذا حديث حسن ، قد روي من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تكلم بعضهم فى الحارث الأعور ، وفى الباب عن أبى هريرة ، وأبى أيوب والبراء ، وأبى مسعود .

ومنها : مارواه الترمذى عن أبى أيوب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل : على كل حال ، وليقل الذي يرد عليه : يرحمك الله ، وليقل هو : يهديكم الله ويصلح بالكم » .

فهذه أربع طرق من الدلالة .

أحدها : التصريح بثبوت وجوب التشميت بلفظه الصريح ، الذى لا يحتمل تأويلاً .

الثانى : إيجابه بلفظ الحق .

الثالث : إيجابه بلفظة « على » الظاهرة فى الوجوب .

الرابع : الأمر به ، ولا ريب فى إثبات واجبات كثيرة بدون هذه الطرق ، والله تعالى أعلم

---

(١) سالم بن عبيد الأشجعى ، له صحبة ، وكان من أهل الصفة ، يعد فى الكوفيين ، قال الحافظ فى الإصابة : روى له أصحاب السنن حديثين بإسناد صحيح فى العطاس ، وقال فى التهذيب : وفى إسناد حديثه اختلاف . وقال ابن الأثير فى أسد الغابة ـ بعد أن أخرج الحديث من طريق أبى داود ـ وقد روى عن هلال عن رجل عن سالم بن عبيد . وقد تقدم للمنذرى كلام عليه (٤٨٦٨)

أبى من أصحابِ الصُّفَّةِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى بَيْتِ عائِشَةَ . رضى الله عنهـا ، فانطلقنا ، فقال : ياعَائِشَةُ أطعمينا . فجاءت بجَشيشةٍ[١] فأكلنا ، ثم قال : ياعائشة ، أطعمينا . فجاءت بحَيْسَةٍ[٢] مثل القَطاة ، فأكلنا ، ثم قال : ياعائشة ، اسقينا . فجاءتْ بعُسٍّ[٣] من لبنٍ ، فشربنا ، ثم قال:

و « الجشيشة » ما يجش من الحب فيطبخ ، والجشُّ : طحن خفيف . وهو ما كان فوق الدقيق .

وفيها لغة أخرى وهى « الدشيشة » .

فأما الجذيذة : فهى السويق .

---

(١) الجشيشة ـ بالجيم ، وربما وردت بالحاء المهملة ـ طعام يتخذ من البر المطحون بعض الطحن ، ثم يوضع عليه لحم أو تمر . كذا ذكرها فى عون المعبود بالحاء المهملة وبالجيم ، وذكر أن صاحب مجمع البحار ذكرها فى باب الجيم وباب الحاء . اهـ ولكن ابن الأثير لم يذكرها فى النهاية إلا فى باب الجيم .

وفى هامش المنذر : « الجشيشة » بفتح الجيم ، وبعدها شين معجمة مكسورة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وبعدها شين معجمة مفتوحة وتاء تأنيث : هى أن يطحن البر أو غيره طحنا جليلا ، ثم يجعل فى القِدر ، ويلقى عليه لحم أو تمر ، ويقال لها أيضاً : دشيشة بالدال المهملة .

(٢) بهامش المنذرى « الحيس » الخلط . ومنه سمن الحيس ، وهو الطعام المتخذ من التمر والأقِط والسمن . وقد يجعل عوض الأقط : الدقيق والفتيت ويخلط . قال الراجز :

التمر والسمن معاً ، ثم الأقط الحيس ، إلا أنه لم يختلط

وأنث « الحيسة » على معنى القطعة .

(٣) العس : القدح الكبير الضخم . والجمع : عِساس ، وأعساس ، حزر ثمانية أرطال أو تسعة . والرِّفْد أكبر منه ، وهو بضم العين المهملة وسين مشددة مهملة .

ياعائشة ، اسقينا . فجاءتْ بقَدَحٍ صغير، فشربنا ، ثم قال : إنْ شِئْتُم نِمْتُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ انطَلَقْتُمْ إلى المَسْجِدِ . قال : فبينما أنا مضطجع فى المسجد من السَّحَر على بَطْنِي ، إذا رجلٌ يحرِّكُني برجله ، فقال : إنَّ هٰذِهِ ضِجْعَةٌ[1] يُبْغِضُهَا الله . قال : فنظرتُ ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرجه النسائي وابن ماجة . وليس فى حديث أبى داود « عن أبيه » ووقع عند النسائى « عن قيس بن طَخْفَةَ . قال : حدثنى أبى » . وعند ابن ماجة « عن قيس بن طِهْفَةَ عن أبيه مختصراً » وفيه اختلاف كثير جداً .

وقال أبو عمر النمرى : اختلف فيه اختلافا كثيراً ، واضطرب فيه اضطراباً شديداً . فقيل : طِهفة بن قيس ، بالهاء ، وقيل : طخْفَة بالخاء ، وقيل : طغفة بالغين ، وقيل : طقفة بالقاف والفاء ، وقيل : قيس بن طخفة ، وقيل : يعيش بن طخفة . وقيل : عبد الله بن طخفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل طهفة بن أبى ذرٍّ عن النبي صلى الله عليه وسلم . وحديثهم كلهم واحد ـ قال « كنت نائمًا بالصُّفة . فركَضَنى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله ، وقال : هذه نومة يبغضها الله عز وجل » وكان من أهل الصفة .

ومن أهل العلم من يقول : إن الصحبة لأبيه عبد الله ، وإنه صاحب القصة . هذا آخر كلامه .

وذكر البخارى فيه اختلافا كثيراً . وقال « طغفة » خطأ ، وذكر أنه روى

---

(١) الضجعة : بكسر الضاد المعجمة وسكون الجيم ، مثل : الجلسة والركبة . يقال : فلان حسن الضجعة ، فهى بالكسر من الاضطجاع . وهو وضع الجنب بالأرض كالجلسة من الجلوس ، وبالفتح المرة من الاضطجاع . من هامش المنذرى .

عن يعيش بن طخفة عن قيس الغفارى . قال « كان أبى » وقال : لا يصح قيس فيه . وذكر أنه روى عن أبى هريرة ، وقال : ولا يصح أبو هريرة .

باب النوم على سطح غير محجر [٤ : ٤٦٩]

٤٨٧٦ ـ عن عبد الرحمن بن على ـ يعنى ابنَ شيبان ـ عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَارٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ » .

هكذا وقع فى روايتنا « حجار » براء مهملة بعد الألف .

وتبويب صاحب الكتاب يدل عليه ؛ فانه قال : غير محجر . و « الحجار » جمع « حجر » بكسر الحاء . وأصل الباب : المنع . ومنه حجر الحاكم . أى ليس عليه سترة تمنعه من السقوط .

ويقال : احتجرتُ الأرض : إذا ضربْتَ عليها مناراً تمنعها به عن غيرك .

ويكون من الحجرة ، وهى حظيرة الإبل ، وحجرة الدار . وهو راجع أيضاً إلى المنع .

٤٨٧٦ ـ قال الشيخ : قوله « حجَى » هذا الحرف يروى بفتح الحاء وكسرها ، ومعناه معنى الستر والحجاب .

فمن قال « الحجى » بكسر الحاء : شبهه بالحجى الذى هو بمعنى العقل .

وذلك أن العقل يمنع الإنسان من الردَى والفساد ، ويحفظه من التعرض للهلاك .

فشبه الستر الذى يكون على السطح المانع للإنسان من التردى والسقوط بالعقل المانع له من أفعال السوء ، المؤدية له إلى الردَى والهلاك .

ومن رواه بفتح الحاء : ذهب إلى الطرف والناحية . وأحجاء الشىء نواحيه ، واحدها : حَجى مقصور .

ورواه الخطابى « حِجًى » ، وذكر أنه يروى بكسر الحاء وفتحها .

وقال غيره : فمن كسر شبَّهه بالحِجَى الذى هو العقل ، لأن الستر يمنع من الوقوع ، كما أن العقل يمنع من الفساد .

ومن فتحه قال « الحَجَى » : مقصوراً : الطرف والناحية . وجمعه : أحجاء .

وقد روى أيضاً « حجاب » بالباء .

باب فى النوم على طهارة [٤ : ٤٧٠]

٤٨٧٧ ـ عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن أبى ظَبْيَة ، عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرٍ طَاهِراً فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ ، فَيَسْأَلَ اللهَ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إلّا أَعْطَاهُ إيَّاه » .

قال ثابت البُنانى : قدم علينا أبو ظبية ، فحدثنا بهذا الحديث عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ثابت : قال فلان : لَقَدْ جَهِدْتُ أَنْ أَقُولَها حين أنبعثُ[1] فما قدَرْتُ عليها .

٤٨٧٧ ـ قال الشيخ : قوله « يتعار » معناه : يستيقظ من النوم .

وأصل التعار : السهر والتقلب على الفراش .

ويقال : إن التعار لا يكون إلا مع كلام وصوت . وهو مأخوذ من عِرار الظليم[2] .

---

(١) بهامش المنذرى : قوله حين أنبعث : أى حين أستيقظ من نومى .

(٢) بهامش المنذرى « تعار » قيل : استيقظ . وقيل : تكلم . وتَمَطَّى وَأَنَّ . وقيل : لا يكون إلا ومعه كلام ، أو دعاء ، أو صوت . وهو مأخوذ من « عِرار الظليم » بكسر العين ، وهو صوته . والظليم ـ بالظاء المعجمة المفتوحة ، وكسر اللام ـ الذكر من النعام .

وقيل : أصل التعار : السهر والتقلب على الفراش . وتعارَّ ـ بفتح التاء ثالث الحروف ، وبعدها عين مهملة مفتوحة وبعد الألف راء مهملة مشددة .

وأخرجه النسائى وابن ماجة . وبيَّن فيه أَن ثابتًا البنانى رواه عن شهر عن أبى ظبية عن معاذ . قال ثابت « فقـدم علينا أبو ظبية . فحدثنا بهذا الحديث عن معاذ » .

وأبو ظبية هذا : كلاعى شامى ثقة ، وهو بفتح الظاء المعجمة ، وسكون الباء الموحدة ، وبعدها ياء آخر الحروف مفتوحة وتاء تأنيث .

[باب كيف يتوجه[1]] [٤ : ٤٧٠]

٤٨٧٨ ـ وعن أبى قِلابة ، عن بعض آل أم سَلَمة ، قال « كان فِرَاشُ النبى صلى الله عليه وسلم على نَحْوٍ مِمَّا يُوضَعُ الإنسان فى قَبرِهِ ، وكان المسجِدُ[2] عند رأسِهِ » .

لا يُعْرَف هذا الذى حدث عنه أبو قلابة ، هل له صحبة أم لا ؟

٤٨٧٩ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قام من الليل ، فقَضَى حَاجَتَهُ ، فغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ـ يعنى بال ثم نام »

وأخرجه البخاري ومسلم والترمذى وابن ماجة مطولا ومختصراً .

باب ما يقال عند النوم [٤ : ٤٧١]

٤٨٨٠ ـ عن سَواء ـ وهو أخو مُغيث الخزاعى ـ عن حَفْصَـة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم « أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم : كان إِذَا أَرَادَ

---

(١) زيادة من عون المعبود .

(٢) بهامش المنذرى : المسجد هنا : موضع صلاته وسجوده . والمسجَد ـ بفتح الجيم وكسرها ـ واحد المساجد ، والمسجد ـ بالفتح ـ جبهة الرجل ، حيث يصيبه أَرَبُ السجود. والآراب السبعة مساجد .

أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ ، ثم يقول : اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ـ ثلاث مرات » .

وأخرجه النسائى .

وأخرجه النسائى أيضا من حديث المسيب بن رافع عن حفصة مختصراً فى وضع الكف خاصة .

وأخرجه النسائى أيضا من حديث أبى إسحاق السَّبيعى عن أبى عبيدة ـ وهو ابن عبد الله بن مسعود ـ ورجل آخر عن البراء بن عازب . ولفظه : « يوم تجمع عبادك » . وقال : وقال الآخر : « يوم تبعث عبادك » .

وآخر أيضا : من حديث أبى عبيدة عن أبيه ، ولفظه « يوم تجمع عبادك »

وهذا منقطع . أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : لم يسمع من أبيه .

٤٨٨١ ـ وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، وَقُلْ : اللَّهُمَّ ، أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ ولا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ . قال : فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَاتَقُولُ[1] . قال البراء : فقلت ـ أَسْتَذْكِرُهُنَّ ـ

٤٨٨١ ـ قال الشيخ : « الفطرة » ههنا فطرة الدين والإسلام .

وقد تكون الفطرة أيضاً بمعنى السنة . وهى ما جاء فى الحديث « إن عشراً من الفطرة ـ فذكر منها المضمضة والاستنشاق » مع سائر الخصال .

---

(١) بهامش المنذرى « واجعلهن آخر ما تقول » معناه : لا تتكلم بعدهن بشىء من أحاديث الدنيا ، وليكن هذا الذكر خاتمة عملك .

وَ بِرَسُولِكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ ، قال : لا ، وبِنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ[1] » .

٤٨٨٢ ـ وفى رواية قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ ، وأَنْتَ طَاهِرٌ ، فَتَوَسَّدْ يَمِينَكَ » ثم ذكر نحوه .

٤٨٨٣ ـ وفى رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بهذا ، قال سفيان ـ وهو الثورى ـ : قال أحدهما ـ يعنى الأعمش ومنصوراً ـ «إذا أَتَيْتَ فِرَاشَكَ طَاهِرًا» وقال الآخر « تَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ » .

وساق معنى معتمر ـ يعنى الحديث الأول .

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

٤٨٨٤ ـ وعن حذيفة ـ وهو ابن اليمان رضى الله عنه ـ قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا نام ، قال : اللَّهُمَّ باسمك أَحْيَا وَأَمُوت . وإذا استيقظ ، قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا ، وإليه النشورُ[2] » .

---

(١) بهامش المنذرى : يحتمل أن يكون مراده : الجمع بين النبوة والرسالة ، فانه نُبِّئ ، ثم أرسل ، ولو قال « و برسولك الذى أرسلت » كانت صفة واحدة مكررة ، و يحتمل أن يكون ذكر «النبى» احترازا من أن يضاف ذلك إلى جبريل . لأنه إذا قال « و برسولك » احتمل أن يكون الرسول جبريل . و يحتمل أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم . أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول البراء ما علمه إياه من غير تغيير ، و إن كان المعنى لا يختلف فى المقصود ، أو لعله صلى الله عليه وسلم أوحى إليه هذا اللفظ ، فاتبع ما أوحى إليه به ، لا بغير ما أوحى إليه . لا سيما والموعود على هذه الدعوات أمر لا يوجبه العقل دائما ؛ و إنما يعرف بالسمع ، فينبغى أن يتبع السمع فيه على ما وقع .

وفيه : العرض على العالم ماعلمه ولقنه ، واستذكار ما سمعه ورواه .

(٢) بهامش المنذرى : قوله صلى الله عليه وسلم « باسمك أحيا » قيل يحتمل : أن يريد بذكر اسمك أحيا ماحييت وعليه أموت ، و يحتمل أن يريد : بك أحيا ، أي أنت تحيينى وأنت تميتنى . والإسم هنا المسمى .

=

وأخرجه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة .

٤٨٨٥ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا أَوَي أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشَهُ ، فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ . فإِنَّهُ لَا يَدْرِى مَا خَلَفَهُ عليه ، ثم لِيَضْطَجِع عَلَى شِقِّهِ الأيمن ، ثم ليقل : بِاسْمِكَ رَبِّي وضعتُ جَنْبِي ، وبك أرْفَعُه ، إن أَمْسَكْتَ نَفْسى فارْحَمْها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين[1] » .

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائي .

= وقوله صلى الله عليه وسلم « أحيانا بعد ما أماتنا » قيل : يريد بالموت هنا : النوم . وأصل الموت : السكون فى كلام العرب . فنبه عليه الصلاة والسلام بإعادة اليقظة بعد النوم على إثبات البعث بعد الموت . و « النشور » مصدر : أنشر الله الميت : إذا أحياه . وحكمة الدعاء ، إذا أراد أن ينام : ليكون ذكر الله آخر كلامه ، وفائدته إذا أصبح : أن يكون أول عمله تجديد الإيمان بالله وذكره ، واعترافه بأن الأمور كلها لله وبيده ، ويفتتح يومه بالكلم الطيب . اهـ

قال أبو طاهر : « الاسم » هنا معناه الصفة من صفات الله الحسنى ، فمعنى « باسمك أحيا » أي باسم الحى المحيي القادر القاهر رازق الأحياء ، والقيوم الشهيد الرقيب عليهم ، ونحو ذلك مما يناسب حال الداعى والذاكر . والله أعلم .

(١) بهامش المنذرى : داخلة الإزار : طرفه وحاشيته من داخل .

وإنما أمره بداخلته دون خارجته ، لأن المؤتزر يأخذ إزاره بيمينه وشماله ، فيلزق ما بشماله على جسده ، وهى داخلة إزاره ، ثم يضع ما بيمينه فوق داخلته ، فمتى عاجله أمر ، وخشى سقوط إزاره ، أمسكه بشماله ودفع عن نفسه بيمينه ، فاذا صار إلى فراشه فحل إزاره ، فانما يحل بيمينه خارجة الإزار ، وتبقى الداخلة معلقة ، وبها يقع النفض ، لأنها غير مشغولة اليد .

و « خلفه » بتخفيف اللام : أى صار عليه بعد قيامه عنه من الهوام ، وما لعله يؤذيه وكل ما صار فى شىء بعد أمر : فقد خلفه .

٤٨٨٦ ـ وعنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه « كان يقول ، إذا أوى إلى فراشِه : اللهُمَّ رَبَّ السمواتِ ، وربَّ الأرضِ ، وربَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فالقَ الحبِّ والنَّوَى ، مُنْزِلَ التوراة والإنجيل والقرآن : أعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ ، أنتَ آخِذٌ بناصيته ، أنتَ الأولُ، فليس قبلك شيء ، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء ، وأنتَ الظاهرُ ، فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن ، فليس دونك شيء ـ زاد وهب ، وهو ابن بقية فى حديثه ـ: اقْضِ عَنِّى الدَّيْنَ ، واغْنِنِي مِنَ الفقر » .

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة .

٤٨٨٧ ـ وعن الحرث ـ وهو الأعور ـ وأبي مَيْسَرَة ـ وهو عمرو بن شرحبيل الهَمْدانى الكوفى ـ عن عليّ رحمه الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه « كان يقولُ عِنْدَ مَضْجَعِهِ : اللهم إنى أعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكريم ، وكلماتك التَّامَّة ، من شَرِّ ما أنتَ آخِذٌ بناصيته ، اللهم أنتَ تَكْشِفُ المَغْرَمَ والمأثم ، اللّهم لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ ، ولَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ ، ولا ينفع ذا الجَدِّ مِنك الجَدُّ ، سبحانك وبحمدك » .

وأخرجه النسائى .

والحرث الأعور : لا يحتج بحديثه ، غير أن أبا ميسرة هذا هو عمرو بن شُرَحبيل الهمدانى الكوفى : ثقة . احتج به البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

٤٨٨٨ ـ وعن أنس رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا أَوَى إلى فراشه قال : الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَطْعَمَنا وَسَقَانَا ، وكَفَانَا وَآوَانَا ، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ ، وَلَا مُؤْوِىَ » .

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى .

٤٨٨٩ - وعن أبي الأزْهَر الأنماري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا أخذ مَضْجَعَهُ من الليل قال : بِسْمِ الله وضعتُ جَنْبِي ، اللهم اغفر لي ذنبي ، وأَخْسِئْ شَيْطَانِي ، وَفُكَّ رِهَانِي ، وَاجْعَلْنِي في النَّدِيِّ الأَعْلَى »

قال أبو داود : رواه أبو همام الأهوازي عن ثور - يعني ابن يزيد - قال : أبو زهير الأنماري . هذا آخر كلامه .

وقال أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة : أبو الأزهر الأنماري - ولم ينسب - روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا ، ولا أدري ، له صحبة أم لا ؟ وذكر له هذا الحديث .

وأبو همام الأهوازي : هو محمد بن الزِّبْرِقان: ثقة ، احتج به البخاري ومسلم.

٤٨٩٠ - وعن فروة بن نوفل ، عن أبيه رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لنوفَل : « اقرأ (قل يا أيها الكافرون) ثم نَمْ على خاتمتها ، فإنها براءة من الشرك[1] »

وأخرجه النسائي مرسلا . وذكر الترمذي والنسائي طرفا من الاختلاف فيه . وقال الترمذي : وقد اضطرب أصحاب أبي إسحاق في هذا الحديث .

٤٨٨٩ - قال الشيخ - « النَدِي » القوم المجتمعون في مجلس . ومثله النادي . ويجمع على الأندية . قال الراجز :

إني إذا ما القومُ كانوا أندية

يريد صلى الله عليه وسلم بالنَّدِيِّ الأعلى : الملأ الأعلى من الملائكة .

---

(١) إنها براءة من الشرك في العبادة بنوعيه ، لأنها براءة من كل معبود غير الله ، ومن كل عبادة لم يشرعها الله ، ولذا سميت سورة الإخلاص ، أي إخلاص توحيد العبادة بنوعيه .

وذكر أبو عمر النمرى نَوْفَلاً هذا فى كتاب الصحابة ، وقال : حديثه فى (قل يا أيها الكافرون) مضطرب الإسناد ، لا يثبت .

٤٨٩١ ـ وعن عائشة رضى الله عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم : كان إذا أوي إلى فِراشه كل ليلةٍ جَمعَ كَفَّيه ، ثمَّ نَفَثَ فيهما ، وقرأ فيهما (قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم يمسحُ بهما ما استطاعَ من جَسَده : يَبدأُ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبلَ من جَسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات [1] »

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

---

(١) بهامش المنذرى : قال بعضهم : فيه : أن التفل على العليل إذا رُقى أو دُعى له بالشفاء : جائز ، يعنى : وفيه الرد على من لم يجز ذلك .وبمثل هذه الآثار قال جماعة من الصحابة وغيرهم . وأنكر قوم من أهل العلم النفث والتفل فى الرقَى . وأجازوا النفخ فيها ، وأشاروا إلى أن منهم من تمسك بقوله تعالى (ومن شر النفاثات فى العقد) وقال : وليس فى ذمه تعالى إلا نفث أهل الباطل ، فلم يوجب أن يكون كل نافث ونافثة بالحق فى معناه ، وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نفث على نفسه بالمعوذات .

وقال غيره : وقد يكون على وجه التفاؤل بزوال ذلك الألم عن المريض وانفصاله عنه . كانفصال ذلك النفث عن الراقى .

وتخصيصه عليه الصلاة السلام الرقى بالمعوذات : لعموم الاستعاذة بهما من أكثر المكروهات من شر السواحر النفاثات ، وشر الحاسدين ، والشيطان ووسوسته ، وشر شرار الناس ، وشر كل ما خلق اهـ .

يقول أبو طاهر : إن النفث إنما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فالأظهر : أنه من خصائصه لأنه لا يبلغ أحد فى طهارة القلب والفم الطهارة الحسية والمعنوية ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس على جوازه دليل إلا القياس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قياس مع الفارق البعيد جداً ، والله أعلم .

٤٨٩٢ ـ وعن عِرْباضِ بن سَارية رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المُسبِّحَات ، قبل أن يَرْقُد ، وقال : إنَّ فيهن آيةً أفضلُ من ألف آية »

وأخرجه الترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن غريب . هذا آخر كلامه .

وفى إسناده : بقية بن الوليد عن بُجير بن سعد . وبقية فيه مقال .

وأخرجه النسائى من حديث معاوية بن صالح عن بُجير بن سعد مرسلا .

٤٨٩٣ ـ وعن ابن الوليد ـ وهو عبد الله ـ عن ابن عمر رضى الله عنهم: أنه حدثه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ، إذا أخذ مَضْجَعه : الْحَمْدُ لله الذى كفانى وآوانى ، وأطعمنى وسَقانى ، والذى مَنَّ عَلَيَّ فأفْضَلَ ، والذى أعطانى فأجْزَل ، الحمد لله على كل حال ، اللهم رَبَّ كُلِّ شىء ومَلِيكَهُ ، وإلٰه كلِّ شىء ، أعوذُ بك من النار »

وأخرجه النسائى .

٤٨٩٤ ـ وعن المقبرى ـ وهو سعيد بن أبى سعيد ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعاً لم يذكر الله تعالى فيه : إلا كان عليه تِرَةً يوم القيامة ، وَمَنْ قعَدَ مَقْعَداً لم يذكر الله تعالى فيه : إلا كان عليه تِرةً يومَ القيامة[1] »

وأخرجه النسائى مختصرا بقصة الاضطجاع فقط .

وفى إسناده : محمد بن عجلان . وقد تقدم الاختلاف فيه .

---

(١) « التِّرَةُ » النقص . وقيل : هى ههنا : التِّبعة ، وقد وتَرْتُه تِرَةً : مثل وعدته عِدَة .

باب ما يقول الرجل إذا تعارَّ من الليل [٤ : ٤٧٤]

٤٨٩٥ ـ عن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ تعارَّ مِنَ اللَّيْلِ ، فقال حين يَسْتَيْقِظُ : لا إله إلا الله وحده ، لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير ، سُبحان الله ، والحمد لله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم دعا : رَبِّ اغفرلى ـ قال الوليد ، وهو ابن مسلم ، أو قال : دعا ـ استجيب له ، فان قام فتوضأ ، ثم صَلّى قُبِلَتْ صلاته » .

وأخرجه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة بنحوه . وقد تقدم الكلام عليه فى الجزء قبله .

٤٨٩٦ ـ وعن عائشة رضى الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان إذا استيقظَ من الليلِ قال : لا إله إلا أنتَ ، سُبحانك اللهم ، أستغفركَ لذنبى ، وأسألك رحمتك ، اللهم زِدْنِى علماً ، ولا تُزِغْ قلبى بعد إذْ هَدَيْتَنى ، وهَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ رحمةً ، إنك أنت الوهابُ »

وأخرجه النسائى

باب فى التسبيح عند النوم [٤ : ٤٧٤]

٤٨٩٧ ـ عن ابن أبى ليلى قال : حدثنا علي رضى الله عنه قال : « شَكَتْ فاطمةُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما تَلْقَى فى يَدِهَا من الرَّحَى ، فأُتِيَ بِسَبْيٍ ، فأتَتْهُ تسأله ، فلم تَرَهُ ، فأخْبرتْ بذلك عائشة ، فلما جاء النبيُّ صلى الله عليه وسلم أخبرته ، فأتانا ، وقد أخَذْنا مضاجعنا ، فذهبنا لنقومَ ، فقال : على مكانِكما ، فجاء فقعدَ بيننا ، حتى وَجَدْتُ بَرْدَ قدَميه على صَدْرى ، فقال : ألا أدُلُّكما على

خَيْرٍ مما سألتما ؟ إذا أخذتما مضاجعكما : فسبِّحَا ثلاثًا وثلاثين ، واْحْمَدا ثلاثًا وثلاثين ، وكَبِّرا أربعا وثلاثين ، فهو خيرٌ لكما من خادم »

وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

٤٨٩٨ ـ وعن أبى الوَرْد بن ثُمامة ، قال : قال علىٌّ لابن أعبُد « ألا أُحَدِّثك عَنِّى وعن فاطمة بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وكانت أحبَّ أهله إليه ،وكانت عندي، َفجَرَّتْ بالرَّحَى حتى أثَّرَتْ بيدها، واسْتَقَتْ بالقِرْبة حتى أثرت فى نَحْرِها وقَمَّتِ البيت حتى اُغبَّرت ثيابُها ، وأوقدتِ القِدْرَ حتى دَكِنَتْ ثيابُها ، وأصابها من ذلك ضُرٌّ ، فسمعنا أن رَقيقاً أُتي بهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : لو أتيتِ أباكِ فسألتيه خادما يَكفيك ؟ فأَتَتْه ، فوجَدَتْ عنده حُدَّاثًا ،فاستحيَتْ فرجعتْ ، فغدا علينا ، ونحن فى لِفَاعِنا ، فجلسَ عند رأسها ، فأدخلتْ رأسها فى اللِّفاع حَياءً من أبيها ، فقال : ما كان حاجَتُك أمسِ إلى آلِ محمدٍ ؟ فسكتت ـ مرتين ـ فقلت : أنا والله أُحَدِّثك يارسول الله ، إن هذه جرَّت عندى بالرحَى حتى أثَّرت فى يدها ، واسْتَقَتْ بالقِربة حتى أثرت فى نَحْرِها ، وكَسَحَت البيت حتى اغبرت ثيابُها ،وأوقدت القِدْرَ حتى دَكِنَتْ ثيابُها ، وبَلَغَنا أنه أتاك رقيق ، أو خَدَمٌ ، فقلت لها : سَليه خادما ـ فذكر معنى حديث الحَكَم أتمَّ [1] »

٤٨٩٨ ـ قال الشيخ : قوله « قَمَّت البيتَ » معناه : كنسته . ومن ذلك سميت الكناسة قُمامة .

« واللفاع » اللحاف . وهو كل ما يُتَلَفَّع به من كساء ونحو ذلك .

ومعنى التلفع : الاشتمال بالثوب .

---

(١) بهامش المنذرى : وأبو الورد هذا لا يسمى ، وهو ابن ثمامة بن حَزْن القشيرى البصرى وهو بفتح الواو وسكون الراء المهمله و بعدها دال مهملة . =

يعنى الحديث الذى قبله وقد تقدم فى كتاب الخراج .

ابنُ أعبد : هو على بن أعبد . قال على بن المدينى : ليس بمعروف ، ولا أعرف له غير هذا .

٤٨٩٩ ـ وعن محمد بن كعب القرظي عن شَبَث بن رِبْعِيّ عن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ بهذا الخبر ـ قال فيه : قال على : « فما تركتُهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ليلةَ صِفِّين . فإنى ذكرتُها من آخر الليل . فقُلْتُها »

وأخرجه النسائى ، وقال البخارى : لا يُعْلَمُ لمحمد بن كعب سماع من شبث . هذا آخر كلامه .

[وشبث : بفتح الشين المعجمة ، وبعدها باء بواحدة مفتوحة وثاء مثلثة .

وصفين : بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء : الموضع المشهور على شاطىء

= وقمت البيت : كنسته ، والقمامة الكناسة . والمقمّة : المكنسة .

و« الرحى » مقصور مؤنثة ، والألف منقلبة عن الياء . تقول : هما رحيان . ويقال : رحوت الرحى ، ورحيتها : إذا أدرتها .

« دكن الثوب » بفتح الدال المهملة وكسر الكاف ، وبعدها نون : اتسخ واغبر لونه . والدكنة — بضم الدال — لون يضرب إلى السواد .

« حُدَّاث » أى جماعة يتحدثون . وهو جمع على غير قياس ، حملا على نظيره ، مثل : سامر وسُمَّار . فان السمار : هم المتحدثون .

« اللفاع » بكسر اللام ، وبعدها فاء وألف وعين مهملة : اللحاف . وكل ثوب يجلل الجسد كله ، من كساء أو غيره : فهو لحاف . وقيل : هو النِّطْع ، والكساء الغليظ ، وهو من قولهم : لفع الشيب الرأس : إذا شمله . ومنه : لفعتك النار : إذا شملتك من كل نواحيك

الفرات . كانت فيه الوقعة المشهورة بين على ومعاوية رضوان الله عليهما . وقد قال أبو وائل : وينسب إليها الصفون . ففيها وفى أمثالها لغتان .

إحداهما : إجراء الإعراب على ما قبل النون ، وتركها مفتوحة ، كما قال أبو وائل .

والثانية : أن تجعل النون حرف الإعراب . وتقر الياء بحالها . فتقول : هذه صفين ، ورأيت صفين . ومررت بصفين . وكذلك تقول فى فِلَسْطين ، وقِنَّسْرين ، وقال الأعشى :

* وشاهِدُنا الُجلُّ والياسمون * (١)

الجل : الورد . فارسى معرب] .

٤٩٠٠ ـ وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « خَصْلَتَانِ ، أو خَلَّتان ، لاَ يُحَافِظ عليهما عبدٌ مسلم إلا دخل الَجنَّة ، هما يسير ، ومَنْ يَعْمَلُ بهما قليل : تُسبِّح فى دُبُر كل صلاة عشراً ، وتَحمد عشراً ، وتُكَبِّر عشراً ، فذلك خمسون ومائة باللسان ، وألف وخمسمائةٌ فى الميزان ، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مَضْجَعه ، ويحمَد ثلاثاً وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، فذلك مائة باللسان ، وألف فى الميزان ، فلقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَعْقِدُها بيده ، فقالوا : يارسول الله ، كيفَ هما يسير ، ومن يعملُ بهما قليل ؟ قال : يأتى أحدَكم ـ يعنى الشيطان ـ فى منامه ، فيُنَوِّمه قبلَ أن يقوله ، ويأتيه فى صلاته ، فيُذَكِّره حاجةً قبل أن يقولها »

---

(١) وفى اللسان مادة « جلل » والجل الذى فى شعر الأعشى فى قوله :

وشاهِدُنا الُجلُّ والياسميـــن ، والُمسْمِعات بقُصَّابها

وقصابها : جمع قاصب ، وهو الزامر .

وأخرجه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وأخرجه النسائى مسنداً وموقوفا على عبد الله بن عمرو

٤٩٠١ ـ وعن الفضل بن حسن الضَّمْرى ، أن ابنَ أمِّ الحكم ، أو ضُبَاعَةَ بنتَ الزبير رضى الله عنهما حَدَّثه ، عن إحداهما[١] ، أنها قالت « أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَبْياً ، فذهبتُ أنا وأختى فاطمة[٢] بنت النبى صلى الله عليه وسلم إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، فشكونَا إليه ما نحنُ فيه ، وسألناه : أن يأمرَ لنا بشىء من السَّبْىِ . فقال رسول الله صلى الله عليه وَسلم : سَبَقَكُنَّ يتَامَى بَدْرٍ ـ ثم ذكر قصة التسبيح ، قال : على إثْرِ كل صلاة ـ لم يذكر النوم »

وقد تقدم فى كتاب الخراج .

---

(١) « إحداهما » هى أمه ، وقد رواه ابن الأثير فى ترجمة أم الحكم من أسد الغابة قال : أخبرنا يحيى ـ كتابة بإسناده ـ عن ابن أبى عاصم قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة عن زيد بن الحباب عن عياش بن عقبة عن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمرى قال : حدثنى ابن أم الحكم قال : حدثتنى أمى أم الحكم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم من بعض غزواته ، وقد أصاب رقيقاً ، فذهبت هى وأختها حتى دخلتا على فاطمة ، فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث » .

(٢) كذا فى أصل المنذرى ، وفى نسخة عون المعبود « وأختى وفاطمة » وقال : هكذا هو بإثبات الواو بين أختى وفاطمة فى هذا الحديث ، ولفظ ابن أبى شيبة « فذهبت هى وأختها حتى دخلتا على فاطمة . فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وعند ابن الأثير فى أسد الغابة « فذهبت أنا وأختى إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم » وتقدم فى كتاب الخراج (رقم ٢٨٦٧) أيضاً بإثبات الواو بينهما . وأما الرواية بحذف الواو فعلى إبدال « فاطمة » من « أختى » وهكذا هو بحذف الواو فى أطراف المزى . وأما فى كتاب الخراج من السنن فبإثبات الواو عند المنذرى .

باب ما يقول إذا أصبح [٤ : ٤٧٦]

٤٩٠٢ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال « يارسول الله ، مُرْنى بكلمات أقولُهنَّ إذا أصبحتُ، وإذا أمسيتُ ، قال : قل : اللَّهمَّ فاطرَ السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، ربَّ كلِّ شىء ومَليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شَرِّ نفسى ، وشر الشيطان وشَرَكِه . قال : قُلْها إذا أصبحتَ ، وإذا أمسيت ، وإذا أخذتَ مَضْجَعك ».

وأخرجه الترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن صحيح .

٤٩٠٣ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه كان يقول إذا أصبح : اللهم بكَ أصْبَحْنا ، وبك أمسينا ، وبك نَحْيَا ، وبك نموتُ ،

٤٩٠٣ـقال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله تعالى :

ولفظ النسائى فيه « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أصبح : اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور » فقط .

ورواه أبو حاتم بن حبان فى صحيحه ، وقال « إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أصبح : اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور ، وإذا أمسى قال : اللهم بك أمسينا ، وبك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك المصير » .

فرواية أبى داود فيها « النشور » فى المساء ، و « المصير » فى الصباح .

ورواية الترمذى : فيها « النشور » فى المساء ، و « المصير » فى الصباح .

ورواية ابن حبان فيها « النشور » فى الصباح و « المصير » فى المساء ، وهى أولى الروايات أن تكون محفوظة ، لأن الصباح والانتباه من النوم: بمنزلة النشور ، وهو الحياة بعد الموت . والمساء والصيرورة إلى النوم: بمنزلة الموت ، والمصير إلى الله ، ولهذا جعل الله سبحانه فى النوم الموت والانتباه بعده دليلا على البعث والنشور،لأن النوم أخو الموت ، والانتباه نشور وحياةقال تعالى(٣٠: ٢٣ومن آياته منامكم بالليل والنهاروابتغاؤكم من فضله ، إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون)

ويدل عليه أيضاً مارواه البخارى فى صحيحه عن حذيفة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا ، وإليه النشور » .

وإليك النشور . وإذا أمسَى قال : اللهم بك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور »

وأخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجة . وقال الترمذى : حسن .

٤٩٠٤ ـ وعن مكحول الدِّمَشْقِى ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أو يُمْسِى : اللهم إنى أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وملائكتَك وجميعَ خَلْقِكَ : أنك أنتَ الله ، لا إله إلا أنت ، وحدك لاشريك لك ، وأن محمداً عبدُك ورسولك ، أعتقَ الله رُبْعه من النار ، فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه ، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه ، ومَنْ قالها أربعاً أعتقه الله من النار »

فى إسناده : عبد الرحمن بن عبد الحميد ، وهو أبو رجاء المُهْرِى ، مولاهم المصرى المكفوف . قال ابن يونس : وكان يحدث حفظاً . وكان أعمى . وأحاديثه مضطربة .

وقد وقع فى أصل سماعنا وفى غيره « عبد الرحمن بن عبد المجيد » والصحيح « عبد الحميد » هكذا ذكره ابن يونس فى تاريخ المصريين . وله العناية المعروفة بأهل بلده . وذكره غيره أيضا كذلك .

٤٩٠٥ ـ وعن ابن بُريدة ، عن أبيه رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ قَالَ حِينَ يصبح ، وحين يمسى : اللهم أنتَ رَبِّي لا إله إلا أنت ،

٤٩٠٥ ـ قال الشيخ : قوله « أبوء بنعمتك » معناه : الاعتراف بالنعمة والإقرار بها .

« أبوء بذنبى » معناه : الإقرار بها أيضاً ، كالأول ، ولكن فيه معنى ليس فى الأول . تقول العرب : باء فلان بذنبه إذا احتمله كرهاً . لا يستطيع دفعه عن نفسه .

خلقتنى ، وأنا عَبْدُكَ ، وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبُوءُ بنعمتك ، وأبوء بذنبي ، فاغفرلى ، إنه لايغفر الذنوب إلا أنت ، فمات من يومه أو ليْلَتِه دخل الجنة[1] »

وأخرجه النسائى وابن ماجة .

---

(١) قال أبو طاهر : المراد من العهد هنا : العهد المذكور فى قوله تعالى (٧ : ١٧٢ ، ١٧٣ و إذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟)

وهذا العهد يتجدد بتجدد النعم من ربنا سبحانه على العبد فى طعامه وشرابه ولباسه وحركاته واضطرابه فى معايشه . وكذلك العهد فى قول المسلم « لاإله إلا الله محمد رسول الله » فان معناها : أعاهدك يارب أن أكفر بكل مألوه ومعبود عظمه الجاهلون وقدسوه ، واتخذوه من دونك إلٰها ، فأعطوه حقك الذى ينبغى أن يكون خالصاً لك وحدك ، وهو غاية الذل وغاية الحب ، وما يتبع ذلك من جميع العبادات والطاعات ، أخلصها لك يامن ربَّيتنى وتربينى وتربى جميع العالمين بنعمك وبرك وإحسانك ، وأعاهدك يارب أن لا أعبدك بالأهواء والبدع ، والموروث عن الآباء والشيوخ ، وإنما أعبدك بما شرعت وارتضيت من الإسلام الذى جاءنى به عبدك ومصطفاك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ، راجعا بما ناء به ظهرى من سوابغ نعمك المتتالية . معترفاً بكل قلبى بعجزى وتقصيرى ، عن القيام بما يجب لك يارب من الشكر على نعمائك المتتالية ، وراجعاً إليك يا أرحم الراحمين بظلمى لنفسى ، وبجنايتى عليها بما أثقلتها من الذنوب والعيوب والنقائص التى لا تتناسب مع ما تفضلت به علىّ من الخير والنعمة الجميلة ، فسأبذل كل ما فى استطاعتى وجهدى فى القيام بواجب عبادتك علماً وعملا وإرشاداً وتعليما . وبك المستعان وحدك ، لا شريك لك ، ولا حول ولا قوة إلا بك . فأمدنى من عنايتك وهدايتك ورحمتك بما يسترعيوبى ويعافينى من نقائصى ، ويقوينى على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك

وأخرجه البخارى والنسائى من حديث عبد الله بن بُريدة عن بُشَير بن كعب عن شداد بن أوس بنحوه . وقال فيه « سيد الاستغفار » .

وأخرجه الترمذى من حديث عثمان بن ربيعة عن شداد بن أوس . وقال : حسن غريب من هذا الوجه .

٤٩٠٦ ـ وعن عبد الله ـ وهو ابن مسعود رضى الله عنه ـ «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ، إذا أمسى : أَمْسينا وَأَمْسَى الْمُلكُ لله ، والحمدُ لله ، لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له »

وأما زَبيد فكان يقول : كان إبراهيم بن سويد يقول « لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملكُ ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ـ زاد فى حديث جرير وهو ابن عبد الحميد ـ : له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير . رَبِّ أسألُكَ خَيْرَ ما فى هذه الليلة وخيرَ ما بعدها ، وأعوذ بك من شَرِّ ما فى هذه الليلة وشَرِّ ما بعدها ، رَبِّ أعوذ بك من الكَسَل ، ومن سُوء الكفر ، رَبِّ أعوذ بك من عذابٍ فى النار ، وعذابٍ فى القبر . وإذا أصبح قال ذلك أيضاً : أصبحنا وأصبح الملك لله »

قال أبو داود : رواه شعبة عن سَلَمة بن كُهيل عن إبراهيم بن سُويد ، وقال « مِنْ سُوء الكِبْر » ولم يذكر « سوء الكفر »

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى .

٤٩٠٧ ـ وعن أبى سَلاَّم ـ وهو ممطور الحبشى ـ « أنه كان فى مسجد حمص . فمرَّ به رجل ، فقالوا : هذا خَدَمَ النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فقام إليه ، فقال : حَدِّثنى بحديث سمعتَه من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لم تَتَداوَلْهُ بينك وبينه الرجالُ ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : منْ قال ، إذا أصبح

وإذا أمسى : رَضِينَا باللهِ رَبًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، إلا كان حَقًّا على الله أن يُرضِيَه » .

وأخرجه النسائى .

٤٩٠٨ ـ وعن عبد الله بن عَنْبَسَة ، عن عبد الله بن غَنَّام البَيَاضِى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال حين يُصبح : اللهم مَا أَصْبَحَ بِى مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شريك لك ، فلك الحمدُ ولك الشكر : فقد أَدَّى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يُمْسِي : فقد أدى شكر ليلته » .

وأخرجه النسائى .

وغنام : بفتح الغين المعجمة ، وتشديد النون وفتحها ، وبعد الألف ميم .

والبياضي : منسوب إلى بياضة ، بَطْنٍ من الأنصار .

٤٩٠٩ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَعُ هؤلاء الدَّعواتِ ، حين يُمْسِى وحين يصبح : اللهُمَّ إنى أسألك العافيةَ فى الدنيا والآخرة ، اللهم إنى أسألك العَفْو والعافية فى دِينى ودُنْيَاى وأهلى ومالى ، اللهم اسْتُرْ عَوْرَتى ـ قال عثمان : وهو ابن أبى شيبة ، عَوْرَاتى ـ وآمِنْ رَوْعاتى ، اللهم احْفَظْنِى من بين يَدَىَّ ، ومن خَلْفى ، وعن يمينى ، وعن شمالى ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظَمتك : أن أُغْتَال من تحتى » .

قال وكيع ـ وهو ابن الجرَّاح ـ يعنى الخَسْفَ .

وأخرجه النسائى وابن ماجة .

٤٩١٠ ـ وعن عبد الحميد مولى بنى هاشم ، أن أمه حَدَّثَتْهُ ـ وكانت تخدُمُ بعضَ بناتِ النبى صلى الله عليه وسلم ـ حدثتها أن النبى صلى الله عليه وسلم

« كان يُعلِّمها، فيقول : قولي حين تُصْبحين : سبحان الله وبحمده ، لا قوة إلا بالله ما شاء اللهُ كانَ ، وما لم يشأ الله لم يكن ، أعلمُ أنَّ الله على كل شيء قدير ، وأنَّ الله قد أحاط بكلِّ شيء علماً . فإنه من قالهن حين يُصْبِح : حُفظ حتى يمسيَ ، ومن قالهن حين يمسي : حُفِظ حتى يصبحَ » .

وأخرجه النسائي . وأمه مجهولة .

٤٩١١ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِـحُ (٣٠ : ١٧ ـ ١٩ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وحين تُصْبِحُونَ ، وله الحمْدُ في السَّموات والأرض وَعَشِيًّا وحين تُظْهِرُون ـ إلى ـ وكذلك تُخْرَجون) أدْرَكَ مَا فَاتَهُ من يومه ذلك ، ومن قالهن حين يمسي: أدرك ما فاته في ليلته » .

في إسناده : محمد بن عبد الرحمن بن البَيْلَماني عن أبيه ، وكلاهما لا يحتج به .

٤٩١٢ ـ وعن أبي عَيَّاش رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ قَالَ إذَا أَصْبَحَ : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ،

٤٩١٢ ـ قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

وقد أخرجا في الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات كان كمن أعتق عشرة أنفس من ولد إسمعيل » .

وقال البخاري « رقبة من ولد إسمعيل » رواه تعليقاً .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من قال لاإله إلاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك ، ومن قال : سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة ، حطت عنه خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر » .

وهو على كل شيء قدير : كان له عِدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إسماعيل ، وكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وحُطَّ عنه عَشْرُ سَيئَاتٍ ، ورُفع له عَشْرُ دَرَجاتٍ ، وكان فى حِرْزٍ مِنَ الشيطان حتى يُمْسِيَ ؛ وإن قالها إذا أمسى : كان له مثل ذلك حتى يصبح » .

قال فى حديث حماد ـ وهو ابن سلمة ـ : فرأى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائمَ ، فقال : يارسول الله ، إن أباعَيَّاش يُحَدِّثُ عنك بكذا وكذا ؟ قال : « صَدَقَ أبو عياش » .

فهذا الحديث يدل على أن كل رقبة يعدلها عشر مرات تهليلا ، وهو يوافق رواية البخارى فى الحديث الذى قبله .

وحديث ابن عباس يدل على أن كل مرة برقبة ، ويوافقه حديث أبى أيوب الذى رواه مسلم ولكن حديث أبى أيوب قد اختلف فيه البخارى ومسلم ، كما ذكرناه .

وحديث أبى هريرة صريح بأن المائة تعدل عشر رقاب ، ولم يختلف فيه ، فيترجح من هذا الوجه على خبر أبى أيوب ، وتترجح رواية مسلم لحديث أبى أيوب : بحديث ابن عباس المتقدم فقد تقابل الترجيحان .

وقد يقال : خبر ابن عباس قد تكلم فيه ، وأنه لايصح ، وخبر أبى أيوب قد اختلف فى لفظه ، وخبر أبى هريرة : صحيح ، لا علة فيه ولا اختلاف ، فوجب تقديمه ، والله أعلم .

وقد روى الترمذى من حديث زيد بن أبى أنيسة عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال فى دبر صلاة الفجر ، وهو ثان رجليه ، قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات ، كتب له عشر حسنات ، ومحي عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات . وكان يومه ذلك كله فى حرز من كل مكروه ، وحرس من الشيطان ، ولم ينبغى لذنب أن يدركه ذلك اليوم إلا الشرك بالله » وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

وأما الحديث الذى رواه الترمذى فى جامعه عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دخل السوق ، فقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حى لايموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء

قال أبو داود : رواه إسماعيل بن جعفر عن سهيل عن أبيه عن ابن عائش .

وقال أبو بكر الخطيب : عند القاضي ـ يعني أبا عمر الهاشمي شيخَه ـ عن ابن أبي عائش . وكذا عند غيره .

وأخرجه النسائي وابن ماجة . وفي حديثهما : عن أبي عياش الزُّرقي .

وأبو عياش الزُّرقي الأنصاري : اسمه زيد بن الصامت . وقيل : غير ذلك .

قدير ، كتب له ألف ألف حسنة ، ومحى عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة » فهو حديث معلول لايثبت مثله ، وذكر له الترمذي طرقاً .

أحدها : أحمد بن منيع : حدثنا أزهر بن سنان حدثنا محمد بن واسع قال « قدمت مكة فلقيني أخي سالم بن عبد الله بن عمر ، فحدثني عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه ـ فذكره » وقال : هذا حديث غريب .

والثاني : رواه عمرو بن دينار . قهرمان آل الزبير ، عن سالم نحوه .

قال الترمذي : حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حماد بن عبدة حدثنا حماد بن زيد والمعتمر بن سليمان قالا حدثنا عمرو بن دينار ـ وهو قهرمان آل الزبير ـ عن سالم عن أبيه عن جده . وقال « وبنى له بيت في الجنة » ولم يقل « ألف ألف درجة » .

والثالث : رواه يحيى بن سليم الطائفي عن عمران بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر عمر . ذكره الترمذي تعليقاً عن يحيى .

فأما الطريق الأولى فهي أمثل طرقه ، وأزهر بن سنان لابأس به ، وقد تكلم فيه بعض الأئمة ، وقد ذكر حديثه هذا الحافظ أبو عبد الله المقدسي في المختارة .

وأما الطريق الثانية : ففيها عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير ، قال البخاري في التاريخ : فيه نظر . وذكر هذا الإسناد بعينه ، ولم يذكر له متناً ، فقال : قال موسى بن عبد الرحمن حدثنا زيد بن خباب حدثنا سعيد بن زيد عن عمرو بن دينار مولى الأنصاري عن سالم عن أبيه عن عمر ، وقال الترمذي : تكلم فيه بعض أصحاب الحديث ، وقد روى عن سالم أحاديث لايتابع عليها .

وأما الطريق الثالثة : ففيها عمران بن مسلم ، وليس هو عمران بن مسلم القصير ، فان ذاك من رجال الصحيح ، وهذا منكر الحديث ، قاله البخاري وغيره .

وقد قيل : إنه القصير ، والله أعلم .

وهو بفتح العين المهملة وتشديد الياء آخر الحروف وفتحها ، وبعد الألف شين معجمة .

وذكره أبو أحمد الكرابيسى فى كتاب الكنى ، وقال : له صحبة من النبى صلى الله عليه وسلم . وليس حديثه من وجه صحيح . وذكر له هذا الحديث .

٤٩١٣ ـ وعن مسلم ـ يعنى ابن زياد ـ قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ قَالَ حين يُصْبِح : اللهمَّ إنى أُشْهِدُكَ ، وَأُشْهِدُ حَمَلَة عرشك ، وملائكتك ، وجميع خلقك : أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك : إلا غُفر له ما أصاب فى يومه ذلك من ذنب ، وإن قالها حين يمسى غفر له ما أصاب تلك الليلة[1] » .

٤٩١٤ ـ وعن الحرث بن مسلم ، عن أبيه مسلم بن الحارث التميمى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنه أسرَّ إليه ، فقال : إذا انصرفتَ من صلاة المغرب ، فقل : اللهمَّ أجِرْنِى من النار ، سَبْع مراتٍ ، فإنك إذا قلتَ ذلك ثم مُتَّ من ليلتك كُتِبَ لك جِوَارٌ منها ، وإذا صَلَّيْتَ الصبح ، فقل كذلك ، فإنك إن مُتَّ مِنْ يومك كُتِبَ لك جِوارٌ منها » .

---

(١) هذا الحديث ليس من رواية اللؤلؤى ، ولذا لم يذكره المنذرى . وقال الحافظ المزى : أخرجه أبو داود فى الأدب عن عمرو بن عثمان ، وأخرجه الترمذى فى الدعوات عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن حَيْوة بن شريح الحمصى ، وأخرجه النسائى فى عمل اليوم والليلة عن إسحاق بن إبراهيم وعمرو بن عثمان وكثير بن عبيد ، أربعتهم عن بقية بن الوليد عن مسلم بن زياد الشامى ، مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عن أنس . وحديث أبى داود فى رواية أبى بكر بن داسة عنه ، ولم يذكره أبو القاسم الدمشقى .

أخبرنى أبو سعيد ـ يعنى عبد الرحمن بن حسان ـ عن الحارث ـ يعنى ابن مسلم ـ أنه قال : « أسرها إلينـا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحن نَخُصّ بها إخواننا » .

٤٩١٥ ـ وعن مسلم بن الحرث بن مسلم التميمى ، عن أبيه ، رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، نحوه ، إلى قوله « جوار منها » إلا أنه قال فيهما « قبل أن يُكلّم أحداً » .

قال على بن سهل : إن أباه حدثه .

٤٩١٦ ـ وقال على ـ وهو ابن سهل ـ وابنُ المصَفَّى « بَعَثَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَرية ، فلما بلغنا المُغار[1] استَحْثَثْتُ فرسى ، فَسَبَقْتُ أصحابى ، وتلَقَّانى الْحيُّ بالرَّنين[2] ، فقلت لهم : قولوا : لا إله إلا الله تُحْرِزُوا ، فقالوها ، فلامَنى أصحابى ، وقالوا : أحْرَمْتنا الغَنيمة ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه بالذى صنعتُ ، فدعاني ، فَحَسَّنَ لى ما صنعتُ ، وقال : أما إنَّ الله قد كتبَ لك من كُلِّ إنسانٍ منهم كذا » .

قال عبد الرحمن ـ وهو ابن حسان ـ فأنا نَسِيتُ الثواب ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنى سأكتبُ لك بالوَصَاة بعدى . قال : ففعل وختم عليه ، فدفعه إلَىّ ، وقال لى » ثم ذكر معناهم .

---

(١) بهامش المنذرى : المغار ـ بضم الميم ، و بعدها غين معجمة مفتوحة ، و بعد الألف راء مهملة ـ وهو موضع الغارة ، كالمقام : موضع الإقامة ، وهو الإغارة نفسها أيضاً . يقال : أغار على العدو يُغير إغارة ومُغارا ، وكذلك غاورهم يغاورهم مغاورة .

(٢) الرنة ـ بفتح الراء المهملة ، وتشديد النون ، و بعدها تاء تأنيث ـ الصوت. يقال : رنت ترن رنينا ، وأرنت أيضا : صاحت .

وقال ابن المصفَّى : قال : سمعت الحرث بن مسلم بن الحرث التميمى يُحَدِّث عن أبيه .

قيل : فيه مسلم بن الحرث . وقيل : الحرث بن مسلم ، كما تقدم ، وصحح غير واحد : أنه مسلم بن الحرث .

وسئل أبو زُرعة الرازى عن مسلم بن الحرث ، أو الحرث بن مسلم ؟ فقال : الصحيح : مسلم بن الحرث عن أبيه.

وقال أبو حاتم الرازي : الحرث بن مسلم : تابعى .

وقيل للدارقطنى : مسلم بن الحرث التميمى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : مسلم مجهول . لا يحدث عن أبيه إلا هو .

٤٩١٧ ـ وعن يونس بن ميسرة بن حَلْبَس ، عن أم الدرداء ، عن أبى الدرداء ، رضى الله عنهما قال « من قال إذا أصبحَ وإذا أمسى : حَسْبِيَ اللهُ لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رَبُّ العرشِ العظيم ، سَبْعَ مراتٍ ، كفاه الله ما أَهَمَّه صادقا كان بها أو كاذباً[1] »

٤٩١٨ ـ وعن معاذ بن عبد الله بن خُبيب ، عن أبيه ، أنه قال « خرجنا فى ليلةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شديدةٍ ، نطلبُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليصليَ لنا ، فأدركناه

---

(١) هذا الحديث ليس فى رواية اللؤلؤى ولذا لم يذكره المنذرى . قال المزى فى الأطراف : هو من رواية أبى بكر بن داسة ، ولم يذكره أبو القاسم الدمشقى فى الاشراف . وهو من كلام أبى الدرداء غريب . فكيف يجزى الله الكاذب جزاء الصادق ؟ اهـ

ويونس بن ميسرة بن حَلْبَس : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وبعدها سين ـ كان من عباد الشام . قتلته المسودة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وهو ابن مائة وعشرين سنة .

فقال : قُلْ . فلم أقل شيئاً ، ثم قال : قل . فلم أقل شيئاً ، ثم قال : قل . فقلت : يا رسول الله ما أقول ؟ قال : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) والمعوذتين حين تُمسِي وحين تصبح ، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » .

وأخرجه الترمذى والنسائى مسنداً ومرسلا . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

وأبو سعيد البرّاد : هو أسيد بن أبى أسيد مدينى

٤٩١٩ ـ وعن أبى مالك ـ وهو الأشعرى رضى الله عنه ، واختلف فى اسمه . فقيل : عبيد ، وقيل : عمرو ، وقيل : كعب ، وقيل : الحرث ـ قال : قالوا : « يارسول الله ، حَدِّثنا بكلمة نقولها ، إذا أصْبَحْنا وأَمْسَيْنا واضْطَجَعْنا ، فأمرهم أن يقولوا (٣٩ : ٤٦ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أنت ربُّ كل شيء ، والملائكةُ يشهدون: أنك لا إله إلا أنت. فإنَّا نعوذ بك من شَرِّ أنفسنا ومن شر الشيطان الرجيم وشِرْكِهِ ، وأن نَقْتَرِفَ سُوءاً عَلَى أنفسنا ، أو نجُرَّهُ إلى مسلم » .

٤٩٢٠ ـ قال أبو داود : وبهذا الإسناد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أصبح أحدكم فليقل : أصبحنا ، وأصبح الملكُ لله رب العالمين ، اللهم إنى أسألك خَيْرَ هذا اليوم : فَتْحَهُ ، وَنَصْرَهُ ، ونُورَهُ ، وَبَرَكَتَهُ ، وهُدَاه ، وأعوذ بك من شَرِّ ما فيه ، وشَرِّ ما بعده ، ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك » .

فى إسناد هذين الحديثين : محمد بن إسماعيل بن عياش وأبوه ، وكلاهما فيه مقال .

٤٩٢١ ـ وعن شَريق الهَوْزَنى رضى الله عنه قال : « دخلت على عائشة رضى الله عنها فسألتها : بِمَ كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يفتتحُ إذا هَبَّ من الليل[1] ؟ فقالت : لقد سألتَنى عن شىءٍ ما سألنى عنه أحدٌ قبلَك ، كان إذا هَبَّ من الليل : كَبَّرَ عَشْرًا ، وَحَمِدَ عَشْرًا ، وقال : سُبْحَان الله وبحمده ، عشراً ، وقال : سُبْحَانَ القدُّوس ، عشراً ، واستغفر عشراً ، وهلَّلَ عَشْرًا ، ثم قال : اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضِيق يوم القيامة ، عشراً ، ثم يفتتح الصلاة » .

أخرجه النسائى .

وفى إسناده : بقية بن الوليد . وفيه مقال .

شريق ـ بفتح الشين المعجمة وكسر الراء المهملة وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها قاف .

وهوزن : بفتح الهاء وسكون الواو ، وبعدها زاى ونون ـ هو هَوْزَن بن عوف ، بطن من ذى الكلاع من حِمْير .

٤٩٢٢ ـ وعن أبى هريرة ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان

٤٩٢٢ ـ قال الشيخ قوله « سمع سامع » معناه : شهد شاهد . وحقيقته : ليسمع السامع . وليشهد الشاهد على حمدنا لله سبحانه على نعمه ، وحسن بلائه

---

(١) هب ـ بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة ـ استيقظ . يقال : هب من نومه يهب : استيقظ . وأهببته أنا : أيقظته .

فى سَفَرٍ وَأَسْحَرَ[١] يقول : سَمِـعَ سَامِعٌ[٢] بِحَمْدِ الله ونِعْمَتِهِ ، وحُسْنِ بلائه علينا[٣] ، اللهم صاحِبنا فأَفْضِلْ علينا ، عائذ[٤] بالله من النار » .

وأخرجه مسلم والنسائى .

وقوله « عائذاً بالله » يحتمل وجهين .

أحدهما : أن يريد: أنا عائذ بالله .

والوجه الآخر : أن يريد متعوذاً بالله ، كما يقال : مستجار بالله ، بوضع الفاعل مكان المفعول . كقولهم : سِرٌّ كاتم ، وماء دافق . بمعنى : مكتوم ، ومدفوق .

---

(١) بهامش المنذرى : أسحر : أى قام فى السحر ، أو ركب فى السحر ، أو انتهى فى سيره وقت السحر . وهو آخر الليل .

(٢) بهامش المنذرى : سمع سامع ـ بكسر الميم فيهما ـ ورواه بعضهم « سَمَّعَ سامع » بتشديد الميم وفتحها . أى بلغ سامع قولى لغيره . وقال مثله ، ودعاؤه تنبيها على الذكر فى السحر والدعاء حينئذ .

(٣) بهامش المنذرى : قال ابن قتيبة : أبلاه الله بلاء حسنا ، و بلاه يبلوه : أصابه بشر ، وقال غيره : المعروف : أن الابتلاء يكون فى الخير والشر معا من غير فرق بين فعليهما وقيل : أصله الاختبار . وأكثر مايستعمل فى الخير مقيداً . وأما فى الشر : فقد يطلق . قال الله سبحانه وتعالى (٨ : ١٧وليبلو المؤمنين منه بلاء حسنا) وقال صاحب الأفعال : بلاه الله بالخير والشر بلاء . وقال أبو الهيثم : البلاء يكون حسنا ، ويكون سيئا . وأصله : المحنة . والله يبلى عبده بالصنيع الجميل ليمتحن شكره ، و يبلوه بالبلوى التى يكرهها ليمتحن صبره . فقيل للحسن بلاء ، وللسىء بلاء .

(٤) بهامش المنذرى « عائذ » يحتمل : أنا عائذ بالله ، أو أنا متعوذ بالله ، كما يقال : مستجار بالله ، ومن رواه « عائذا » بالنصب ، فقيل : هو منصوب على الحال ، وقيل : مصدر ، وقيل : يحتمل جئتك عائذا ، أو أصبحت بك عائذا .

٤٩٢٣ ـ وعن القاسم[١] ، قال : كان أبوذر يقول « من قال حين يصبح : اللهم ما حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ أو قلت من قول ، أو نذرتُ مِنْ نَذْر ، فشيئتُك بين يَدَىْ ذلك كُلِّه : ما شئْتَ كان ، وما لم تشأ لم يكن ، اللهم اغفر لي ، وتجاوز لى عنه ، اللهم ، فمن صَلَّيْتُ عليه فعليه صلاتى ، ومن لعنت فعليه لعنتى ، كان فى استثناءٍ يَوْمَهُ ذلك ، أو قال : ذلك اليوم[٢] » .

٤٩٢٤ ـ وَعَمَّن سمع أبانَ بن عثمان يقول : سمعت عثمان ـ يعني ابن عفان ـ يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ قَالَ بسم الله الذى لا يَضُرُّ مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم ، ثلاثَ مراتٍ ، لم تُصِبْهُ فُجَاءَةُ بلاءٍ حتى يُصْبِح ، ومن قالها حين يُصْبِح ثلاثَ مرات لم يُصِبْه فجاءةُ بلاءٍ حتى يمسى . قال : فأصاب أبانَ بن عثمان الفالجُ ، فجعل الرجل الذى سمع منه الحديث ينظر إليه ، فقال له : ما لكَ تنظر إلىَّ ؟ فو الله ما كذبتُ على عثمان ، ولا كذبَ عثمان على النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن اليومَ الذى أصابنى فيه ما أصابنى غَضِبْتُ ، فنسيتُ أن أقولها » .

٤٩٢٥ ـ وعن محمد بن كعب ، عن أبان بن عثمان ، عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه ، لم يذكر قصةَ الفالج .

وأخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجة ، وقال الترمذى : حسن صحيح غريب .

---

(١) فى عون المعبود : هو القاسم بن محمد التابعى الجليل ، أحد الفقهاء السبعة ، أو هو القاسم بن عبد الرحمن الدمشقى من التابعين .

(٢) هذا موقوف على أبى ذر ، وليس هو فى رواية اللؤلؤى . ولذا لم يذكره المنذرى . اهـ عون المعبود .

٤٩٢٦ ـ وعن عبد الرحمن بن أبي بَكرة أنه قال لأبيه : « يا أبَةِ ، إنى أسمعُك تدعو كُلَّ غـداةٍ : اللهم عافِنِى فى بَدَنى ، اللهم عافنى فى سَمْعى ، اللهم عافِنِى فى بَصَرى ، لا إله إلا أنت ، تعيدها ثلاثاً حين تُصْبِح ، وثلاثاً حين تمسى ، فقال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهن ، فأنا أُحِبُّ أنْ أستَنَّ بسُنَّته ».

قال عباس ـ يعنى ابنَ عبد العظيم ـ فيه « ويقول : اللهم إنى أعوذ بك من الـكفر والفقْر ، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، لا إله إلا أنت ، تُعيدها ثلاثاً حين تصبح ، وثلاثاً حين تمسى ، فيدعو بهن ، فأنا أُحِبُّ أنْ أستَنَّ بسُنَّته »

٤٩٢٧ ـ قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعَوَاتُ المـكروب : اللهم رَحْمَتَكَ أَرْجُو ، فَلاَ تَـكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لى شأنى كُلَّهُ ، لا إله إلا أنت » وبعضهم يزيد على صاحبه . وأخرجه النسائى .

وقال جعفر بن عون ـ يعنى راوى هذا الحديث ـ ليس بالقوى . هذا آخر كلامه .

وقد قال فيه يحيي بن معين : ليس بذاك وقال مرة : ليس بثقة . وقال مرة : بصرى صالح الحديث .

وقال الإمام أحمد : ليس بقوى فى الحديث .

وقال أبو حاتم الرازى : صالح .

٤٩٢٨ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنـه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ قالَ حِينَ يُصْبِحُ : سُبْحَانَ الله العظيم وبحمـده ، مائَة مرةٍ ، وإذا أمسى كـذلك ، لم يُوَافِ أحدٌ من الخلائق بمثل ما وافَى » .

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى بنحوه أتم منه .

انتهى بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السابع من كتاب « مختصر سنن أبى داود »
ويليه إن شاء الله الجزء الثامن وأوله « باب ما يقول الرجل إذا رأى الهلال »
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

فهرس الجزء السابع

من مختصر سنن أبي داود